

إحياء الإيمان

محمد رافع عبدالقادر نادر العزيري

الطبعة الأولى

الغلاف الأول

2015م-1437هـ

اسم الكتاب: احياء الإيمان

المؤلف: محمد رافع عبدالقادر نادر العزيري

الكمية: (2000) طبعة

الطبع: الطبعة الأولى 2016

تسلسل الكتاب: (2)

رقم الأيداع (.....) في المديرية العامة للمكتبات

سنة الطبع: 1436هـ - 2015م

حقوق الطبع محفوظة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ
 آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ * وَتَوَّصَوْا بِالْحَقِّ
 وَتَوَّصَوْا بِالصَّبْرِ).

الى أبي رسول الرحمة:

الى كل محبيك، مع عتابي لهم، لأنهم لم يعرفونك كما ينبغي، الى المتيمين بك، مع اعتذاري لهم، لأنهم لم يعرفونك كما ينبغي، الى كل من يبحث عن الله الرحمن، أهدي هذا الكتاب.

من خلف الروضة المطهرة

2015-3-12

المؤلف

الجزء الأول

عودة الصفاء

من خلال مراحل بناء الايمان من منظور الآيات القرآنية الكريمة

بالتوكل على العلي القدير، و بحضور جمع مبارك من الشباب الصالح، في احد بيت من الله الرحمن وتحت رعاية السميع البصير و لطف من البارئ نبداً دروس الايمان و كيفية بنائه، او إحيائه في داخل الانسان، راجين من العلي القدير ان يجعله سبباً للخير في حياتنا، و يضعه في ميزان حسناتنا يوم القيامة.. وفي الدرس الاول وكمقدمة احب ان اوضح بعض النقاط المهمة لكي نكون على بينة من الامر في الدروس القادمة ونفهم و ندرك الموضوع بصورة جيدة، راجين به وجه الله تعالى وان يتقبله منا بقبول حسن.

لماذا ندرس الايمان؟

اول ما اريد توضيحه، انه لماذا تم اختيار هذه الدروس؟ و لماذا موضوع الايمان بالذات و كيفية نشوئه؟ أو كيفية إحيائه في داخل المؤمن؟ وفي داخل كل انسان؟ و لماذا تم اختيار هذا العنوان؟ وفي الاجابة نقول:

كيف نبني الايمان؟

قبل هذه الدروس واثناء إلقاء دروس السيرة النبوية الشريفة سبق و أن ذكرنا ان الايمان نقطة بداية الطريق و الاساس الوحيد، و الرابط الوحيد بين الانسان و رب العالمين.

الايمان هو الطريق الوحيد للاتصال مع الله الرحمن فالآيات القرآنية الكريمة و الاحاديث النبوية الشريفة وسائل تُمهّد الطريق للوصول الى الايمان، اكدت الآيات القرآنية في (٨٧٠) موضع عن البعد الايماني في داخل الانسان، وذكر في (٨٧٠) موضع كلمة الايمان و مشتقاتها. ومن هنا تنشأ علاقة الانسان مع الله تعالى بصفته المؤمن و حين ذاك يتلقى المؤمن ما عليه من واجبات و يكون مستعداً في داخله لتلقي وترك الممنوعات بمعنى المنهي عنه. وهذا ما نبغي، وكذلك كيفية نشوء هذه التغييرات في داخل الانسان؟ وطرق ووسائل نشوء النوعي؟ وكيفية نشوء مراحل الايمان؟ والمثال الحي لذلك في القرآن هو رسول الله (عليه السلام و البركات) مع جمع الذين آمنوا مع الرسول (عليه السلام و البركات) (الذين آمنوا مع رسول الله).

الأمر الرباني

وكما هو معلوم ان اهداف كل الاديان هو بناء الانسان من الداخل، وكذلك كان هدف دروسنا هو بناء الانسان من الداخل كي يستطيع هذا الانسان ان يبني خارجه ايضاً. كما في جميع الكتب السماوية و على الاخص في القرآن الكريم

أكد الباري^{الرحمن} على بناء الانسان من الداخل، اذن فأى تغيير يطرأ على داخل الانسان يعمل على تغيير الانسان من الخارج تلقائياً وأما إذا حصل و لم يتغير الانسان من الداخل فكل الذي يظهر عليه هو تمثيل و دبلوماسية و تفنن، وبحقائق محدودة، هذا إن وجدت.

ولذلك نرى الصراع بين الاطراف مسجلة في القرآن بمكشوفية واضحة وبكل انواعه والوانه ويقوم بتشخيص أفق ومحاور هذا الصراع الضخم في داخل الانسان ومن ثم يتركه بسلاسة وتلقائية ليظهر وينكشف ذلك على خارجه، ولهذا نرى أن المأمورات في القرآن قد وردت بصيغة الامر (افعل) كقوله تعالى: (اقموا الصلاة و اتوا الزكاة) فكل الاوامر في القرآن تبدأ بكلمة (آمنوا) كقوله تعالى: (يا ايها الذين آمنوا اقيموا الصلاة)، (يا ايها الذين آمنوا) ومن ثم (آتوا الزكاة) هذه احدى ابعاد الاشارات القرآنية الايجابية لان بناء الانسان يبدأ من الداخل ومن ثم ينعكس تلقائياً على تصرفاته الخارجية، والبعد الآخر في ذكر المنهيات في القرآن هي بصيغة (لا تفعل) وقد سبقت ايضا ب(يا ايها الذين آمنوا) كقوله: (قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ) (النور: ٣٠).

وهذه الحالة متسلسلة في القرآن الكريم والمنهي عنه في القرآن بدأت بكلمة الايمان، فماذا نستنتج من كل ذلك؟ فأن عدم وجود الايمان الحق يضع الاعمال الظاهرة للانسان في محل الشكوك! فهو اما يرى نفسه في بُعد الفطرة او في بُعد العادة، ومن هنا فأن ترك الفطرة على ما هو عليه وعدم تحويله الى الفؤاد بصرف الجهود، فأن أي قوة خارجية آتية كانت أقوى من قوة الفطرة العادية لداخل الانسان يعمل على ازاحة اداء النهي للمنهي عنه في داخل الانسان، ولهذا نرى في انفسنا وفي هذا الجمع المبارك أعاننا الله، كم تعرضنا ونتعرض على الدوام في حياتنا الواقعية للصراع بأنواعه، فكثيرا ما قطعنا الوعود مع الله^{الرحمن} بأن نكون صادقين ومخلصين في عبادتنا له و أن نترك السلبيات والسيئات من افعالنا فغالبا ما نعود بعد فترة قليلة الى نفس الافعال السيئة حتى إذا كنا قد وعدنا انفسنا وجعلنا الله علينا شهيدا بأن نؤدي العمل الصالح، فادائه يكون مؤقتاً وإن حصل، وسبب هذه الحالة هو عدم تحول الفطرة وانما هي حتى أقل من الفطرة فهي موروثات بيئية لوسط متدين كالعائلة او الاصحاب

والاصدقاء فهو يحيا بتدين فيصلي لصلاتهم ويصوم لصيامهم تقليداً والعلاقة بينه وبين (رب العالمين) ^{الرحمن} مبنية على صراع في أقصى درجات قوتها، بحيث أن هذا الانسان لا يحس بالأطمئنان ولا بالأنشراح الداخلي، اذن ما ذكرناه من مصطلحات للإيمان يجب ان يشعر بها الانسان فيظهر في خارجه و سلوكه و تصرفاته و ادائه.

هل يصبح القرآن قديماً؟

أرى بأن الله ^{الرحمن} لا يرضى بالحالة التي نحن فيها ولا يقرها الله ^{الرحمن} ولا يحب أن يستمر عليها الانسان قديماً أو حديثاً، والامثلة على هذه الحالة كثيرة في القرآن وفيها تبين للتطور الايماني للانسان ووصوله لمستوى الابتعاد عن عصيان الله بمفهوم (الاثم)، (سنحاول أن نستعمل المصطلحات القرآنية ان شاء الله) ومن ثم الوصول الى مرتبة رضوان الله قبل الوفاة بعدة سنين، ولعلمكم ان قوانين هذا الايمان النوعي الذي ترقى اليه بتقوى يوصله الى حد تصفية كل الابعاد السلبية الموجودة في داخل ذاته، علماً بأن قوانين الله ^{الرحمن} هو بنظم واحدة وغير قابلة للمطاطية، كأن يعصي الانسان الله ^{الرحمن} على الكرة الارضية وفي نفس الوقت يكون الله راضياً عنه، لذا فإن القناعة البديهية تتكون عند هذا الذات المبارك، وبواسطة الايمان والتقوى الذي هو كالمصعد فيوصله الى الحد الفعلي لتصفية كل الابعاد السلبية الموجودة في داخل الذات، فيصل الذات الى الحد الذي لا يستطيع فيه ان يخالف عن أمر الله ^{الرحمن} وان بقي في الدنيا لمدة خمسة عشر عاماً، إن جمع الذين آمنوا (الذين آمنوا مع رسول الله) بآيات الله التي خلقها الله وآيات الله يمكن تكرارها وكل ما في القرآن ممكن تكرارها إلا علاقة الله المربوبة بنفسه وباسمائه وافعاله، فهؤلاء ليسوا بحالة تاريخية و هذه ليست لفئة معينة انتهت ولا يمكن تكرارها! إنما آيات الله اوجدتهم وهي قابلة لايجاد غيرهم أيضاً وتكرار نوعهم الايماني، لذلك فإن حالة (الجمع) الذي ما يقال لهم بالصحابة، ليسوا بتأريخين وإنما هي حالة يجب ان تتكرر وهي فعلا قابلة للتكرار الى يوم القيامة، إذن يجب بقاء نفس الوسائل والاسباب التي صنعت هذه

النماذج في الدين ليتسنى لأي إنسان في أي زمان وفي أي مكان أن يصل لنفس المستوى الإيماني الذي وصلوا إليه وإلا والعياذ بالله أن عدالة الله الرحمن مشكوك فيه وبحاجة إلى مراجعة، إذن يجب بقاء تلك الوسائل التي أوصلت عمر ومصعب و زبير بن العوام وأبو بكر إلى ذلك السقف الإيماني الذي حصلوا فيه على رضوان الله من قبل وفاتهم بعشرات السنين، فلكل إنسان إمكانية الوصول وببساطة لحالتهم وفي أي زمان متى ما شاء، وإلا والعياذ بالله نقول أن القرآن قد استنفذ فعاليته وطاقته على إيجاد الأشخاص بنفس المواصفات .

هنالك ٦٠ درجة من الإيمان

إن العلاقة الصميمية الجذرية بين داخل الإنسان وخالقه لا يمكن أن يتأسس أو أن يرتبط بظاهر مصطلح كلمة إيمان أو ما يعرف بعلم الكلام أو العقائد الذي ركز عليه القدماء رحمة الله عليهم في كتبهم، فإن القرآن لم يلقى الضوء على هذه المصطلحات وليست لها تلك المعاني المعنية لذلك، فإن الإيمان ليست فقط كلمة وإنما هي حالة تتكون في داخل الإنسان، لها أنواعها ودرجاتها ومن الممكن الإحساس بها مثلما يمكن التحسس بالأمراض من أعراض و ما إليه، للإيمان أعراض وأحاسيس داخلية ومؤشرات يحس بها الإنسان و يحس بمستوى ما وصل إليه من إيمان، ولذلك فإن أي خلل يصيب ذلك الإيمان يعمل على تحسس ذات الإنسان به، لأنه هو الآخر له أعراض كالمرض تماماً كما ذكره رب العالمين في القرآن (الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ) (محمد ٢٩) وعليه يتوجب على الإنسان أن يكون طبيياً لذاته ومعالجاً إياه وفي نفس الوقت يكون مستمراً في بناء ذاته ورفع مستواه الإيماني، ليصل إلى ذلك السقف الإيماني الذي يحس فيه برضوان الله وهو على قيد الحياة، ليحقق ذلك الإنسان إرادة الله مئة بالمئة فيصبح هذا الإنسان كالجهاز النوعي يعمل ما يطلب منه القرآن، فيصبح القرآن مرشداً ومهيماً على حركاته وسكناته هذا الذات، وبقناعتني سيحس برضوان الله قبل موته، وكل ذلك لا يحصل اعتباطاً وإنما يحصل بنظام خاص موجود في القرآن حيث تشير فيه إلى تطور الذات والمراحل التي يمر بها، فإن في القرآن

مصطلحات ذاتية متنوعة و تتغير بتقبل ذلك الانسان للايمان وتبعاً لذلك يتغير بها اسمه، فإن ما اسمناه بالانسان هو في القرآن الحد الأدنى للصفات الايمانية الذاتية.

وهذا إن وجد في هذا الذات المسمى بالانسان، واما اذا ما استجاب وأخذ(القلب) الايمان وشفى بالايمان فسيتغير اسم ذلك الذات (الانسان) ليصبح جزءاً من(الناس)، ولهم صفاتهم الخاصة بهم إذ ذكرهم القرآن في أكثر من ٢٠٠ موضع، هذا ومع زيادة استشفائه بالايمان يصبح(بني آدم)، وبحصوله على جرعات ايمانية اكبر يتغير ويصبح (بشر)، ومع تلمسه ايماناً اكثر يصبح (مسلماً) ومن ثم يدخل الى دائرة الايمان ليصبح (مؤمناً)، وللإيمان درجات فبين حده الأدنى والأعلى أكثر من ٦٠ درجة، حيث وضع الرسول (عليه الصلاة والسلام) حد لاقصاها وله فرعان: الأول في حده الأقصى يقوم بعبادة ربه كأنه يراه وفي الحد الثاني يصل في داخله الى حالة يحس بأن الله يراه حتماً وان لم يره هو، إذن فإن الايمان ليست باقاول ولا مصطلحات فقهية تُدون وتستوجد في الذات من غير ان يمر بهذه التجارب النوعية ومن غير ان يوجد هذه الحالات في داخله.

مبادئ الايمان ووعود الرحمن

عند نشوء هذه الذوات الايمانية النوعية المعينة فإن ارادة الله ووعوده ستتحقق مع جمع (الذين آمنوا) على الارض وإذا جاء ولم تتأصل هذه الذوات النوعية فإن وعود الله الرحمن والاعدادات لها تبقى متعلقة في السماء وتبعاً لذلك ينتج خلافاً نوعياً في تنزيل ارادة الله على الوجود وبين نوعية هذه الذوات القابلة لحمل ارادة الله للبشرية. ومن وعود الله هو ان الارض يهيمن ويسيطر عليها عباد الله المؤمنين الصالحين. هناك صعوبة وجفافية في الموضوع لان الخطاب هنا للعقول وليست للفطرة وعندما نتحول الى باب الفطرة في داخل الانسان فحين إذن ستخرج الكلمات من القلب لا من الافواه.

معرفة الذات

أن الأصل في هذا هو تعرف الإنسان الى نفسه، فهناك مجموعة من الصفات السلبية الموجودة في ذات الإنسان المذكورة في القرآن، وذلك ليعرف الإنسان مستواه؟ فهذه الصفات السلبية المذكورة في القرآن موجودة في ذاته وهي التي منحته الصفة الانسانية، ففي ٦٤ مرة ذكر (رب العالمين) الصفات (الْخُلُقِيَّةُ و الْخُلُقِيَّةُ) للإنسان في القرآن من الصفات السلبية للإنسان وهي موجودة في ذات الإنسان فعليه تعدادها بكل شفافية وصدق ليعرف بأي مستوى هو؟، فأن تعداد هذه الصفات السلبية في القرآن هو المعيار لكشف داخل ذلك الإنسان، وبواسطة هذه الموازين والمعايير يتعرف الإنسان على نفسه حقيقة، ويكتشف من هو هذا الكائن الذي اسمه فلان ابن فلان؟ وما هو وفق القرآن؟ وأي ذات هو؟ وبتصوري اذا اكتشف داخله بلا تستر ولا رتوش مع معيارية القرآن، عندها يحس بالمستوى الذي هو فيه، وبالمستوى المتدني الذي هو فيه وبشرط ان لا يتحایل على نفسه.

مستوى الإنسان وانخفاضه

يعرف الإنسان نفسه أكثر من ٦٠ صفة من صفات الإنسان المذكورة في القرآن، فيعرف نفسه بالكم المتوفر فيه فمن المحتمل ان يكون العدد قليلاً، إذن يكون مستوى انسانيته بهذا الكم، ومن المحتمل ان يزداد العدد المتوفر فيه فتكون صفاته الانسانية في ذلك المستوى، وإذا زادت صفاته الانسانية عن صفات أكثر من الستين السلبية فسينزل الى مستوى الحيوان (حاشا الجمع والحضور)، والذي نعتهم (رب العالمين) بالانعام.

ما يتوجب علينا

على الإنسان اولا معرفة ذاته، ثانيا تثبيت صفة الخلق على المخلوقات وهذا بحاجة الى عمل.

معرفة الله

ما هي العلاقة الموجودة بينه وبين المخلوقات؟ ومن المهيمن على هذه العلاقة؟ هو ذات الله الرحمن، ففي البدء يتعرف الذات الى الله باسماءه وافعاله القليلة والمحدودة، فتعكس حالة معرفة الله الرحمن فوق اسماءه وافعاله على ذاته، ليعمل عليها وبلا تشبيه كطالب الابتدائية الذي لا تقبله وزارة التربية العراقية ليدخل المدرسة حتى يصل الى عمر ومستوى معين، فمستوى عقل الطفل العراقي يستطيع ان يستوعب الحروف ويرسمها في دماغه في السادسة من عمره، وأقل من ذلك في اليابان، ولذلك لا يقبل هنا في الخامسة من عمره للدراسة، فالطالب يعرف قابليته وإن لم يعرف هو فمن حوله يعرفون ذلك، وعندما تتكون عنده القابلية في التفريق بين الحروف وطبع رسم.

الحروف في دماغه، ومن ثم دمج الحروف وتكوين الكلمات، فحين إذن ينجح هذا الطفل في الصف الاول، ولهذا فإن المعلمين الموجودون في هذا الجمع المبارك يعرفون منذ البداية في تعليمهم الحروف للأطفال فانهم يشبهون الحروف بالاشكال، فمثلا حرف النون يشبه شكل القدر الذي فيه كوب وهكذا فيشبهون الحروف بمنقار البطة او الوزرة. ... الخ، وذلك كله لطبع الصورة الخارجية في دماغ الطفل، فيطابق المعلم رسم الحروف مع الاصوات التي يصدرها في دماغ الطفل، فالطفل في عمر الرابعة لا يستطيع أن ينجز هذه الحالة، وانما يستطيع فعل ذلك في السادسة، فاذا استطاع ان يستوعب الحروف من دال والفاء وراء ويربطها مع الالف، ويتكون عنده المعرفة بها، عندها يستطيع الطفل في هذا المستوى العلمي من ايجاد الاقتدار الفعلي، لينتقل الى مستوى اعلى، ليتمكن في الصف الثاني الابتدائي من تكوين جملة، وفي الثالث الابتدائي يتمكن من حفظ الشعر، وفي الرابعة يتمكن من تكوين مجموعة من الجمل، وفي الخامس يتمكن من كتابة الانشاء، وفي السادسة يتمكن من الدخول في امتحانات البكلوريا، (ولله المثل الاعلى) فالحالة هي نفسها، وهذه من سنن الله في الوجود لصيغة التعليم والتفهم، ففي كل الكرة الارضية يتعلم طفل الابتدائية على هذا المنوال، وهذه قاعدة علمية، ومن المحتمل ان يتعلم الطفل بطريق أخرى ولكنها قد تكون سقيمة

وغير ناجحة، وكذلك في الايمان فيجب ان يصل الذات الى المستوى الفعلي لأعلان استعدادها لذات(رب العالمين)، فيقول ربي اني مستعد لأخذ الايمان، وكما قال الصالحون فالايان ليس بلبن ليتساقط من على كتف الانسان، فيجب تنشئة هذه الحالة في داخل الانسان، وكان لزاماً عليه معرفة نفسه ومستواه، ومن ثم عليه ان يعمل على ترك السلبيات الموجودة في داخله رويداً رويداً، وهذا بحاجة الى عمل و جهد، وعندها يتكون عنده الحالات الايجابية، فيتطور ويرتقي عند نشوء الايجابيات فيه وبتزعرع الايمان في داخله رويداً رويداً.

الموقع الجغرافي للايمان

إن أرضية التغيرات في داخل الانسان هو القلب، والقلب في الصدر وهو الموقع الجغرافي زرع الايمان، وداخل الصدر هو عاصمة الايمان، والدماغ هو الذهن الذي ينطبع فيه كل ما هو موجود في الخارج لينتقل هو الآخر بعد الممارسة الى داخل الانسان الذي أوجد الله الرحمن فيه كل معاني الارادة على مستوى الانبياء، بمعنى أن كل الأمور المطلوبة منه لرضا الله بمفهوم كلمة(افعل)هي اصلا مخلوقة في داخله والمنهيات بمفهوم كلمة (لا تفعل)موجودة ايضاً في الاصل في داخله، ولتقريب هذه البقعة في أدمغة حضراتكم سنمثله بالكومبيوتر(الحاسوب)الصغير، وهكذا هو داخل الانسان، فإذا لم يكن دماغ طفل السادسة من العمر في مستوى أخذ واستيعاب صورة وصوت الحروف لما استطاع من تكوين الحروف في دماغه ومن ثم تمكنه من تكوين الكلمة فعلياً، وكذلك يستطيع دماغه من تقبل عملية الجمع (1+1=2)، هذا كان لدماغ (ذهن)الطفل، ونفس الحالة هو في الايمان، وقد وضع الله الرحمن للايمان موقعاً آخر في الصدر الاوهو(قلب)الانسان، عاصمة الايمان هو الصدر، وفي نفس الوقت قد خلق الله الرحمن المفاهيم الايمانية وكل الأمور في داخل الانسان(الفطرة)، ولهذا فإذا أراد الانسان الآتي من بيئة نقية الدخول في الايمان فإنه لا يحتاج الى صراع كبير مع البيئة المحيطة به، فهو لا يسابق البيئة ولا يعوم عكس تيار الماء، ففطرة الانسان الموجود داخل بيئة جيدة يتقبل مفاهيم الايمان بسرعة فعلية، وهو عكس هذا للعصيان، فالشخص المؤمن أو من يريد الدخول في الايمان يلزمه

بذل طاقة مضاعفة للعصيان، طاقة بعكس فطرته المخلوقة فيه، وطاقة بعكس ارادة الله الرحمن، كقوله تعالى: (فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا) (الروم: ٣٠) لاحظوا كلمة الفطرة في القرآن (فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا) (الروم: ٣٠) جاءت بمعنيان (الانشطار والانشقاق)، فالانشقاق يعني وضع الخرائط، والانشطار للكون والوجود، (فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) (الانعام: ٧٩)، أو وضع خريطة لداخل الانسان بشكل فعلي وهو ما اسميناه بالكومبيوتر (الحاسوب)، وهي في الاصل تلك المفاهيم الايمانية التي خلقها الله الرحمن في داخل الانسان (فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ) (الروم: ٣٠)، إذن فأصل الموضوع هو في خلق الفطرة في داخل الانسان، فلماذا خلقت هذه الفطرة؟ (ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ) (فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ) (الروم: ٣٠) الدين القيم، جاءت كلمة الدين في كل القرآن بمعنى (المنهج) إذا كانت نكرة، وجاءت وبمعنى (الاسلام) إذا كانت معرفة، الدين يعني المنهج، إذن فهذا المنهج في الاصل مقوم في داخل الانسان كدين قيم وكله مبرمج ولم يأتي هكذا اعتباطية، ولهذا فكثيراً ما نرى في الكتب القديمة التي قرأناها وجود الله وحقيقة التوحيد لا ادري هذه الكلمات والافكار، على سبيل المثال قد اخبرونا في حينها عن العالم الفلاني الملحد تولستوي، وكان شخصاً ملحداً ولم يكن له علاقة مع الله، وعمره كذا من السنين شايب رأسه وإذ هو جالس على كرسيه وهو في عالمه الخاص به، فكثيراً ما يحصل للانسان حينما يجلس فيصفي فكره او عندما يقرأ فيجلس على الكرسي ويرفع قدميه او يرفع اطراف الكرسي الامامية من على الارض فيجعلها كالارجوحة او كالمهد فيبقى الكرسي على اطرافه الخلفية ويتلاعب به، فهذا ما كان يفعله تولستوي، ففي احد الايام وهو جالس وبين يديه كتاباً يقرأه ويتأرجح بكرسيه، فسقط قدراً على ظهره وتراها دفعة من أي من الملائكة، فعند سقوطه ذكر كلمة (يا الله) التي حاربها لمدة ثمانين عاماً، فطوال عمره حارب هذه الكلمة وأراد فعلاً ان يوجد في داخله عكس هذه الكلمة فتأتي كلمة (يا الله) على لسانه، فكان شخصاً عاقلاً وذكياً، وبدأ بالضحك على نفسه بعد قيامه، فنادي زوجته العجوز حيث كانت في المطبخ واخبرها بانها نطق بلسانه كلمة لم يتوقع ان ينطقها ابداً ولم يتوقع هذه الحالة، ولكن لماذا؟ هذا اذا جاء تولستوي وملايين.

الملحدين مثله ليتحدوا فطرتهم، فسيقوم (رب العالمين) الرحمن عليهم الحجة ويثبتها عليهم لامحالة، وهذه ارادة الله، ولهذا حتى كلمة (الكفر) وردت في القرآن بمعنى (الستر) فماذا يعني ذلك؟ ذلك يعني أن كومبيوتر (حاسوب) التوحيد موجود في داخل الانسان اصلاً، ويكفر هذا الانسان متعمداً مع سبق الاصرار، ويعنى ان هناك شيئاً موجوداً في داخله، وبلا تشبيه يأتي ويغطي نفسه بغطاء وهو موجود ليقول للعالم وللمقابل بانني غير موجود، فالفطرة موجودة في الاصل في داخله، فيأتي هو ويضع الغبار والأتربة على فطرته ليعلن كفره، وهذا هو مفهوم الكفر في القرآن، إذن ان الأرضية والموقع الجغرافي موجود في داخل الانسان وذلك ليستطيع ان ينشأ الايمان فيه، وهكذا ينشأ الايمان.

هل يستطيع كل انسان يستطيع أن يأخذ الايمان؟

يجب توفر وسائل مع نشوء هذا الايمان، فمعرفة الانسان نفسه من الوسائل، وكذلك لزوم وجود أرضية الايمان وفي نفس الوقت تواجد الكومبيوتر (الحاسوب) في الداخل ليستطيع من تنشئة الايمان، كما ذكرنا في مثال الطفل وهناك امثلة كثيرة بامكانكم مراجعتها، ولتنشئة الايمان لزم وجود وسائل مربوطة بذات الانسان وغير مربوطة بخارج الانسان، ويعني هذا انه حتى الشخص المحكوم عليه بالسجن المؤبد خمس وعشرون عاماً والجالس في متر مكعب واحد وإن كان فرعوناً يتمكن من صنع وتنشأة الايمان في داخله وبمستوى (الصديقين والشهداء والصالحين) وفي هذا المتر المكعب الصغير، فكل انسان مخلوق بهذه الحالة والامكانية، حتى الكفرة، وداخل كل الكفرة مخلوق بهذا الحال ولديهم من الوسائل توصلهم من مستوى الحد الاقصى من الكفر الى الحد الاقصى من الايمان وهذا إن شاءوا، فوسائله موجودة ويستطيع ان يستعملها وهي غير مربوطة بخارجه، وغير مربوطة حتى بخارج جسمه ولذلك فالايمن غير مربوط باليد، لماذا؟ لان الله الرحمن على علم بانه يأتي يوم ويظهر فيه طواغيت املهم قطع ايمان هذه الذوات المؤمنة، فلو كان ايمانه في اصابعه ويديه لقطعوا يدي هذا الشخص ليبقى هذا المسكين بلا ايمان، فلذلك فالايمن في

الداخل وحتى إذا ارادوا ان يخرجوا ايمانه فعليهم ان يقتلوا هذا الانسان ومع هذا فهم لا يصلون الى ايمانه، إذن فوسيلة تكوين الايمان ليست في الخارج، وانما هي في داخل الانسان ومربوطة بذاته، ذكر(رب العالمين) الوسائل في القرآن وقدم شيئان مهمان وهما(السمع والبصر)، وهما من اقوى الوسائل لتكوين الايمان في داخل الانسان، ولهذا وردا في كل القرآن بهذا الترتيب(إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ) (الإسراء ٣٦) ومن ثم يقول: (وَالْفُؤَادَ)، فالسمع والبصر والفؤاد مربوطان ببعض، فالفطرة اصلاً موجودة في داخل الانسان كما ذكرناه آنفاً وبواسطة (السمع والبصر) وليس(الاذن والعين)، فالسمع والبصر مختلفان ونأتي لنبين ذلك في المستقبل ان شاء الله، فالفطرة تبدأ بالتفعيل بواسطة(السمع والبصر)، وعند تفعيلهما يتحول جهاز الفطرة الى (الفؤاد)، كالطفل المتنقل من الصف الاول الى الصف الثاني وهو حامل لمؤهلات وملفات الصف الاول، وهكذا هو عند تحول الفطرة الى الفؤاد، وبواسطة سمع وبصر هذا الانسان يتطور بواسطة الفؤاد ليصل الى مراحل اخرى فيصل الى مستوى(العقل)، والعقل ليس في الرأس وانما في القرآن هو في القلب، طبعاً نتحدث عن القرآن، فالذهن في الرأس وهو العقل المادي والذي يحتوي على الجمع والهندسة والفيزياء والكيمياء، فكل العقول موجودة في القلب، وكل العلوم موجودة في الصدور وهي مربوطة بالفطرة، ف(السمع والبصر) يشتغلان بواسطة الكمبيوتر الموجود في الداخل.

فياترى من أيهما يتقبل الله؟

وجوب تواجد العوامل الخارجية ليتطابق مع الكمبيوتر(الحاسوب)الداخلي والمتمثل بالفطرة وذلك عن طريق السمع والبصر، ووجود العامل الخارجي لينتقل الى الكمبيوتر(الحاسوب)الداخلي المتمثل بالفطرة بواسطة السمع والبصر وهو ديسك(قرص) الكمبيوتر(الحاسوب)، فما هو الديسك(القرص)؟ هو القرآن، فالقرآن هو الجهاز الموجود في خارج الانسان، وهذه المعاني موجودة اصلاً في داخل الانسان، وبلا تشبيهه كجهاز التسجيل، ما إن وضعت فيه الشريط يبدأ بالتشغيل، فهكذا هو القرآن لداخل الانسان، فعندما يوضع

الديسك(القرص) في داخل جهاز الكمبيوتر(الحاسوب) فانه يؤدي عمله مباشرة، وهو كما اراد الله الرحمن وبالكيفية التي اراده الرحمن ويتقبل من هذا النوع فقط، وما تبقى هو غير مقبول في القرآن، وبهذه الطريقة يتقبل الله الاعمال، ان وجود جهاز الكمبيوتر(الحاسوب) وتفعيل كل من(السمع والبصر)يتمكن من نقل المفاهيم من داخل الديسك(القرص) الى داخل الكمبيوتر(الحاسوب)، فحينها كل من الايدي والعيون تبدأ بالحركة والنشاط، فتُحيا جميعها.

كيف تتعامل مع الله؟

وجود القرآن يعود الى داخل الانسان عند تفعيل الكمبيوتر(الحاسوب)، وحينها يبدأ الايمان بالنشوء رويداً رويداً ويرتقي، وهذه الحالة تعمل على رفع مستوى الايمان ووردت في القرآن بمفهوم(التقوى)، وهي كالمصعد، والمصعد هو جهاز يرفع الانسان الى اعالي القصور والابنية، فكلما التقوى في القرآن هو مصعد يرفع الانسان الى الاعلى، وقلة التقوى تهبطه الى الاسفل، فالتقوى هو مصعد يرفع الانسان.

الى المستوى الايماني الذي يرغبه، وقد وضع الله له خريطة وصوله الى المستوى الذي يعبد فيه الله كأنه فعلاً يراه، فعندما يقف في الصلاة ويقول: (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ)(الفاتحة) يكون مع الله الرحمن^{الرحمن} و يحس بوجود الله الرحمن وهيبته، ويحس بسمعية وبصيرية الله الرحمن وان الله رقيب عليه وهو فعلاً مهيمن عليه، وهي احساس حقيقية يشعر بها، وعند تواجده في الشارع يحس بوجود الله الرحمن، فالقضية ليست معارف في الدماغ، وانما هي حقيقة ملموسة وهو في باله ويحيى فيها، وبالطبع كل هذا له اعراضه، فيترقى هذا الايمان النوعي رويداً رويداً حتى يصل الى السقف وحتى ان لم يصل الى ذلك المستوى(جعله الله من نصيبنا جميعا ان شاء الله) فسيصل الى المستوى الذي فيه يحس بان الله يراه في كل وقت، والله الرحمن لا ينقطع عنه في أي وقت كان، والله موجود في كل وقت وهو السميع البصير والكريم اللطيف والرقيب المهيمن والعظيم القريب اليه، وتراوده هذه الاحساسيس في كل وقت، وعندها يتعامل مع(رب العالمين) بهذا المستوى، فعند اذن ينشأ ابو بكر المصغر وسهيب الصغير وليكن اسمه فلان وفلان، ولكن تعاد

نفس الحالة وتتكون، فحينها لا تتصور ان تجد عنده الكذب وفي قلبه سوء الظن (لاسمع الله) ولا الحقد والبغض او على لسانه الغيبة او ان يحسد ويظلم بيده ويغدر ويغش ويخون، وكل هذا مع الكفار فما بالك مع جمع المؤمنين، وتأتي هذه النماذج الى الوجود، وعندها يشغلهم (رب العالمين) كالملائكة، كالمثل الموجود في القرآن كقوله: (وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ) والزبور قديم (الأنبياء: ١٠٥) (مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ) (الأنبياء: ١٠٥) وكما ذكر الله: (إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِّقَوْمٍ عَابِدِينَ) (الأنبياء: ١٠٦) وفي المرحلة الثالثة (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ) (الأنبياء: ١٠٧)، ويعني هذا مع نشوء هذه النماذج ستقع الارض بايدي عباد الله (عبادي) فهنا الياء ياء مخاطبة أي لله الرحمن وصفتهم (الصالحون)، وهذا بلاغ وقد كتب قديماً، كالبلاغ العسكري الذي كنا نستمع اليه بلهفة وانتباه من جهاز الراديو اثناء الحرب العراقية الايرانية، وهذا ايضاً بلاغ ولكن ليس للانظمة المعينة وانما هو ل (رب العالمين) ولجميع البشرية: (إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِّقَوْمٍ عَابِدِينَ) (الأنبياء: ١٠٦) وهذه صفاتهم وهذا البلاغ لهم وليس للناس ولا للانسان، وهذا البلاغ هو بواسطة ذات سيدنا (محمد) (عليه الصلاة والسلام) (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ) (الأنبياء: ١٠٧) فإن ذاته و رسالته رحمة لكل البشرية ولكل الوجود، لكل جماد ونبات وحيوان، فهو رحمة لهذا الحائط ايضاً، ولهذا فان ممثل هذا الذات (الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ) (الأحزاب: ٣٩) وانتم هم النماذج انشاء الله، (الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ) في مستوى (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ)، (ارسلناك) فهو لاء يبلغون رسالات الله وهم مصغرون وهذا مستوى ايماني، فالتبليغ لا يمثل حفظ مجموعة كتب (كيف ندعوا الى الاسلام) او (ماذا يعني الانتماء الى الاسلام) عن ظهر قلب، فالتبليغ حالة في داخل الانسان ينعكس على خارجه، فحركاته ونشاطاته، ونظراته ومواقفه وابتسامته ولغته كلها من التبليغ، ويصبح حجة الله الرحمن في الوجود على البشرية.

أجمل الاحاسيس في حضور الرحمن

اذا ما جاء وكشف الانسان كومبيوتره (حاسوب) وعرف وسائله وطريقة عمله، وحصل على الديسك (القرص) والمتمثل بالقرآن، ووضع على جهازه وأبدى استعداد له (رب العالمين)، فنقوا بان الله الرحمن سيأخذ بيده حينها، وهؤلاء الذوات من يقول الله الرحمن فيهم: (وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا) (العنكبوت: ٦٩)، ووردت كلمة

(سبل) في كل القرآن لمفهوم الكفر، إلا هنا فقد جاء بصيغة الجمع وربط الله الرحمن كلمة (سبل) بذاته، فكلمة (سبل) هي جمع كلمة (سبيل) وورد في كل القرآن للكفر (وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ) (الأنعام ١٥٣)، ما عدا (وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا) إلا في هذا الموضع إذ يصرف الانسان الجهود، فيجاهد بهذا الشكل ليصل فعلاً الى المستوى الذي فيه يأخذ الله بيده وإذا اخذه الله فان جهازه سيشغل ويمضي هذا الانسان الى ان يصل الى السقف الذي وضعه له الله الرحمن، وصدقوا بأن الانسان الكافر والمؤمن لا يتوفى حتى يسحب الله منه آخر طاقة إيمانية فيه ليجعلها شهادة له في الآخرة، وحتى آخر لحظة من ايمانه أي بمقدار ايمانه الموجود يحيا هذا الانسان المؤمن، ولأقصد بالزمن هنا وانما الأداء النوعي، فسيختاره (رب العالمين) اليه عند انتهائه من طرح كل امكانياته، وكذلك هو الشخص المجرم والكافر، يمنحه الله الفرص حتى آخر لحظة من اعطائه المجال لمراجعة نفسه وعند انتهاء قابليته ينتقل مباشرة الى دار الآخرة لعلم الله الازلي بانه لم يبقى لهذا الانسان فرصة او قابلية للعودة الى الله، فالإيمان هو على هذه الشاكلة في كل القرآن ولذلك يأتي (آمنوا وعملوا) وبهذا يتحقق في الوجود نشوء تلك النماذج الفعلية التي تباهى بهم (رب العالمين) على الملائكة (إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً) (البقرة ٣٠) وهؤلاء يصبحون خلفاء، وما الخلافة؟ قرأنا من قبل آية (يَرِثُهَا عِبَادِيَ) (الأنبياء ١٠٥) فكلمة الخلافة من الوراثة.

دعاء

ارجوا البارئ تعالى وادعوه ان يجعل هذا النوع من الايمان من نصيبنا ويسهل لنا وسائلها ويوفقنا ويرشدنا الى الميل اليه ورضوانه إن شاء الله، أقول قولي هذا و أستغفر الله لي ولكم سبحان ربك رب العزة عما يصفون و سلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين..

و السلام عليكم و رحمة الله و بركاته.

الجزء الثاني

الفطرة و وسائل تفعيلها

وهل أن الفطرة موجودة في كل الاحياء؟

إن الحالة الخلقية الموجودة في الذات تُنشئُ تطابقاً مع كل المخلوقات الأخرى، وفي نفس الوقت هناك جزءاً آخر مخلوق في داخل الانسان مرتبط بالفطرة، جزءاً آخر مخلوق في كيان هذا الانسان بحيث انه مرتبط بالفطرة.

ماذا نعني بالفطرة؟

الفطرة عبارة عن هذا الجهاز الذي خلقه الله الرحمن في داخل كل الاحياء، لكي يتمكن وبنسبة معينة من التفريق بين الخير و الشر، ولقد خلق الله هذه الفطرة في داخل هذا المخلوق ليفرق بين الحسنة والسيئة. فعلى سبيل المثال الاميبا مخلوق صغير لا يرى بالعين المجردة الا بالميكروسكوب، اقر كل علماء البايولوجيا بأن للاميبا غشاء خارجي، وهذا الغشاء له القدرة على الامتصاص الاختياري، يعني لو اخذنا ماءً قذراً أو أي ماء، شريحة أو قطرة أو ذرة منها نأخذها ونضعها على زجاجة الاختبار تحت الميكروسكوب (المجهر) لرأينا فيها الكثير من المخلوقات، وللعلماء رأيٌ مشترك في ان الاميبا له غشاء يفصله عن بيئته الخارجية ويقوم بحمايته وله القدرة على اختيار وامتصاص المواد المفيدة من خارج جسمه، بأي شيء؟ أبالعقل! فمن الذي أعطى هذا التحكم وهذه القدرة لأميبا مخلوقة من خلية واحدة؟ الله الرحمن، ويقال هو بلاعقل، ولكنه يمتلك الفطرة، فبالرغم من ان الاميبا من الاحياء الوحيدة الخلية وبه يبدأ الحياة والمتناهي في الصغر، لكنه يعلم بان النفط الموجود في الوسط الذي يعيش فيه مضر لذلك فهو لا يمتصه، وإنما يقوم فقط بامتصاص المواد المفيدة لجسمه.

هل للنبات فطرة؟

إذا اتجهنا تصاعدياً على مهل نحو كلامي دوموناس --برامسيوم فهما من طبقة الارتقاء الخلقى (المتطور)، وضعهم الله بتسلسل وبتطور خلقى على هيئة طبقات حتى يصل الى النبات، ووهب الله الفطرة للنبات فان جذورها التي في الارض لا تمتص شيئاً الا بارادتها ولا تمتص الا ما يلائمها ويناسبها، وهذا يعني ان النبات يتحكم بكم الماء الممتص، وبنوعية المادة الممتصة، ويمتص الاملاح عند احتياجه للاملاح، وعند اكتفاء حاجته من الاملاح فهو لا يمتصه وان امتلء

ما حوله بالاملاح وذلك لعدم حاجته اليه، وإذا احتاج الى كم ونوع من الماء فانه سيمتص ذلك النوع من الماء وإلا فانه يتمرد على فطرته، إذا كنتم قد لاحظتم البرتقال واليوسفي إذا نضج ثمره ولم يقطف من الشجرة حتى فصل الخريف فان الشجرة تقوم بامتصاص كل محتويات البرتقالة او اليوسفي، فان اصحاب البساتين او عماله يلاحظون ذلك، وقد وهب الله الفطرة لهذا الكائن، ونفس الشيء في الحيوان، وللتجربة خادمكم انا كنت متفرغا لفترة فقامت باجراء تجربة الفطرة على القطة، ولاثبت لكم باني احسست بالتجربة ان للحيوانات فطرة، تفرق بها بين الحسنة والسيئة، ففي الثمانينات كنا نعتني بقطة وكان اللحم حينها متوفراً وبكثرة، فكنا قد عودناها ان نطعمها لحماً، فكانت القطة تحضر في وقت وجبتها لتأخذ حصتها وتذهب لتجلس غالباً باسطة ذراعيها لتبدأ بالأكل على بعد متر او متراً ونصف المتر، وكانت في الغالب تحرك شاربها تعبيراً عن احترامها وتقديرها لنا اثناء الاكل، فقمنا بتجويعها لمرة ومرتين ووضعنا لها حصتها من اللحم ولكن لم نعطيها اياها، ثَقُوا بانها في المرتين هاجمت واخذت اللحم واكلتها في السر، وكانت ترفع رأسها في الحين والآخر لتتنظر هل هناك من يطاردها أو لا، فلماذا كان هذا رد فعل الحيوان؟ لانها علمت باننا لم نعطيها اللحم برغبتنا، وعلماً كان ذلك من حصتها وحققها، هربت لانها جاءت وأخذت حصتها بدون رضانا، فابتعدت لتأكل حصتها بعيداً عنا، فلو كانت في أمان منا لجلست امامنا وأكلت حصتها، إذن فالحيوان بحيوانيته يفرق بين الحلال والحرام بواسطة فطرته.

الضمير أم الفطرة؟ (تفعيل الجهاز)

لنرتقي عن ذلك قليلا ونقف عند الانسان، فهونفس الشيء عند الانسان، المعاناة موجودة في داخل حاملي المبادئ الغير اسلامية، فالالم والعذاب في

داخلهم، تحت مسمى مفهوم ومصطلح (الضمير)، فهم غالباً وإن لم يكن على الدوام غير مرتاحين، هم غير مرتاحين في حياتهم، لان هناك مبادئ انسانية، واساساً قد عود الانسان نفسه على محاولة علاج معاناة المجتمع، ولان محاولته ليست وفق فطرته فهو سيعاني ويتعذب. إذن فإن الله المتعال^{الرحمن} قد خلق في داخل الانسان جهازاً معيناً سماه الفطرة، وكل انسان يملك هذه الفطرة، كل انسان، الكافر والمجرم والفاسق والفاجر والشخص المؤمن والصالح و(النبي) كل هؤلاء يملكون الفطرة، و الفطرة جهاز فارق بين الخير والشر، وهو الفارق بين الحلال والحرام بالمصطلح الشرعي القرآني، وهو مخلوق في كل انسان.

لماذا هم يعترفون بذنوبهم؟

الفطرة جهاز موجود في داخل صدر الانسان، تبرمج وفق ارادة الله، وُضع فيه جدول الضرب، فيرى العين اللون الابيض بالابيض واللون الاسود بالاسود، وكل البشرية ترى الابيض بنفس الدرجة من الدقة، والاسود بنفس الدرجة من الدقة، وبهذه المعاني خلق جهاز الفطرة في الداخل، خُلق ليتمكن من الاحساس بكل درجات الظلم، وليتمكن كل انسان من تمييز العدالة وبنفس المستوى، بمعنى انه يحس بالظلم إذا ظلم، وعند عدله يعرف بانه قد عدل، وعند احسانه يعرف بانه قد احسن، وعند اقترافه للجريمة يعرف بانه قد اجرم، فهذا الجهاز هو في داخل الانسان، ولهذا ترى في كتب مذكرات العباقره وفي معظم لقطات مذكراتهم حديثاً عن حالات اقترافهم للسيئة واقترافهم للجرائم، وما عدا هذا هناك كلمة (تأنيب الضمير)، العذاب النفسي، فنفسية هذا الشخص في الم وعذاب، وفي نفس الوقت يطلب من قاريء كتابه ان يحاسبه، لانه فطرةً احس في داخله بجرمه فتجراً واعترف بجريمته لكل قراءه المقابلين له، ولكي يعاقب نفسه في داخله يدلي بان القاريء سيحاسبه على جريمته، لماذا؟ لان جزءاً من الفطرة

المخلوقة في داخل الانسان سيقوم بمحاسبته، فان لم يكن هناك من يحاسبه فسيحاسب نفسه بنفسه، اما مع داخله او بلسانه او بقلمه، ولهذا نرى العمالقة من القدماء المجرمين على الكرة الارضية، قد أجرموا بحق الله او بحق عباد الله او مخلوقات الله، فانظروا الى نوعية اعترافهم بجرائمهم، فكان القصد من ذلك اشباع الفطرة، وراحة الجزء الفطري المخلوق في الداخل والذي يقوم بالمحاسبة، فيريح نفسه متخيلاً بان القاريء الفلاني للكتاب سيحاسبه، واقصى ما يقوله هذا الشخص عن ظلمه: هو بانه ظالم ومتعطرس، إذن فكل هذه المعاني موجودة في جهاز الفطرة، ومخلوقة فيه وهو يحس بها.

اثر الشيطان

كما تحدثنا سابقاً بان الانسان يحس في داخله بالظلم اذا ظلم، فيقوم باداء هذا الظلم في الخارج، لان هذا الانسان في داخله يرغب في اذية انسان ما، فاما في داخله او في خارجه، هل تعلمون بان الانسان الذي يرغب في داخله من اذية احد سيكتب له ذلك في صفائح فطرته، وإذا أراد ان يتصدق او ان يحسن الى انسان فسيكتب له ايضاً في دفتر فطرته ويؤشر عليه، لان الداخل ينقلها الى الخارج بهيئة عمل، اما باليد، بالقدم، بالعين، باللسان، بالارادة، فالمعاني الموجودة في خارج الانسان هي اصلاً موجودة في داخله، فاذا اراد ان يظلم فسيؤديها في الداخل ومن ثم سيؤديها في الخارج، وإذا اراد أن يحسن فسيحسن في داخله ومن ثم سيحسن في خارجه، وإذا أراد التعبد فإنه سيؤديها في الداخل اصلاً ومن ثم يؤديها في الخارج، وهذا كله من معاني التطابق الداخلي مع الخارج، والشيطان له المقدرة على تحريف هذه المفاهيم، وخصص(رب العالمين) ذلك للانسان والجن فقط، دون جميع المخلوقات ولم يكن له علاقة بالمخلوقات، ووضع جهاز آخر فقط في خارج الانسان والجن وذلك ليعاون

جهازهم الداخلي، فينشأ تطابقاً في الجهازين الخارجي والداخلي، فمن صنع هذا الجهاز في الخارج؟ الله الرحمن، ويتحقق إرادة الله عند التطابق بين الجهازين الخارجي والداخلي، أطلقنا اسم الجهاز على الخارج للتوضيح فقط.

هل يفهم الرسالة بدون القراءة وكتابة؟

نملك نوعان من الأجهزة لاتمام التطابق بين الداخل والخارج وهما:

أولاً: الإنسان ثانياً: ما نُزِلَّ على الإنسان، و (الرسالة) هو ما أنزل عليه، والمرسل إليه اسمه (الرسول)، والجهاز هو ما يُنزل على الإنسان، والرسالة تتطابق كلياً مع المفاهيم الداخلية للإنسان، وهذا الإنسان قد (اصطفاه الله واجتباها)، وهو يمثل الرسالة بكل معاني الكلمة، وهذه الرسالة موجودة في داخل وخارج هذا الإنسان بنسبة ١٠٠%، إذن داخل وخارج هذا الإنسان المسمى ب(الرسول) يمثل الرسالة بأكملها، هذا وإن لم يستطع الإنسان من قراءة ذاته الداخلية لوجود ما يمنعه من ذلك، يستطيع من قراءة خارجه وذلك بواسطة شيين الأول: الرسالة، والثاني: الرسول. فالذي لا يعرف القراءة والكتابة لقراءة وفهم الرسالة، باستطاعته أن يقرأ أفعال وتصرفات وسلوك الرسول إذن هناك تطابق بين الطرفين، الرسالة والرسول مع معطيات وموجودات داخل الإنسان.

رضوان الله

يتحقق إرادة الله مئة بالمئة في ذات الإنسان عند حصول التطابق والتوحد في داخل الإنسان مع خارجه والمتمثل بالرسالة و الرسول، تتحقق إرادة الله بكلمة (إفعل) أقم الصلاة، صم، احسن، أد الزكاة أوب (لاتفعل)، لاتقتل لاتكذب، لاتسرق، لاتغترب، لاتفتري، لاتقترب من الفاحشة، ويأتي كل ذلك الى الوجود

بكلمة (لاتفعل)، وعند حضور كل هذا الى الوجود بتطابقية سيحصل هذا الانسان على الايمان، وفي اول لحظة تواجد هذه الحالة فيه، ولا يبقى سوى ترقيه رويداً رويداً حتى يصل الى مستوى رضوان الله، وهو المستوى الذي يمكن إيجاده ولمسه بجهد قليل ومعين، ولكي يصل الانسان الى مستوى الرضوان (رضوان الله) يحتاج الى جهد معين وقليل من العمل على ذاته، والتطابق بين الداخل والخارج يحتاج الى عمل، فخذ من الاميبا الى النبات والى الحيوان الى ان تصل الى الانسان، كلهم يحسون بالحسن والسيء من اعمالهم بالفطرة، فيحس الانسان كما يحس الحيوان بان هذا حسن وهذا سيء.

مافائدة المنهيات اذا كانت محببة؟

طبعاً هناك جملة من الآيات والأحاديث في هذه المواضيع بالتعميم، فمثلاً هناك حديث موجود في البخاري حيث كان الرسول (عليه السلام و البركات) مع جمع الذين آمنوا في مكان حادثة ما حدث يوماً إذ جاء الطائر شاكياً حاله الى الرسول من احد الصحابة، إذن فالطير بفطرته يحس بانه قد ظلم (وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمٌّ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ) (الأنعام ٣٨) وحتى بالنسبة للنبات فهو موجود في البخاري: كان لرسول الله (عليه السلام و البركات) منبراً من جذع النخلة يصعد عليه في ايام الجمعة ليلقي خطبته، فاقترح له أحد الصحابة ببناء منبر جميل من الخشب للرسول يليق به وبمراقي ثلاث، فصنع الصحابي المنبر الجديد و وضعه في مسجد الرسول المبارك (عليه الصلاة والسلام) فلم يقف الرسول على المنبر القديم وانما وقف على المنبر الجديد، فاصدر جذع النخلة صوتاً وانيناً شوش على الرسول حتى انه لم يستطع ان يخطب خطبته الاولى، فنزل الرسول (عليه السلام و البركات) ووضع يده المباركة على جذع النخلة لاقتناعها وارضائها وقال لو لم افعل هذا لبقى الجذع يأن الى

يوم القيامة، فهذا نبات ونحن مؤمنون بوجود الفطرة بالأصل، فيقوم الانسان بعمل معين، فتتحول الفطرة كما تقوم اجهزة المعامل بتحويل المواد الاولية الى اشياء اخرى، فيتم انتاج هذه الحالة وقد اسماه القرآن بالايمان، فلن يُطلب المأمورات ولا ينهي المنهيات من الانسان الى ان ينشيء هذه الحالة في داخله، قناعةً لو نظرتم الى القرآن من بداية سورة الفاتحة الى نهاية سورة الناس(قل اعوذ برب الناس)لم يأمر الانسان بفعل شيء اوالنهي عنه حتى يتوافر فيه اصل الايمان، لانه إذا طلب منه ولم يكن الايمان موجود فيه اصلا فالحالة تكون غير مقبولة وهذا فطري، وإذا نهي عنه ولم يكن الايمان موجود في داخله ايضاً فانه لايعمله في الظاهر ويحبه في الداخل، وحب ذلك في الداخل لاينهي المنهيات، فالايمان هو نشوء حالة من الكره لما نهي عنه في داخله، والمثال على ذلك: وجوب ترك الانسان المدمن على الخمر عند دخوله دائرة الايمان، فعليه تركه لانه منهي عنه(إنما الخمر والميسر...فاجتنبوه)(المائدة.٩٠)، ولان الايمان لم ينشأ في داخله فمن المحتمل ان يمشي امام بار(حاشا مقام الجميع) فيشتهي الخمر، فيرى كأس الخمر وماركته والى وضعيته الجميلة و..و.الخ، فمن المحتمل ان يميل اليه وهذا الميل هو حرام، فلايميل اليه إن كان مؤمناً، فلايميل اليه إذا كان الايمان موجوداً في داخله.

مشتقات الايمان

حقيقة الايمان هو تواجد هذه الحالة في داخل الانسان، ويجب ان يكون هذا الايمان في تصاعد وبناء، وإلا فهو في حالة مرضية وعليه مراجعة نفسه، وعندها يكون ايمان هذا الذات معتبراً عند الله الرحمن، حيث انه يستطيع فعل المأمورات، ويقوم بالمأمورات بدون تكليف داخلي او احساس بالخرج، فلايقوم الى الصلاة تخلصاً منها وانما شوقاً وراحة، فينشأ الصلاة في داخله شوقاً

وراحةً واطمئناناً، فيريح الصلاة داخله كما قال الرسول (عليه السلام و البركات) لبلال (أرحنا بها يا بلال)، أرحنا بها، ويجب ان يراجع هذا الشخص داخله إذا لم يرحه الصلاة، ولهذا فيجب تواجد الايمان أصلاً في داخل الانسان عند القيام بالمأمورات وإلا فعمله فطري، وكذلك يجب تواجد الايمان اصلاً في داخل الانسان لنهي المنهيات، وهذا مبدأ القرآن، وقد ذكرنا في الاسبوع السابق ذكر الله الرحمن الايمان ومشتقاته على هذه الشاكلة في القرآن في (٨٧٠) موضع، والايمان في الاصل هو محرك يدفع الانسان لعمل الحسنات، وفي نفس الوقت هو سياج وسد امام السيئات، ولو لم يكن هذا الايمان النوعي موجوداً فقد يقوم بالعمل ولكنه عادي وفطري، ويمنع نفسه من المحرمات ولكنه مرة اخرى فطري وليس في محل اعتبار. كيف؟ مثلاً من الغير معقول ان نذهب جميعاً الآن الى البار، اليس كذلك؟ فإذا كان ايماننا في مستوى عالي فهو الذي يمنعنا من الذهاب الى البار، وليست الاعراف وليس من المعقول ان يرى الصديق الفلاني ابن فلان او الشخصية الفلانية في البار، ويحتمل ان نعبر الشارع عند سيرنا في الشارع لكي لا يرانا احد نسير من امام السينما، وهذا كله فطري، واما إذا كان الايمان موجوداً فالاحساس في الداخل يضيء الضوء مباشرةً فيجتنبه ويتعد عنه، وهذه الحالة من الايمان، وكل هذه النقاط المذكورة مقدمات لوضع الاعتبار للايمان.

مراحل بناء الإيمان

المراحل بعد هذه النقاط تصنف الى عدة اقسام:

المرحلة الاولى: كيف يتم نشوء هذا الايمان والاصح كيفية احياء هذا الايمان؟ تحدثنا في الاسبوع الماضي عن الوسائل والجهاز الموجود في داخل الانسان ألا وهي الفطرة، وهذه الاحاسيس موجودة ومخلوقة أصلاً في داخله، وتوجب توفر الوسائل لتحويل الفطرة الى الايمان، ففي القرآن سمي الله الرحمن الفطرة قبل

تغيرها و نشوء الايمان بالفؤاد، ويعني هذا ان تفعيل الفطرة بواسطة الوسائل تحولها الى فؤاد، فينتج عن الفؤاد اشياء أخرى ومنها العقل، والعلم والذكر، وكل من هؤلاء موجودين في داخل الانسان(القلب)، وعند تحول الفطرة الى الفؤاد ينتقل إلى الفكر ومن ثم الذكر....الخ، وكل ذلك من مراحل الايمان.

المرحلة الثانية: (السمع والبصر) من وسائل نشوء الايمان، وبهما يتحول الفطرة الى الفؤاد، فالسمع والبصر غير الاذن والعين، فهما مختلفان، فالسمع والبصر مختلفان فكأنه هناك أجهزة أخرى يعملان خلفهما، فالعين يرى والاذن يسمع، فاذا كانت عندك الارادة والسيطرة على نوعية عمل العين والاذن فعندها تكون قد تحكمت عليهما لتحويل الفطرة الى الفؤاد، فمثلاً هناك عدة تخصصات في كلية الهندسة في اربيل، منها: الهندسة المعمارية، الهندسة المدنية، الهندسة الكهربائية، هندسة الديكور، والهندسة الجمالية، فالمهندس المعماري يقوم بوضع الخرائط للبيوت وتحديد عدد طوابقها، ووضع خرائط للدكاكين وكيفية بنائها وهذا هو اختصاص المهندس المعماري، والمهندس المدني هو مهندس ايضاً ولكنه ينظر الى خريطة البناية ويعرف مقدار ما يتطلبه من اسلاك الحديد والرمل والاسمنت، وهذا عمل المهندس المدني، ومهندس الديكور يقوم بتصميم واجهة البناية، شكله ونوعه، من بروز وتقوسات، وهذا عمل مهندس الديكور، ويأتي مهندس الجمالية لينسق بين الديكور والالوان، فمثلا يصبغ هنا باللون التبني وهنا باللون الفستقي، فكلهم مهندسون وعملهم موحد، فاذا استدعينا صديقنا المعماري وقلنا له انظر الى هذا الموضوع، فسينظر الى الموضوع بعين المعيارية، وبعين المهندس المعماري، ولاينظر اليه بعين المهندس المدني، وهذا واضح، فالمهندس المعماري ينظر الى الارض فيضع خريطتها فيعرف كيفية بناءها، ولعلاقة له بعد ذلك بلون البناية وديكوراتها والبروز التي فيها، ولعلاقة له بما يحصل للبناية بعد ذلك، إذن فنظرة عينه تختلف عن نظرة عين المهندس المدني، وحين نأتي بالمهندس المدني ونقول له باننا نريد ان نبني هنا

بناية، فما هو عملك؟ فسينظر هو بعينه المتطابقة مع علمه فيقول: سيتطلب كذا طن من الاسلاك الحديدية، وكذا طن من الاسمنت، فلا علاقة له بكيفية حفر المهندس المعماري للاساس، والاثان مهندسان، فعندما ينظر للخريطة لايبدي رأيه في تغيير اماكن الابواب فلا علاقة له بذلك وليس ذلك من اختصاصه، فبأي شيء استطاع ان يخمن مقدار ما يتطلبه البناء من اسلاك واسمنت؟ بعين المهندس المدني الذي درسه في الكلية لمدة اربع سنوات، ونطلب من الآخر بان ينشيء ديكوراً للبناية، إذ لايمكن ان نترك بناية ضخمة من غير ديكور! فلاعلاقة للمهندس المعماري بذلك فهو يرسم الخريطة ويقدمه، والمهندس المدني خمن كمية الاسلاك الحديدية والاسمنت، ويأتي مهندس الديكور وينظر الى ما حول البناية فيقرر ان يجعل الديكور ملائماً لما حوله، والمثال على ذلك بناية كلية الشرطة في بغداد، فالذي ينظر الى البناية عن بعد من عند مايسمونه ب(نصب الشهيد)ستراها وكأنها قبعة شرطي موضوعة على الرأس، فلماذا قام المهندس بتصميم البناية على هيئة قبعة شرطي، لانهم كانوا قد اخبروه بان يصمم ديكوراً لبناية كلية الشرطة، والقبعة من هيئة الشرطي فبنى البناية على تلك الهيئة.

رؤية مختلفة

اذا ذهبنا الى شارع عمر عند بناية الامانة العامة، والامانة العامة في بغداد لها علاقة بالبيوت وامانها، فترى البناية قد صممت بدقة متناهية وذكاء من قبل مهندس الديكور حيث قام بعمل فعلي تطابق لشكل البناية مع مطلب الامان، إذن فمهندس الديكور يملك نظرتة الخاصة للموضوع وينظر بعينه لابعين المهندس المعماري اوالمهندس المدني، فيأتي مهندس الالوان والتجميل على نفس الشاكلة ويقرر لون البناية، فمثلاً يقوم بتلوين القبعة الموضوعة على الرأس في بناية

كلية الشرطة باللون الاخضر، لان الخريطة كانت قد وضعت في زمن (عبدالكريم قاسم) وقبعة كلية الشرطة كانت خضراء آن ذاك، وكأنك ترى وجهاً بحواجب وشوارب وما الى ذلك وقبعة ملونة بالخضراء، إذن نظرة مهندس التلوين والجمالية للموضوع وحتى تلوينه كانت على هذه الشاكلة، ومن هذا يتبين لنا ان العين لها تخصصاتها، ولهذا ترى فينا نحن الشباب حالة، فمثلاً تسأل المارين في الشارع سؤالاً، شاباً كان أم مراهقاً ولا علاقة بالتدين في هذا، كم عدد الصور التي رأيتها اليوم؟ فهو حتماً قد رأى صوراً كثيرة، عشرات من سيارات السوبر، وعشرات من المركبات الطويلة، ومئات من الاناسين (البشر)، فتقول له هل طبعت كل هذه الصور في دماغك؟ فسيجيب بلا، اسأله ما الصورة التي طبعت في دماغك؟ فسيقول والله صورة السافرة الفلانية في المكان الفلاني! فلماذا؟ لانه ينظر الى هذه الحالة بهذا العين، فلم يعطى اهتماماً لكل السوبرات فهي حالة مارة عادية، وكل هذه البنائيات، ولايهم لكل من يأتي ويمضي، فعندما ينظر الى المارة ستقع عينيه على السافرة مباشرة كالمغناطيس لاحساسه الى الحاجة الجنسية في داخله، صدقوني سينطبع ويتحمض ذلك في دماغه، فهو مختص في هذا الجانب، اسألوا إذا شأتم، وكذلك في الاذن، عند تحول الاذن الى السمع، فكما تعلمون ان حب الاصوات من طبيعة الانسان، على سبيل المثال "الصديق الفلاني يُحب صوت القاريء المنشاوي والصديق الآخر يُحب صوت عبدالباسط، وذلك لتقارب الصوت مع نبراته الداخلية، ونفس الحالة لمن هو في خارج دائرة المسلمين، فمثلاً الصديق الفلاني يحب صوت ام كلثوم، والآخر يحب صوت حسن زيرك، لماذا؟ لانه عند دخول الصوت الى الاذن يتفعل ما في داخله فينتقل الاذن الى ال(سمع)، نظر صديقنا المعماري بعين الهندسة المعمارية الى البناية فاصبح عينه (بصراً)، ونظر صديقنا المهندس المدني اليه بعين ما يكلفه من اسمنت واسلاك حديدية، فتحول عينه مباشرة الى (بصر) لاستعماله كل افكاره وعينه العادية، وصديقنا الذي في الشارع نظر الى

السافرة بعينه ولكنه حوله الى (بصر). ونفس الشيء في الاذن، وكل ذلك كان للتوضيح.

السمع و البصر جهازات للتغيير

يريد الله الرحمن الانسان أن يشتغل قليلاً على أذنيه وعينه لكي ينشأ عنده السمع والبصر، وينشأ عنده توجهات واهتمامات كالأضوية العالية (البلاجكتور) وذلك عند نشوء (السمع والبصر) مباشرة، ويتوجه (سمعه وبصره) للشيء الفلاني كما في صحن الستلايت يعمل عندما يتم توجيهه، فعندها تتحول (الفطرة) مباشرة الى (فؤاد)، وهو شيء سهل وبسيط جداً، عندها يستطيع الانسان ان يحول فطرته الى فؤاد خلال عدة ساعات، إذن فالسمع والبصر جهازان موجودان في داخل الانسان، فمتى ما امتلك الانسان الارادة وتمكن من تفعيلها عندها قام بتغيير (فطرته) الى (فؤاد)، وبهذا انشأ ارضية الايمان.

الأمنية الكبرى

إن أعاننا الله و وافقتموني على طلبي في بداية الدرس، ونتفق معاً على صيغة درس الاسبوع المقبل وذلك لتحويل (السمع والبصر) قرانياً الى الفؤاد، تغيير الفطرة بواسطة السمع والبصر الى الفؤاد، وإن كنتم معي ذهنياً و فعلياً، فافتنعوا بانه في وقت قصير سينشأ جمع من المؤمنين كما كان في زمان الرسول (عليه السلام و البركات)

وساعطيكم الضمان بتنشأة جمع كجمع الصحابة في زمان الرسول (عليه السلام و البركات)، والمطلوب وجود الارادة و الاستعداد الفعليين في داخل الانسان ليتمكن

فعلياً وببطيء من تغيير هذه الحالات، في مثال المحاضرة السابقة تحدثنا عن طالب الصف الاول الابتدائي في بدايته، يُعَلِّم معاني الحروف والاصوات وكيفية تلفظها، بحيث يكون في عمر معين ويملك الاستعداد للتعلم، وحتى إذا كان هذا الاستعداد الموجود فينا.

نوعياً فافتنعوا باننا سننشأ جمعاً من المؤمنين النوعيين، فهذا المؤمن في الوجود على الكرة الارضية لا يأتي بالمعصية، ولا يستطيع ان يعصي حتى اذا اراد ذلك، لا يتمكن من ادائها، يصل الى مستوى تتكون الولاية النوعية بينه وبين الملائكة، وتماس ايجابي وعلاقة ودية ورفاقة، ويحس بولاية الملائكة وبجملة من الامور، كأموره البشرية والايمانية، ويسلمها للملائكة فتقوم الملائكة في بعض الاحيان بانجازه له، على سبيل المثال: ان قيام الليل واجب عليه، فتقوم الملائكة المتخصصة بايقاضه، وهذا موجود في صحيح البخاري، بان هناك ملائكة قد عينه له الله الرحمنمختصة بايقاض الانسان ذو الارادة، فسيصل الى هذا المستوى بشرط ان يكون الاخلاص والصدق موجودان في الداخل، وبلا ديكورات ورتوش وبلا اية مقدمات، فارادته مئة بالمئة لله.

ارجوا من الباريء تعالى ان يمنحني هذه الحالة التي ادعوها لكم بعون الله، ومن ثم فيكم ان شاء الله، ولنظافة ونقاء وصفاء هذا الجمع المؤمن المنشيء فينا ان يرانا مؤهلين واصحاب لذلك، وبنا يتم تحقيق الارادات المستقبلية ان شاء الله تعالى.

الجزء الثالث

التطابق بين الفطرة و ارادة الله الرحمن

في المحاضرتين السابقتين، كنا قد ربطنا داخل الانسان وخارجه بالمخلوقات الكونية في الوجود، وهو تطابق الفطرة في داخل الانسان مع ارادة الله الرحمن في خارج الانسان والمتمثل بالمنهج والكتاب المنزل على الانسان، ومختصراً قلنا بان الايمان هو التطابق لهذه الحالة، ونشوء الايمان في داخل الانسان.

ما هي وظيفة المخلوقات؟

الله (المتعال) خلق كل المخلوقات في الوجود بقوانين دقيقة وموجهة وذلك للسجود والتسبيح وبها يؤدون اعمالهم و وظائفهم، السجود والتسبيح لله هو الهدف من خلق كل من الشمس والقمر والارض والانسان، و عندما تقوم هذه المخلوقات بأداء السجود والتسبيح لله فهي تؤدي وظيفتها ومهمتها في الوجود، فانعكاس حرارة الشمس واشعتها، جاذبية القمر وانعكاس نورها على الماء، فكل ذلك اداء للوظائف اثناء التسبيح والسجود.

ما موقف الانسان من هذه الواجبات والوظائف؟

الانسان من احد المخلوقات وهو بلا شك يتم تنفيذ القوانين المتنوعة عليه كالموت والحياة والاكل والتكاثر، ولكن أمره الله (الكبير) بالسجود والتسبيح منفصلاً وذلك احتراماً وصلاحاً له، وبقوانين موجهة، يسبح الانسان ويسجد لله الرحمن كباقي المخلوقات فهو جزء من هذه المخلوقات، فان شاء الانسان ام ابى هو في سجود وتسبيح كما ذكرنا في الدرس السابق، موت الانسان ونشوءه، اكل الانسان وهضم الطعام في جسم الانسان، دقات قلب الانسان، كل هذا سجود وتسبيح تبعاً لأمر الله الرحمن، ولكن احتراماً وتقديراً من الله الرحمن لهذا المخلوق المسمى بالانسان، أضاف له اوامر أخرى، كأمره بالسجود والتسبيح (له الخلق والامر)، وبهذا المفهوم أُمر الانسان بالسجود والتسبيح لله الرحمن وما عدا هذا فهو عليه ان يسجد ويسبح الله الرحمن بخلقته شاء أم أبى كما ذكرنا في الدرس السابق.

متى يبدأ الانسان ببناء الايمان؟

الانسان بالفطرة كمخلوق وكل المخلوقات بالفطرة ينشؤون الوحدة في ما بين السجود والتسبيح مع الوظائف المادية، وطلب من الانسان ان ينشأ هذه الوحدة بين قوانين سير الحياة بفطرته، كالموت والحياة والاكل والشرب مع السجود والتسبيح لله الخالق المتعال الرحمن، ذكرنا الاميبا والفايروس

والكلاميدوموناس بالترقي الخلقي والتطور الخلقي رويدا رويدا الى ان يصل الى الانسان يفرق كل منهم بفطرته بين الحسنة والسيئة، ذكرنا في الدرس السابق ما اسمناه بالفطرة، والذي به يفرق كل المخلوقات بين الحسنة والسيئة، له قدرة التفريق بين الخير و الشر، وتحدثنا عن الاميبا وغشائها الخارجي، فان للاميبا قابلية اختيار ما تحتاجه جسمها من مواد لادامة حياتها وامتصاصه من الوسط الذي تعيش فيه، وكذلك بالنسبة للمواد الضارة لحياتها، فللاميبا قدرة الاختيار في عدم امتصاص المواد الضارة لجسمها ولكي لا تتضرر، وقلنا ان مادة الاختيارية هي حالة اختيارية فطرية انشأه الله الرحمن في داخل الاميبا وهو القائم على حمايتها، والفطرة مرة اخرى تسيطر على تطور الاميبا وبتمهل الى المراحل الاخرى، فالفطرة تسيطر على كيان كل المخلوقات من حيوان ونبات وانسان، فهم بفطرتهم يعملون ويسجدون ويسبحون لله الرحمن، ويعبدون الله الرحمن، وإذا استطاع الانسان من ان ينشأ تطابقاً في ما بين الفطرة في داخله و ارادة الله الرحمن في خارجه كما خلقه الله (فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ) (الروم: ٣٠) فحينما تمكن من تطابق فطرة داخله مع ارادة الله الرحمن في الخارج والمتمثل بالمنهج عندها بدأ بتنشأة الايمان في داخله.

كيف يعين الله عباده؟

لمساعدة هذا التطابق او هذا التوحد في ما بين فطرة داخل نفس الانسان و برنامج قوانين الاوامر المطلوبة منه والمتمثل بالرسالة والمرسل اليه، تحدثنا عن الفطرة في الداخل وعن المنهج في خارج الانسان، ليساعد الله الرحمن ويعاون الانسان ليكون معيناً له بمفهوم الربوبية، وبعث الله الرحمن شينان لتفعيل فطرة الانسان اولها "الرسالة" و ثانيها "الرسول"، الرسول هو تطبيق الرسالة في واقع الوجود، فالاثنان مساعدان خارجيان في خارج فطرة الانسان لكي ينشؤا تعاوناً يمكن الانسان من تفعيل فطرته، إذن فالله الرحمن يعين الانسان ليفعل فطرته بشيئين في خارج الانسان وهما الرسالة والرسول.

كيف يمكن ان يكون بداية بناء الايمان؟

عند محاولة الانسان في تطابق وتوحد داخل فطرته مع الرسالة فان الايمان سيتكون في داخله، فإذا حاول وصرف الجهود لينشأ تطابقاً بين فطرته الداخلية والمنهج الخارجي فعندها ستكون بداية مرحلة تكوين ايمانه.

ما هي قوانين و قواعد الإيمان الله؟

لان كل قوانين وقواعد الإيمان الله قد بنيت على هذه الاسس:

- ١- التنفيذ بنظام وتنسيق غير محدودين.
- ٢- التوجيه المستمر.
- ٣- يجب ان يكون بالشكل الذي أمره الله له.
- ٤- يجب الاخذ بعين الاعتبار كل جوانب ادارة العمل ومرة أخرى بالشكل الذي اراده الله الرحمن.

سنركز اليوم على هذه النقاط الاربعة، وضع الله الرحمن، منهجاً في خارجه، فالقرآن هو المنهج لأمة محمد (عليه السلام و البركات)، و (محمد) هو الرسول، وخلق الفطرة في الداخل، فيجب ان يتواجد النظام والتنسيق في ارادة الانسان كوجود النظام والتنسيق في المنهجية والنظامية التي خلقه (رب العالمين) فطرة مخلوقاته، فاذا اراد الانسان ان ينشأ الايمان في داخله، او ان يفعل فطرته، فيجب ان يملك هذا النظام والتنسيق، وعكسه الفوضى والذي لا يقبله الله الرحمن، فاذا اراد أي انسان من ان يأخذ الايمان او ان ينشأ الايمان في داخله وفقاً للبيئة والوسط الموجود فيه، أو وفق هواه الانساني فمن المحتم عندها ان تدخل الفوضوية في ارادته، ولا يتحقق ارادة الله.

التنظيم والتنسيق في الادارة

ولتوضيح ما سلف من النقاط سنقوم بألقاء التركيز عليها كالآتي:

أ- التنفيذ بنظام وتنسيق غير محدودين: النقطة الرئيسية والمهمة لنشوء الايمان هو هذا النظام والمنهجية والتنسيق الذي خلق الله فطرة مخلوقاته، وبواسطة هذا النظام والتنسيق يؤدي مخلوقاته وضيعة عبادتهم من سجود وتسبيح، ويجب على الانسان ان يقتني المنهج بنفس النظم والتنسيق، بلا فوضوية ومن غير ان يكون له الاختيار فيه.

ب- التوجيه المستمر: يجب الاستمرار على تنفيذ النظام والتنسيق، والاستمرار على الاستقامة.

ج- يجب ان يكون بالشكل الذي وضعه الله له: عند ازاحة ارادته او ارادة المخلوقات في داخله واخرجه فان ارادة الله سيتحقق، ويجب ان يكون الله الرحمن وحده واضع منهج نشوء هذا الايمان في داخله، حيث لايقدرأي جهة ولاأية قوة على انشاء الايمان في داخله، لأن الموضوع والقضية تعود الى (رب العالمين) الرحمن مباشرة وهو من يحدد ذلك.

د- يجب الاخذ بعين الاعتبار كل جوانب ادارة العمل ومرة أخرى بالشكل الذي اراده الله الرحمن: إذا كان هناك جملة من الامور وله علاقة بنشوء الايمان في الداخل والخارج، فيجب ان يكون وفق ارادة الله الرحمن و في نظر الاعتبار، فالزمن (الوقت) له دور في نشوء الايمان ونوعه، فالزمن وكم الوقت له دور رئيسي في نشوء الايمان في داخل الايمان، كذا من الزمن وكذا من الوقت يمضي على الحالة لنشوء الايمان، ويجب ان يكون الزمن من الوقت الفلاني مثلاً في الليل يقوم لاداء القراءة والنهار للذكر والتسبيح، فالليل ليس للتسبيح، فيقطع مرحلة فيصل الى مرحلة فيها يسبح قبل شروق الشمس وقبل الغروب، ولايقوم بالتسبيح في الاوقات الأخرى وانما يذكر الله فيها، إذن فالزمن ونوعه وكم الزمن له دور في نشوء الايمان في داخل الانسان، وأخذ الايمان يبدأ بالتدرج.وبداية النقطة التالية هو ان الله الرحمن وضع في داخل الانسان خريطة عظمى، وأتى المنهج في خارجه على هذا النحو، إذا استطاع الانسان ان يراعي هذا التدرج وان يراعي الزمن ايضاً فان الايمان النوعي سينشأ في داخله، وقد

ذكرنا سابقاً الوسائل الثلاث، وبواسطة هذه الوسائل ينشأ الايمان، ومن الوسائل العين والاذن، كما ذكره (رب العالمين) في القرآن (إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ) (الإسراء ٣٦) وهذا التسلسل موجود في القرآن، ذكرنا العين في الدرس السابق وتأثير العين في كيفية انتخاب المادة ونقل العين الى الذهن باسم البصر، والعمل عليه بالفطرة.

تحدثنا عن المهندسين في كلية الهندسة، وعن انواع المهندسين، فالمهندس المعماري ينظر الى الاشياء بعين المعماري، والمهندس المدني ينظر الى الاشياء بعين المدني، ومهندس الديكور ينظر الى الاشياء بعين الديكورية، ومهندس الجمالية والالوان ينظر الى الاشياء بعين الجمال والالوان، وقد فصلنا في شرح كل هذا، وعلى هذه الشاكلة يجب رعاية هذه الوسائل بالتفصيل كما اراد الله.

و ذكرنا في الدرس السابق عن السمع ولماذا وضع وبالشكل الذي قاله الله، ولماذا وضع البصر، و ضربنا مثلاً على ذلك الصديق العامي في الشارع الذي ينظر الى المرأة فينقل عينه تلك الصورة الى داخل دماغه، فينطبع ويتحمض في دماغه، ومن ثم يتحول الى الداخل... الى الفطرة، وفي نفس الوقت هذه العين التي امرها الله الرحمن ان تستطيع بواسطة هذا العين ان تنقل الصورة الى الذهن، والذهن بدوره يقوم بالطبع والتحميض ليتمكن الفطرة من العمل عليه، فالعين وسيلة والاذن وسيلة والفطرة هي الوسيلة الثانية لتثبيت وتعميق هذه الحالة، وهي مقدمة لنشوء الايمان في داخل الانسان، وهذه مقدمة سريعة ومختصرة للدروس المذكورة سابقاً.

الجزء الرابع

ارضية نشوء الايمان..

اسلوب تغيير (السمع والبصر) وتفعيل (الفطرة) وبدائيات نشوء (الفؤاد)

كيفية تفعيل جهازى (السمع والبصر)؟

عنوان موضوعنا اليوم هو كيف نفعل السمع والبصر؟ وبدأ الفطرة بتلقي مأموراتها وبداية تكوين الفؤاد في داخل الانسان وهي ارضية الايمان.

نحن لا نشك بالقرآن وان لم نكن مؤمنين ونصدق بانه كتاب الله الرحمن، وفيه مأمورات ومنهيات أمر ونهى به الله الرحمن وأنزل من السماء على الرسول (عليه السلام و البركات) واسمه (محمد بن عبدالله)، والذي أنزل القرآن على الرسول (عليه السلام و البركات) هو المخلوق الوسيط المسمى بجبريل، صاحب الوحي وهو من الملائكة، وهو الذي انزل القرآن على الرسول (عليه السلام و البركات)، وجبريل هو الناقل (وبلا تشبيهه) كالجسر او كالبريد ينقل الرسالة من جهة الى جهة اخرى، فالجهة الاولى هو الله الرحمن والجهة الثانية هو (محمد) (عليه السلام و البركات)، وجبريل هو الوسيط والبريد ورسول السماء الذي انزل القرآن على الرسول (عليه السلام و البركات).

ماهي مهمة جبريل؟

ولا علاقة لجبريل بالوحي ابدأ فهو مجرد ناقل، إذن لا علاقة لجبريل بهذه الامور:

- زمان نزول الوحي.
- مكان نزول الوحي.
- مضمون الوحي (آية- صورة)
- المأمورات في نزول القرآن.

فالتحكم الكلي هو من الله الرحمن، إذن لا علاقة لجبريل بالموضوع ولا بمضمون الرسالة لا من قريب ولا من بعيد، ولكن فقط هو مؤمن به اصلاً، زمن النزول

وطبيعة النزول ومكان النزول ووقت النزول، فلا علاقة لجبريل في كل هذا. ومن ثم نأتي الى عند حضرة الرسول (عليه السلام و البركات).

كيف كان ايمان الرسول قبل الوحي؟

اولاً: لم يكن ايمان الرسول (عليه السلام و البركات) قبل نزول القرآن كايمانه بعد نزول القرآن، قال (الله): (مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ) (الشورى ٥٢)، قبل نزول الوحي لم يكن ايمان الرسول (عليه السلام و البركات) بنوع الايمان الموجود في القرآن، ولم يكن عند الرسول علم بالايمان والقرآن.

ثانياً: لم يكن الرسول (عليه السلام و البركات) على علم بانه مختار ومجتبى ومصطفى للنبوّة وللرسالة اصلاً.

ثالثاً: لم يكن يعلم بانه يعد لهذه الرسالة.

رابعاً: لم يكن يعلم بزمان ومكان نزول الوحي.

ويحتمل ان يكون كل هذا عندكم معلوماً فهو تكرار للمعارف، ايمان الرسول (عليه السلام و البركات) قبل نزول الوحي لم يكن كايمانه بعد نزول الوحي، فاصبح ايمانه بعد نزول الوحي قرآنياً، ومن ثم لم يكن الرسول (عليه السلام و البركات) على علم في داخله بنزول الوحي من عدمه، فلم يكن له علم بذلك، إذن فالرسول (عليه السلام و البركات) كجبريل لا علاقة له بالوحي.

جبريل لا يأمر الرسول قطعاً!!

فالسؤال هنا من المتحكم بالوحي؟ بالنتيجة هو الله الرحمن فقط المتحكم بالوحي، فالقرآن موجود في اللوح المحفوظ في الخريطة العظمى، فيأمر الله الرحمن جبريل ان ينزل في الزمان و المكان المعين و المقطع الفلاني من القرآن، وجبريل مأمور بتنزيل هذا المقطع من القرآن، ولا علاقة له في كون ذلك سورة (البقرة) او سورة (العلق)، لا علاقة لجبريل بالموضوع، وإذا كان الرسول (عليه السلام و البركات) في غار حراء او في بيته او في الطريق او في المدينة فهو لا يعرف متى ينزل جبريل ولا يعرف ماذا سيُنزل عليه، لا علم للرسول بما سينزل عليه، ومتى سيتم ذلك، انما هو مجرد متلقي للوحي المنزل عليه، فداخل الرسول (عليه السلام و البركات) فطرته منشأة اصلاً كالقرآن، جهاز الرسول الداخلي (عليه السلام و البركات) منشأ كالقرآن، وعند حضور مادة الوحي فانه يتطابق مع الجهاز الداخلي للرسول (عليه السلام و البركات)، وقام (الله) الرحمن بحماية داخل الرسول بمفهوم الاجتباء والاصطفاء من شياطين الانس والجن لكي لا يستطيعوا مس فطرة الرسول، ولذلك كان القرآن ينطبع مباشرة في فطرة الرسول (عليه السلام و البركات) عند نزول القرآن، ولم يكن الرسول (عليه السلام و البركات) بحاجة الى تكراره واعادته لثلاث مرات او اربع او خمس، فكان يكرره في البداية ويعيده خشية نسيانه، حتى أمنته (الله) لاتعيد ولا تكرر لانه اصلاً سينطبع في داخلك: (لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ * إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ * فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ) (القيامة ١٦-١٧-١٨) ومن ثم (ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ) (القيامة ١٩) رسول الله (فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ) (القيامة ١٧)، (الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ) (الرحمن ١-٤)، فهو الذي يعلمه ويبينه له لان فطرته مخلوقة اصلاً بهذا النوع، وإذا كانت فطرة البشرية اصلاً مخلوقة بهذا الشكل فكيف بفطرة رسول الله (عليه السلام و البركات) إذن فالرسول (عليه السلام و البركات) لم يكن ينتظر حضور جبريل أمامه فجأة في غار (حراء)، ففي روايتي البخاري ومسلم وفي رواية اخرى: ان جبريل يأتي بالوحي بمفهوم (اقرأ)

مباشرة، فنلاحظ هنا ان كلمة (إقرأ) ليست لجبريل وهو لم يضيفها للقرآن، فجبريل لا يأمر الرسول ب(إقرأ) وانما (الله) يأمر رسول الله ب(إقرأ)، ليس جبريل، وفي كثير من الاحيان يتكون في ادمغتنا هذا المفهوم بانه كأن جبريل هو من قال: (إقرأ) للرسول وهذا غير صحيح فكلمة (إقرأ) هي اصل بناء المرحلة الايمانية الاولى (أقرأ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ) (العَلَقِ ١).

بناء الايمان عن طريق سورة (العَلَقِ)

لم يكن الرسول (عليه السلام و البركات) على موعد مع جبريل بالزمان، وانما فجأة ووفق ارادة الله الرحمن الذي اختار الزمان و المكان واختار الحالة فنزل (إقرأ)، حسناً فلماذا نزل (إقرأ)؟ في الجواب قلنا بانه لا علاقة لجبريل بمادة الوحي وكذلك الرسول (عليه السلام و البركات) لا علاقة له بمادة الوحي، (الله) هو من يختار مادة الوحي، إذن فهو الاحكم والاعلم فيما ينزل، ينزل سورة (الفاتحة)، ينزل سورة (البقرة) او سورة (العَلَقِ)، ففضل انزال سورة (العَلَقِ) لانه الاعلم والاحكم بذلك، ولانه مبنى الايمان، فبعد نشوء الايمان بواسطته سيترقى درجات الايمان خطوة بخطوة، وينشأ صور الايمان الاخرى، ولذلك اختار الله نزول سورة (العَلَقِ) بحاكميته واحكاميته على الرسول (عليه السلام و البركات)، لكي يتواجد ذلك الايمان الذي ذكره (الله) في سورة (الشورى) في داخل الرسول بعد ان كان غير موجوداً فيه اصلاً، إذ قال تعالى في سورة (البقرة) (أَمَّنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ) (البقرة ٢٨٥) ليؤمن به اولاً ومن ثم يؤمن به جمع المؤمنين (كُلُّ أَمَّنَ بِاللَّهِ) (البقرة ٢٨٥) وبأي طريقة؟ بطريقة التتبع القرآني ووفق ترتيب النزول، إذن فالله كان الاحكم والاكثر حكمة لينشأ الايمان في داخل رسول الله بواسطة سورة (العَلَقِ) قبل سورة (الفاتحة) وسورة (البقرة)، إذن هذا هو البند الاول لنشوء ايمان جمع المؤمنين، و في اي زمان إذا شاء احد ان ينشأ الايمان من جديد فعليه

مدارسة وقرآءة سورة (العلق)، ليحصل على الايمان الحق الذي اقره(الله) ل(رسول الله والذين آمنوا معه)، فختم لهم بختم الايمان، ومرة أخرى من جديد وبهذه الشاكلة وبنفس طريقة مفهوم(إقرأ)ينشأ الايمان، ومن المحتمل ان يكون هناك طرق ماعدا هذا في تفعيل الفطرة والوصول الى الايمان، لكنه سيكون ايماناً جزئياً وليس كإيمان الرسول(عليه السلام و البركات)او ايمان (الذين آمنوا معه)، ايماناً جزئياً، ايماناً قاصراً ومريضاً، تبدأ الفطرة بالعمل، ويحتاج الى صرف جهود والكثير من الزمن ليصل الى الايمان النوعي الموجود في داخل الرسول وجمع الذين آمنوا معه.

سبب نزول سورة(العلق)ولماذا بدأت ب(إقرأ)

غالباً نتصور معنى كلمة(إقرأ)المذكور في القرآن بالدراسة، كأن يمسك القاريء شيئاً فيقرأه عن طريق التلقي والتكرار، وهذا مطبوع في اذهاننا لمفهوم كلمة (إقرأ)، علماً ان (الله)ذكر كلمة (إقرأ)بمعاني اخرى منها:

- الطهر.

- الجمع.

- الدخول.

و وردت كلمة (إقرأ) في القرآن بمعاني أخرى، فمعاني كلمة (إقرأ)مع معاني الدراسة والمدارسة التابعة لها ستعطي هذا المعنى، كيف؟ففي رواية مسلم: كان الرسول(عليه السلام و البركات)جالساً في غار(حراء)وفجأة ظهر له رجلاً منوراً ومجسماً امام عينيه ومن غير ان يكون للرسول(عليه السلام و البركات)موعداً معه، وبعد البسمة بدأ مباشرة بالقاء الوحي عليه، واول كلمة من الوحي كانت(إقرأ)، وفهم الرسول(عليه السلام و البركات) كلامه وكأنه يقول له اقرأ فأجابه(ما أنا بقاريء)،

فالمنزل ملائكة والملائكة مخلوق وخلقته من نور، وهو في مستوى معين، والرسول (عليه السلام و البركات) مخلوق، وانما بدنه من عظم ولحم ودم مع نور، فالنور موجود في داخله ايضاً، فيجب اجراء عملية مخبرية جراحية لذات الرسول لكي يتم تحويل مفهوم القراءة عنده الى ما فهمه جبريل من مفهوم القراءة، ولذلك قام جبريل بحضن الرسول (عليه السلام و البركات) وكل ذلك في الروايات الثلاث، وفي رواية اخرى يقول: (فأخذني فغطني) وفي رواية أخرى يقول: (فغنتي حتى خشيت أنه الموت)، وطبعاً كل ما يفعله جبريل هو من الوحي، فسلامه على اي صحابي هو من الوحي، فكل شيء من الوحي وليس من عنده، ولايمك جبريل في داخله من شيء، وقد أُمر بحضن الرسول (عليه السلام و البركات) وهذا من الوحي، خلقة جبريل من نور وفوتوناته في مستوى عالي ومعين، ولهذا استطاع جبريل وبكل هدوء من تلقي الوحي، واما بدن الرسول (عليه السلام و البركات) فيختلف، فهو مادي من لحم وعظم، فيجب على جبريل ان يجري على الرسول (عليه السلام و البركات) عملية ما يوصله بها الى مستواه، ولهذا يحضن الرسول (عليه السلام و البركات) فينتقل جملة من الاشياء من بدن جبريل الى بدن الرسول (عليه السلام و البركات) بشكل حتمي، وإذا لم يكن كذلك فلماذا حضن جبريل الرسول، فحضن الرسول لتنشئة مفهوم القراءة الفعلية والارضية لذلك في داخل الرسول.

هل (القراءة) تعني الدراسة؟

ذكر الرسول (عليه السلام و البركات) حاله فقال: (خشيت أنه الموت) ولم يُقل خشيت ان تتكسر اضلاعي، وانما قال خشيت ان اموت بين يديه، فما حجم هذه الطاقة والقوة والامكانية الضخمة التي نقلت من داخل بدن جبريل الى بدن الرسول (عليه السلام و البركات) والرسول (عليه السلام و البركات) قد تم اصطفاؤه واجتباؤه وهو في مستوى عالي، خشي من الموت ولم يتحمل استقبال وامتصاص هذه الطاقة

وهو في هذا المستوى العالي، قال: (خشيت أنه الموت) فبالطبع الرسول (عليه السلام و البركات) صادق عن تعبير حاله حينما يفعل ذلك، وجبريل يملك جهازاً يرى به داخل الرسول (عليه السلام و البركات) وعندما يرى انتهاء طاقة وتحمل الرسول يتركه، فيجلس الرسول ومرة أخرى عندما يصل الى المستوى المطلوب يأمره ب(إقرأ) والكلمة من الوحي وليست من عنده، فيجيب (ما أنا بقاريء) فيحضنه مرة أخرى (فأخذني فغطني) وبقوة حتى (خشيت أنه الموت)، ومرة أخرى تنتقل جملة من المعاني وجملة من الانوار والرحمات من بدن جبريل الى بدن الرسول (عليه السلام و البركات) الى ان يصل الى تلك الحالة، وكأنه و(بلا تشبيه) يوجد في داخل الرسول جهاز اوميتر لقياس الكهرباء يستعمله الكهربائيون فيرى جبريل داخل الرسول (عليه السلام و البركات) وانتهاء طاقته وتحمله فيتركه مرة أخرى، ليعود الرسول (عليه السلام و البركات) الى حالته الطبيعية، وفي المرة الثالثة كذلك (إقرأ)، قال: ما أنا بقاريء، فأخذني فغطني فخشيت أنه الموت) وهنا

يكشف جبريل حالة الرسول الداخلية والخارجية قد وصلت فعلاً الى مستوى الترقى فيقول: (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ) (الْعَلَقِ ١- ٥)

قلنا ان المعاني الأخرى قد دخلت الى داخل جهاز الرسول (عليه السلام و البركات)، ومن الآن فصاعداً هو سيبدأ بالقراءة وليس بالمدارسة لاننا نعلم بأن الرسول (عليه السلام و البركات) كان أمياً إذ قال تعالى: (وَمَا كُنْتُمْ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكُمْ) (العنكبوت ٤٨) فلم يكن الرسول يقرأ او يكتب بمفهوم كلمة القراءة لهذا العصر، لان مفهوم كلمة القراءة قد تغير، فمفهوم القراءة التي فهمناها ليومنا وعصرنا هو الدراسة، وإلا كان على جبريل ان يقول له (أدرس) بدلاً من (إقرأ)، فالأمر صادر من عند (الله) ب(إقرأ)، ماذا يقرأ؟ (بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ) فيجب أن يقرأ الرسول (عليه السلام و البركات) الخلق، وقراءة الخلق يعني المخلوقات.

الرسول وتغيير الأسماء

فماذا يقرأ الرسول الأُمي؟ ففي وسط مفهوم كلمة خلق ومفهوم كلمة (إقرأ) هناك كلمتان أخريتان (بِاسْمِ رَبِّكَ) وما معنى كلمة اسم؟ كلمة اسم في اللغة العربية وكأنها غيمة فوق رأس الانسان او هذا المخلوق، فهذه الغيمة الموجودة تعطي المعنى الكامل لهذا الذات وهذا هو الاسم، على سبيل المثال رجل يطلق عليه اسم (طاهر) فاسمه طاهر وطهارته معه بشكل دائم كالغيمة الموجودة فوق رأسه ترسل له الايعازات ولها من الأثر عليه، وهذا مفهوم الاسم في اللغة العربية، فالانسان الذي اسمه ذكي يكون له ذكائه كغيمة موجودة فوق رأسه وتتنزل عليه، ولذلك كان الرسول (عليه السلام و البركات) يغير من اسماء (جمع الذين آمنوا) بعد اسلامهم إذا كانت اسماءهم غير لائقة، فكان يغير عبدالعزى الى عبدالرحمن والصعب الى سهل، لان الاسم له أثره على المسمى في عالم الذات، (إقرأ بِاسْمِ) فالاسم مازال مجهولاً كغيمة موجودة في ذهن الرسول، باسم من؟ ربك، باسم ربك، إذن ربك لحد الآن هو ليس باسم هو شيء آخر وبه كاف (أقرأ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ) (العَلَقُ ١) ومن ثم (خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ الْعَلَقِ) (العَلَقُ ٢).

معنى كلمة (رب) في القرآن

قبل كل شيء لنعلم ما معنى كلمة (رب) في القرآن؟

وردت بثلاث معاني في العموم:

أولاً: (إصلاح الشيء والقيام عليه) فالاصلاح يعني ايجاد الشيء الغير موجود اصلاً، بمفهوم الخلق.

ثانياً: عند ايجاده للحاجة يوجد بها بحيث يكون بها محتاجاً الى غيره دائماً، فيكون لديه النقص والحاجة الى غيره، فهذا حال كل المخلوقات فكلهم يحتاجون الى غيرهم لاتمام الكمال.

ثالثاً: عند خلق و ايجاد المخلوق خلق له حاجته وما يحتاج اليه ووضع بجانبه.

فالحالة الثالثة دائمة وفي كل لحظة يقوم على ادامة عمل المخلوقات، ويقوم بإدامة ذلك في كل وقت، ومتى ما انسحب ولو للحظة من ادارة و ادامة الاصلاح وللحظة فسينشأ عن ذلك الخراب والخلل، فالمفهوم الاول

لايجاد مفهوم كلمة الرب هو اساس مفهوم كلمة الرب، ثانياً: تنشأة حاجة الموجود الاول الذي يحتاجه و خلقه له، ودمج كل ذلك معاً وتكوينه، ومن ثم متابعة و ادامة و ادارة مصالحه وبشكل دائم، وتوقف هذه الحالة عند انسحابه منه، وتوقف عمل هذا المخلوق عن عمله، وهذا مفهوم كلمة الرب.

نأتي لمفهوم كلمة (القرآءة) والتي بها تم تطهير داخل الرسول (عليه السلام و البركات)، ويأخذ داخله مفهوم حالة القرآءة لكي يتمكن الرسول (عليه السلام و البركات) فعلا قرآءة كل المخلوقات قطعة قطعة، وذلك باحضار صورهم امام عينيه لماذا؟ ليكشف مخلوقيتهم بالمفهوم الاول لمعنى كلمة (الرب)، وبأن الله الرحمن خالقهم، إذن فلقد تكون المعنى الاول للرب، وبعد ذلك فإن الله الرحمن قد أوجد كل احتياجات هذا المخلوق في الوسط الموجود فيه، وهنا تم تكوين المعنى الثاني للربوبية في داخل الرسول، والمعنى الثالث: الله الرحمن هو المدير وهو المسؤل والصاحب والمنعم وهو المصلح فيأتي الرسول ليكون المفهوم الثالث للربوبية في داخله للمخلوقات التي انشأ الايمان عن طريقها، والذي هو جزء منها، ونشوء هذه الحالة بينه وبين المخلوقات بشكل دائم الى ان يصل الى القناعة الفعلية والمطلقة بان (الله) هو رب كل هذه المخلوقات.

القرآءة وفطرة الانسان

عند نشوء هذه الحالة بالممارسة في داخل الرسول (عليه السلام و البركات) احس بكاف (ربك) وان الله الرحمن ربه هو ايضاً، لينشأ مباشرة حالة (اقراً باسم ربك) يا (محمد) في داخل الرسول (عليه السلام و البركات) إذ هو جزء مما خلق الله، اقرأ (اقراً باسم ربك الذي خلق * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ الْعَلَقِ) (العلق ١، ٢) فكلمة (علق) هي حالة وسطية، ولماذا ذكر الانسان؟ نقصد حالة وسطية الخلق، فالانسان لم يخلق من علق لوحده، وانما في الاول خلق من تراب، و غير نوعه بعد ذلك الى نطفة، ومن ثم تحولت النطفة الى علقة فمضغة... الخ، فيتم قطع المراحل الأخرى ويتطور في داخل رحم الام، فيقطع (الله) الحالة الوسطية كالصورة ويضعها امام عيني الرسول (عليه السلام و البركات) و الحالة هي علقة (خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ) (العلق ٢) ولم يقل تراب من نطفة، لان داخل الرسول لا يحتاج الى هذا بعد، او ان استعداده لمفهوم القرآءة التي كان يمارسها سابقاً كانت حالة وسطية، فلقد انقضى اربعون عاماً من عمر الرسول، ولم يمارس الرسول القرآءة على هذا النهج، إذن قد انقضى زمناً من عمر وجهود الرسول فهذه حالة العلق الوسطية، فهذه اشارة لحالة الرسول (عليه السلام و البركات) الوسطية، ولانها كلمة (خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ) حالة وسطية، فباستطاعة كل من اراد ان ينشأ الايمان من هنا ومن هذه اللحظة في داخله ان ينشأها، فله المقدره والحق، وسيتمكن من ذلك لان الحالة تبدأ من الوسط ولا يحتاج الانسان لتصفير عمره من جديد، ليعود من جديد ومرة أخرى الى فطرته السابقة التي خلق بها من قبل، لان الشياطين قد اشتغلت على الفطرة، فمن المحتمل ازاحة ذلك بواسطة مفهوم القرآءة، فيتم بلورة وبرمجة فطرة هذا الانسان او ذات الرسول (عليه السلام و البركات) مرة أخرى وفق ارادة الله وبثلاث معاني:

الأول: الله الرحمن رب وموجد وخالق هذه المادة.

الثاني: لكي يعلم المادة ويعترف فعلاً بأنه ناقص وكذلك كل المخلوقات فهو لا يستطيع اتمام عمله لوحده وانما يجب خلق مادة اخرى معه.

ثالثاً: الله الرحمن يقوم بادامة وادارة كل المخلوقات في كل وقت وفي كل لحظة.

وعند نشوء هذه الحالة في داخل الرسول (عليه السلام و البركات) يقوم بنقله الى داخل ابو بكر وعمار ومصعب وسهيب، فكما ان المفهوم قد أصبح عند ذات الرسول (ربك) وبنفس المفهوم يصبح ذلك عندهم (ربك)، لماذا؟ لانهم يتبعون نفس مفهوم (القرآءة)، وبعد نزول هذه السورة اصبح نوم الرسول (عليه السلام و البركات) محدوداً جداً ولمدة ستة اشهر فكان يقوم الليل يقرأ ولا ينام، وكان فهمه لكل ما حوله قبل تلقيه ل(إقرأ) بانها طبيعية، كقوله بان النبات والماء، والمياه الجوفية طبيعية، فالنباتات كلها طبيعية تنمو لوحدها وتشق باطن الارض لتخرج لوحدها ولها القدرة على ادامة حياتها، فهي طبيعية، والماء يخرج من باطن الارض على شكل عيون وآبار من تلقاء نفسه، وكأنه لا علاقة ل(ربك) بهم ابدأً، ولكن بعد ذلك كان على الرسول (عليه السلام و البركات) ان يفكر ويثبت بانه لا يمكن لهذا النبات وهذا التمر او هذا الطير وهذا الجبل وهذا الارض والرمل وهذه النطفة وهذا الانسان وهذا الحيوان وهذا الجماد من ان يخلق اي منهم نفسه بنفسه فكلهم خلقوا من قبل الخالق، إذن على الرسول (عليه السلام و البركات) قرآءة كل هذا من جديد، وكما ذكرنا في الدرس السابق، يُعود عينيه بان كل هؤلاء مخلوقات ولم ينشأهم الطبيعة، فعندما يشرب الرسول (عليه السلام و البركات) كأساً من الماء فيرى ان الماء ليس طبيعياً فهو مخلوق، فيُعود نفسه بان الماء مخلوق، هذا الماء مخلوق، هذا الماء مخلوق، الى ان يتعود داخله على ذلك، فيقول وبتلقائية عند رؤيته للماء بانه مخلوق، وهذه هي القرآءة.

ما هي القراءة؟

النظر الى النخلة والى سعفها وطريقة نموها هي القراءة، ففي البداية كان الرسول يقول بان النباتات طبيعية، فقال له (الله) بعد ذلك (اقرأ)، فنظر الى النخلة فعلم انها لم تتكون من تلقاء نفسها، فهذه الشجرة بحاجة الى جملة من المواد، فهي بحاجة الى اوكسجين والى ثاني اوكسيد الكربون، وبحاجة الى اشعة الشمس والكلوروفيل، وهي بحاجة الى ادارة الله لها في كل وقت، فالنخلة تطرح غاز ثاني اوكسيد الكربون في الليل وتمتص الاوكسجين، وفي النهار تطرح الاوكسجين وتمتص ثاني اوكسيد الكربون، فهي لاعقل لها وانما الله يديرها ويؤدي الربوبية عليها، فيأتي الرسول (عليه السلام و البركات) بعد ذلك وينظر الى النخلة او ينظر الى شجرة الموز أو ينظر الى شجرة الزيتون فيقول انها مخلوقة ولها رب، وحيث كان يقول بانها طبيعية من قبل، فاستطاع الرب فعلاً من ان يخلق شجرة النخلة ولها ثمر وعلى هذا النحو وهذا الطول وكذلك الجذور يمتص الكم المعين من الماء، ويكون لثمرة حلاوة ورائحة، فلا دخل لشخص المزارع في كل هذا، فالله الرحمن يهتم حتى بكمية الملح والبروتينات والمواد الاخرى الممتصة من جوف الارض عن طريق سقيها بالماء بمفهوم الربوبية، ويقراً الرسول (عليه السلام و البركات) هذه الحالة وينظر الى الحيوان وقد رعى الغنم من قبل، فيرى بانه لا يأكل الصحائف وانما ياكل مواد معينة ويشرب من الماء ومن نوع واحد، فلا يشرب السوائل الاخرى كالبول، فالحيوانات كالخروف والجمال لا تتزاوج تحت انظار الانسان، فمن اعطاه هذه القدرة ومن انشأ هذه الفطرة فيه وعلى هذه الشاكلة؟ فمن يهتم ويديم ويعمل على استمرار هذه الحالة في داخل هذا الحيوان، وكلنا نتفق بانه لا يملك العقل وانما يملك الفطرة، فينكشف للرسول (عليه السلام و البركات) وللذين آمنوا معه بانه الرب يعمل كل ذلك.

ما الذي يتحول الى خُلُق؟

الله يقوم بكل هذه الاعمال وباستمرار، إذن ان ايجاد المادة والحاجة الى دفع المادة وادامتها واستمراريتها، والاهتمام بهذه المادة الى ان تصل الى المستوى الاقصى لها بواسطة القراءة في داخل رسول الله، فيلزم ان تكون القراءة على هذه الشاكلة لنشوء الايمان في داخل الانسان، فيصبح اعادة وتكرار كل القراءات لهذه المخلوقات وللخلق (اقراً باسم رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ) في داخل الرسول والذين آمنوا معه خُلُقاً، ويصبح فيه خُلُقاً بالاستمرار والاعادة فهو في الاصل موجود في الداخل بالفطرة، لدينا نوعان من الخُلُق خُلُق يكتسبه الانسان من الخارج وخُلُق موجود في الداخل خِلقةً، فالخُلُق المكتسب للانسان من الخارج يحتمل ان يرتبه في داخله عن طريق الممارسة كالشخص الجبان الخواف تتكون عنده الشجاعة بالممارسة، اما خلق كيفية النوم فموجود في الفطرة، فالطفل المولود ينام في الساعات الاولى له كنومه عند بلوغه الخمس وعشرون عاماً، ولم يعلمه احد فهذا خُلُق خلقي انشأه الله بهذا الشكل، وحركة فمه عند المضغ في تناوله للطعام، وبهذا الشكل يستنشق الاوكسجين، فكل ذلك موجود في داخله، وإذا جاء وقرأ كل المخلوقات في الخارج وحيث ان معانيها موجودة في الداخل، فالداخل يبدأ بالتفعيل بواسطة (السمع والبصر) وليس (العين والاذن)، فالسمع والبصر كالمهندس المعماري ومهندس الديكور الذي يبدأ العمل بالنظر الى المادة، فينقل ما قرأه الى داخل ذهنه ويفعله بالعمل، فعندها قد أدى القراءة وحققها بالاستمرارية، وبالقراءة يتكون الخُلُق ويفعل الفطرة رويداً رويداً والموجودة معانيها في الداخل اصلاً، فمن الذي يفعل ذلك؟ الخالق هو من يُفعل فطرة الانسان، وعند تفعيل الفطرة يحاول اعطاء المعاني الحقيقية للاشياء.

بالقراءة يتم تنظيم حياة الانسان

ومن هذه الامور المخلوقة في داخل الانسان بالفطرة على سبيل المثال مفهوم(الرزاقية)الرزق، بيت هذا الشخص العامل في (حي العمال) فمن الطبيعي جدا ان يأتي يومياً الى السوق للعمل محاولاً ايجاد لقمة عيشه، راجعاً الى بيته وهذا مفهومه للرزق، ففي اليوم الذي لا يعمل فيه ينقطع عنه رزقه لذلك اليوم، واحتمال ان يموت من الجوع لو استمر به الحال ولم يعمل، فهذه بالفطرة العادية وليست المخلوقة في داخل الانسان، فإذا جاء الانسان ونظر بواسطة بصره وصرف الجهود فهذا في الانسان فقط فالطيور ليسوا كذلك فالله الرحمن يمنحهم رزقهم من غير ان يصرفوا الجهود كما يصرفه الانسان، ويرزق الله الرحمن الحيوان من غير ان يصرف الجهود كما يصرفه الانسان، وكذلك السمك الذي في البحر، فعندما يأتي الانسان وينظر الى المخلوقات فيرى ان الله يرزق النخلة من دون ان تتحرك من مكانها، ويرزق الله شجرة البرتقال من دون ان تتحرك من مكانها، إذن فمفهوم الرزق غير مربوط بالسرعة الزائدة والنشاط وبكثرة الذكاء والركض، لا، فهناك شيء آخر، فهناك خريطة فوقية في السماء، الله متحكم بها وما تراه هو جزء من كل الخرائط العظيمة التي اعطاها الله لمفهوم الرزاقية، فعندما يأتي ويُفعل عينيه ويقراً هذا العنوان وعلى مهل، يأتي عليه يوم يتعجب من الناس عند ركوبه الحافلة من حي العمال الى السوق، يتعجب منهم وهم كالنمل يتجهون الى المدينة والى السوق في الصباح الباكر ولا يحملون بايديهم شيئاً، ولا يتوقعون العودة من دون ان يأخذوا بايديهم شيئاً، فكلهم يعودون محملين فهذا يحمل بطيخاً وهذا يحمل رماناً وهذا يحمل كذا، ويعني ان الله الرحمن يرزقهم بأسلوب غير مباشر، فعند عودته يحمل رزقه معه، ويتفكر بان الله الرحمن هو المتحكم في توزيع الارزاق، فلماذا يأتي ليغش ذاك و يخدع ذاك و يكذب ويحلف بالله عليه، كلا فهو لا يفعل ذلك لان القراءة يقوم بتفعيل

مفهوم الرأزيقية في الفطرة، والمخلوق والمفطور به اصلاً، وعندما يعمل الفطرة يقوم برعاية الحلال والحرام اثناء الكسب، لانه يعلم بان الصراع لن ينشأ مفهوم الرزق، وهكذا ينكشف له بالقراءة كل مفاهيم ومعاني الحياة، ويحس بان الله(رب) لكل هذه المخلوقات فهو (الرب) بالمصطلحات الثلاث، إذن هو ليس فقط (رب) كل

المخلوقات وانما ربه ايضاً (ربك)، وحينها يحاول من تفعيل فطرته بالسمع والبصر، وعندما يبدأ الفطرة بالعمل يتغير الخلق في داخله الى خُلق، وبها يبدأ فتح مفتاح المرحلة الاولى من الفطرة.

المستقبل

إذا أعاننا الله ان شاء الله في الدرس القادم سنبحث أكثر في خدمتكم صيغة وكيفية تفعيل الفطرة في داخل الانسان، جعلنا الله ممن أراد ويريد من المؤمنين، وجعل الايمان من نصيبنا.

(أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم سبحان ربك رب العزه عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله الله).

الجزء الخامس

صيغة و كيفية تفعيل الفطرة في داخل الانسان

تسبيح وسجود الانسان والحيوان

ذكرنا في الدرس السابق جملة من الامور سنعيدها الآن بعدة نقاط مبسطة وسريعة:

الاول: تحدثنا عن الانسان و تعبير من احد المخلوقين للعبادة كالمخلوقات الأخرى، وقلنا بان كل المخلوقات من جماد ونبات وحيوان وانسان يؤدون وظائفهم المخلوقية بمفهوم السجود والتسبيح للهدف الذي خلقوا من اجله، فذكرنا الشمس والقمر والحيوانات، وضرربنا المثل بالفايروس والاميبا إذ هم يؤدون وظائفهم ضمن التسبيح والسجود، يقدم الشمس حرارته وضوءه الى كل الوجود، القمر يؤدي وظيفته لكل الوجود، بالمد والجزر والجاذبية وبعكس ضوء الشمس للكون، وكل هذه الوظائف ضمن دائرة وحلقة التسبيح والسجود لذات الله الرحمن.

وكان الانسان جزءاً من كل المخلوقات، والذي أُمر بان يسجد ويسبح لله الرحمن، وقد أمر الانسان بمنطلقين اثنين، منطلق إرادي ومنطلق لأرادي، المنطلق الارادي: الله الرحمن بعظمته يأمر الانسان بأن (يفعل) كأن يصلي ويصوم ويأكل من الحلال ويحسن، أو (لا تفعل) لا تكذب، لا تظلم، لا تسرق، لا تجرم، لا تغدر وهذا في المنطلق الارادي، وفي المنطلق اللارادي تحدثنا عن الانسان ومحدودية حياته، وتنفسه بكمية محدودة من الاوكسجين، الشهيق والزفير على الشاكلة الذي خلقه الله، وعليه ان ينام ويموت، وان دقائق قلبه على هذه الشاكلة، فكل هذا من طبيعة مخلوقية الانسان والذي يسبح ويسجد لله مرة اخرى باللاإرادية لذات الله الرحمن، وذكرنا ذلك مفصلاً.

البدء بإحياء الإيمان

ثانياً: وذكرنا ايضاً مفروضية تنفيذ العبادات بعد بناء الايمان، من قبل الانسان، وقلنا بان الفطرة متأصلة في داخل الانسان وفي داخل كل المخلوقات، واثبتنا بان للحيوان فطرة وبواسطة فطرته يتمكن من التفريق بين الحسن والسيء، وبالمفهوم الشرعي يصبح الفطرة جهاز التفريق بين الحلال والحرام، والقط كان مثالنا على ذلك وكيف استطاع التفريق بين اللحم الحلال والحرام، وضربنا الاميبا مثلاً لذلك بانه يعيش في وسط يفرق بين ما يسيئه ويستحسنه، وكذلك النبات يفرق بين ما يسيئه ويستحسنه، وبالمصطلح القرآني يصبح كل ذلك حراماً وحلالاً، إذن الحيوان والنبات و اصغر مخلوق الاميبا مع الانسان استطاعوا بواسطة فطرتهم التفريق بين الحلال والحرام اوالتفريق بين الحسن والسيء، واثناء التفريق بين الحسن والسيء والالتزام به، وتوافق الحسنة مع الحسنة والاستمرار عليه، ومعرفة السيئة بسية والابتعاد عنه، وفي هذه الحالة يقوم هذا الذات بتطبيق شرع الله، وإذا طبق الانسان او الحيوان او الفايروس والاميبا منهج الله على نفسه بارادته او من غير ارادته يصبح عبداً لله بارادته او من غير ارادته، ولكن لتكريم الله الرحمن وتشريف ذات الانسان المخلوق أمره بان يفرق بعقله بين الحسنة والسيئة، والانسان ككل المخلوقات فطرته موجودة في داخله، وقلنا إذا استطاع من تطابق بين المنهج الخارجي المتمثل بالقرآن الحاوية على (افعل)مع (لاتفعل)مع الفطرة في داخل الانسان، الجهاز الداخلي لهذا الانسان والمخلوق اصلاً في داخله وفرق بين الحسنة من السيئة، واستطاع التوحيد بين المنهج الخارجي مع الفطرة الداخلية، فعندها تلك تكون بداية نشوء الايمان، أو احياء الايمان في داخله.

النظم لاستيعاب الايمان

لنشوء الإيمان يجب إتباع و الإلتزام بعدة نقاط لإحياء الإيمان في داخل الإنسان! بنى الله الكون و المخلوقات على نظم و تنسيق دقيق، بل و خلق كل المخلوقات و أوجد فيها نظام دقيق و معين، فعند تكوين و تنشأة الإيمان و احيائه داخل الإنسان و قلبه يجب أن يكون وفق نظم و منهج معين و من المهكن إعادتها ولكن بالترتيب التي أمر الله بها، عكس ذلك ليس هناك فوضوية و إعتباطية أو العشوائية في نشوء الإيمان و إحيائه داخل الإنسان بحيث يريد الإنسان أن ينشأ الإيمان وفق إرادته أو حسب رؤية و قناعته، هذه الحالة من الإنشاء و الإحياء الإيمان تكون عكسى إرادة الله و المنهج الربانى و نظم و السنن الذى أوجده على كل مخلوقاته و أثبتت و أديمت على الكون، إذا بهذه الصيغة وضع الإيمان للإنسان و ليس له الحق في التصرف بعقله أو دماغه كأن يقول سوف إنشأ الإيمان لنفسى بعقلي أو بواسطة الكتب و المؤلفات الدينية والإسلامية و من المحتمل أن نشأ إيمان غير ناضج و ناقص، وسببه لأنه ليس وفق إرادة الله و الخريطة المرمومة في داخل جهاز الفطرة الداخلية للإنسان أو وفق المنهج الخارجى المنظم في القرآن الموجود في خارج الإنسان.

دور الوسائل في نشوء الايمان

يجب الأخذ بالاسباب والوسائل المخلوقة في داخل الانسان اصلاً لهذا الموضوع، فبواسطة الاجهزة يتم نشوء الايمان، وللايمان مكان جغرافي ينشأ فيه، وذكرنا سابقا هذه الاجهزة والوسائل لنشوء الايمان، ف(السمع والبصر)من الوسائل و(الاذن والعين)من الاجهزة، ولقد ذكرنا بأن العين يرى بارادته، وتحدثنا كذلك عن أنواع المهندسين في الدرس الثانى، وذكرنا الانواع الاربعة من المهندسين الذين يتخرجون من جامعة صلاح الدين في اربيل، المهندس المعماري، المهندس المدني، مهندس الديكور، مهندس الجمالية، وكلهم ضمن

تخصصات الهندسة، وقلنا: عندما نطلب من المهندس المعماري بان يرسم لنا خريطة، فيأتي وينظر الى الموقع بعين المعيارية وعندها يضع الخريطة، ولكن حينما انظر انا الى الخريطة على الورقة فلن افهم شيئاً لانني لم اخرج من الهندسة، لانني لا املك عين المعماري لافهم الخريطة المرسومة من قبل المهندس المعماري، وبعد ذلك ذكرنا المهندس المدني، فيأتي وينظر بعين المهندس المدني للخريطة فيشخصها، فهذه الخريطة تحتاج الى كذا طن من الاسمنت، وكذا طن من الاسلاك الحديدية، ويكمل مهندس الديكور عمله، وينظر مهندس الجمالية الى الالوان والى هيئة البناية وكيف يمكن ان يكون في النهاية، فان رؤية كل من المهندسين المختصين كانت برؤية نوعية خاصة لذلك العمل، وعند تفعيله لذلك بهذا النوع فحينها يتحول العين الى (بصر)، فالعين يصبح بصرًا ومن الممكن الرؤية من خلاله، ويليه مرحلة النظر حيث يعمل عندها العقل ويسيطر ارادة الانسان فيه، وإذا أخذ الاذن تخصصه فسيصبح سمعاً، فيتحول الاذن الى السمع، فهذه هي الوسائل والاسباب لتنشئة الايمان.

وكان هناك موقع في داخل الانسان.. وهو موقع جغرافي لنشوء الايمان، فالايمان لا ينشأ في الذهن جغرافياً، فالذهن (الدماغ) يتم فيه عملية الجمع والطرح، والضرب والتقسيم، والجبر والهندسة، الفيزياء والكيمياء، ويعمل هذا الذهن مع العلوم المادية الحياتية، وإذا أراد الانسان ان يستفيد من هذه المعارف وفق العين، فعندها يُفعل في داخل الانسان جهاز والذي يتطابق مع الخارج وأسميناه بالفطرة، وهو موجود في كل المخلوقات، وبواسطة الفطرة يتم التفريق بين الحسنة والسيئة والحلال والحرام، وعندها يبدأ السمع والبصر بالعمل وتتحول الفطرة الى (الفؤاد)، وسنوضح ان شاء الله كيفية تحول الفطرة الى فؤاد، حيث يبدأ الفؤاد بالعمل.

لا علاقة لجبريل بهذه الامور

قلنا في الدرس الثالث بان الله خلق منهجاً في داخل الانسان وفق خريطة معينة اسميناه بالفطرة، وهناك جهازاً آخر خارجي يتطابق مع الفطرة الداخلية واسميناه بالقرآن، فالقرآن في الخارج والفطرة في الداخل ضمن منهج واحد ومادة واحدة، وقد فصل الله الرحمن الانسان عن المخلوقات الأخرى تقديراً واختياراً له، لذلك فان المنهج ينزل وينزل للانسان والجن فقط، والمخلوقات الأخرى تعمل وفق فطرتها، وليس هناك داع بان يفرض الله عليهم اوامر أخرى، بالسمع والطاعة واتباع اوامر الله، فهم يسمعون ويطيعون الله الرحمن تلقائياً بفطرتهم، فالله الرحمن أنزل جهازاً خارجياً واسماه القرآن لتكريم وتشريف وتفضيل الانسان والجن فقط، او ما اسماه بالانجيل او التوراة او الصحف، وحيث ينشأ التطابق مع داخل الانسان والمتمثل بالفطرة، جبريل هو اسم المخلوق الذي ينزل القران، ولقد اثبتنا في الدرس السابق بانه لا علاقة لجبريل بالمادة المنزلة، فجبريل كجهاز البريد(بلا تشبيه)ينقل المادة من مكان الى مكان آخر.

اولاً: لا علاقة له بالبريد ولا بمضمونه، ولا بنوع الأمر ونهيه وهذا اولاً.

ثانياً: لا علاقة له بزمن نزول الامر والنهي.ثالثاً: بمكان نزوله، رابعاً: ساعة نزوله، فلا علاقة لجبريل بهذه الامور الاربعة، فجبريل مخلوق موضوع عند الله الرحمن، يأمره الله الرحمن ان ينزل هذا الكم من التوراة الى الشخص الفلاني المسمى (موسى)وفي المكان الفلاني، وهذا الكم من الانجيل للرسول الفلاني المسمى(عيسى)، انزل هذه السورة من القرآن بهذا الكم والنوع الى نفر الفلاني للرسول المسمى(محمد)، وهذا ما يملكه جبريل وهذا ما كلف به، ولا علاقة بخارجه وهو غير مأمور به، إذن لادخل لجبريل بمادة الوحي.

لم يعرف الرسول زمان و مكان الوحي

حامل القرآن والمسمى بالرسول هو ذلك الانسان الذي ينزل عليه المنهج، الرسول هو من يتلقى الرسالة، وهو كجبريل رسول، ويعني كلمة الرسول في اللغة العربية ليومنا هذا البريد الناقل (حاشا الرسول)، ويبدأ الجهاز الداخلي لهذا الرسول بالعمل عند نزول المادة عليه، ويصبح كل افعال هذا الرسول وفق هذا الكتاب وفق هذا القرآن، يتطابق جهازه الداخلي مع القرآن، وعندها إذا رأى الشخص المطلوب منه الايمان بالرسول افعاله واقواله وتقديرات الرسول سيتعلم منه مباشرةً وإن كان أمياً لايعرف القراءة وحتى إن أمسك القرآن ولم يستطيع قرأته، ويؤمن به مباشرةً، ولهذا فان افعال واقوال وتقارير الانبياء والرسول حجة في الدين على أقوامهم، وهم يمثلون الكتاب كلاً، ولهذا فلقد أُمر ذات رسولنا اثناء تشخيصه فقال الله الرحمن: (وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ) (النجم ٣-٤) لاعلاقة ولادخل له به أبداً، يقول علماء المفسرين بان نطق (آه) كلمة، ونطق (أُف) كلمة، ولايحق لرسول الله (عليه السلام و البركات) حتى في اضافة هذا للدين، لايقق له ان يقول (آه)، ولايقق له ان يقول (أُف) من نفسه، الى أن يأمره الله الرحمن وينزل عليه ذلك في سياق آية (فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا) (سورة الإسراء ٢٣)، إذن فالرسول (مبلغ) وناقل لمفهوم الوحي، وأي وحي؟ الوحي الخارجي والذي يتطابق مع داخل الانسان المتمثل بفطرته، وهذا الجهاز مخلوق أصلاً لهذا الوحي. ولهذا فان الرسول (عليه السلام و البركات) الممثل الحق لهذا المنهج والمطبق لهذا الوحي مئة بالمئة، فلو قطعت أية لقطة من لقطات حياة هذا الانسان العزيز العظيم وقمت بدراسته على ضوء القرآن، وجعلت القرآن له بلاجكتوراً وميكروسكوباً، لأحسست فعلاً بعزة وعظمة هذا الانسان، وكيف وصفه الله الرحمن (وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ) (سورة القلم ٤)، فكلمة عظيم في القرآن جاءت فقط للقرآن، إذن فالفطرة المخلوقة الذي خلقه الله الرحمن في داخل حضرة رسول الله (عليه السلام و البركات) يتطابق مع الجهاز الذي نزل عليه بعد ذلك والمتمثل

بالقرآن، فإثناء استمرارية عمل الرسول (عليه السلام و البركات) على فطرته يحوله الى
 الفؤاد ومن ثم الى العقل فيحوله الى اللب ومن ثم يحوله الى القلب، فيحوله فعلاً
 الى جهاز يتلقى من قبل الله الرحمن، فالظاهر بان هذا الانسان وصل بخُلقه الى
 المستوى الذي يشبهه الله الرحمن بالعظيم، فتكون العظمة موجودة في خلقه
 وخصاله، ولهذا امر كل إنسان يريد ان ينشأ الايمان في داخله بان ينشأ الايمان
 بمعيارية القرآن كما فعله ذات الرسول (عليه السلام و البركات)، قال تعالى: (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ
 فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا) (سورة
 الأحزاب_ ٢١)، يعلم من كان ملماً باللغة العربية بان الله الرحمن قد شخص ذات رسول
 الله (عليه السلام و البركات) في بداية هذه السورة بثلاث (استثناءات و حصر)، (لقد كان
 لكم) اللام وقد حرفا تحقيق، ويحققه اكثر عند الفعل الماضي، والجملة بدأت
 اسمية، في رسول الله في حرف جر، أُسوة ليست بقدوة ولا بممثل، أُسوة
 حسنة وماعداه غير حسن، فمن المحتمل ان يكون محايداً وغير سيء، فلم يقل
 احسن وانما حدده ب أسوة حسنة (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ) فالأسوة الحسنة
 لذات رسول الله (عليه السلام و البركات) (محمد) (عليه السلام و البركات) فقط، لماذا؟ لمن كان ولم
 يقل يريد ان يؤمن بالله، لمن كان يرجوا، فكلمة الرجاء وردت قبل الايمان، لمن
 كان يرجوا الله واليوم الآخر، لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة، فلماذا كان؟
 لأي شخص ولأي نفر ولأي ذات اراد ان ينشأ الايمان، لمن كان يرجوا الله قبل
 الايمان، واليوم الآخر هو الركن الثاني من الايمان، (لَمَّن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ
 الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا) لم يكن لرسول الله (عليه السلام و البركات) دخل بمادة الوحي ولا
 بزمن الوحي ولم يكن يعرف وقت نزول الوحي، وذلك موجود في صحيحي
 البخاري ومسلم، فلقد نزل الوحي في كثير من الاحيان على رسول الله (عليه السلام و
 البركات) وهو ممتطي دابته، فنزل من عليها، وكان يأتيه الوحي غالباً فجأة اثناء
 حديثه وهو جالس، وكان يأتيه الوحي حتى وهونائم، واثناء تواجدته في بيته ونزل
 عليه الوحي حتى اثناء علاقاته الاجتماعية، و نزل عليه الوحي اثناء مشيه، ولم

يكن يعرف متى زمن الوحي لكي يستعد له، ولم يكن يعرف نوع الوحي ومادته وماذا سينزل عليه، ولا أين سينزل عليه، وحتى أن الوحي كان ينزل على الرسول (عليه السلام و البركات) أثناء تواجده في مجلس جمع الذين آمنوا معه، إذ كان جالساً معهم في مكان ضيق قدراً و اضعاً فخذة المبارك على ركبة احد الصحابة حيث نزل عليه الوحي، واخبرنا هذا الصحابي عن وضعه فقال: لو لم ينقطع الوحي مبكراً لانكسرت ركبته لثقل الوحي، إذن لم يكن الرسول (عليه السلام و البركات) على علم بزمن ونوع ومادة الوحي المنزل، وإذا بالمأمورات تنزل عليه، فلا علاقة للرسول (عليه السلام و البركات) بهذه النقاط الاربعة وهو بريء منها، فمن الذي يحدد الوحي؟ ومن يحدد زمن الوحي؟ ومن يحدد مكان الوحي؟ ومن يحدد نوع الوحي؟ ينتج في الجواب للجميع ذات الله الرحمن فقط، فالله هو المتحكم وهو الأحكم ويعلم متى ينزل الوحي، وهو يعلم كيف ينزل الوحي، ويعلم اين ينزل الوحي، والاهم هو يعلم نوع الوحي المنزل، نقصد من ذلك هل ينزل سورة(البقرة) أم ينزل سورة(العلق)، وبالنتيجة هو الله الرحمن، فارادته في ان يكون اول سورة منزلة هي سورة (العلق)، ولماذا؟ نستنتج من ذلك بان سورة(العلق)هي القاعدةالاولى والمحور الاساسي لنشوء هذا النوع من الايمان الذي يريده الله الرحمن نشوءه في داخل رسول الله (عليه السلام و البركات) مع جمع الذين آمنوا معه.إذن فوحي القرآن بسورة (العلق) ينشأ الايمان في داخل الانسان، وذكرنا بان سورة(العلق) قاعدة الايمان بذات الله الرحمن، وهو منبع نشوء الايمان في داخل الانسان، والوسيلة المنهجية في خارج الانسان هو موجود في القرآن، والله الرحمن هو من يضع هندسة الوحي، فهو المتحكم ولهذا فان فطرة كل البشرية وكل انسان مخلوق من نوع واحد، إذن فالجهاز الخارجي المنزل عليهم متمثل بالقرآن، وسورة(العلق)هو بداية نشوء الايمان، ويجب على كل انسان ان ينشئ ويحي الايمان به ويعاد كذلك بواسطة سورة (العلق).

ما هو أفضل الطرق لنشوء الايمان؟

هل ينشأ الايمان بغير هذا الاسلوب؟ نعم، ولكن بصرف جهود كبيرة جداً مع صرف زمن كبير، جهود وزمن كبيرين، أو سينشأ الايمان الذي لدينا الآن، وكلنا يعلم بتقصيره ومقدار آثامه! ومن منا لا يقتنع بوجود الله؟ من منا من الموجودين لا يقتنع او لا يعتقد بان الله يراه؟ وبان الله يسمعه؟ والله رقيب عليه؟ والله خالقه؟ والله مهيمن على اعماله؟ وبان الله على علم بكل خلجة قلبه؟ ومن منا ليس في ذهنه ودماعه هذه المعارف؟ رجاءً فلنكن صادقين مع بعض من منا يستحضر في قلبه هذه الحالة عند اقترافه للثام؟ ذاتاً منا (ابعد الله عنا) أغتاب، ذاتاً منا (لاسمح الله) اقترف اثماً، فمن يذكر الله وقتها؟ فالظاهر بان الايمان الذي عندنا هو ايمان جزئي او ناقص او مريض، فبقناعتى ان الله الرحمن هو الحكيم والأحكم وبهندسته فقط يمكن من تنشئة الايمان، فبقناعتى ان منبع نشوء الايمان ومنطلق نشوء الايمان والخطوة الاولى على الانسان ان يبدأها بسورة (العلق)، وقد ذكرنا بعض مقاطع من سورة (العلق) لحضرتكم في الدرس السابق، سأعيدها مرة أخرى، (بسم الله الرحمن الرحيم * اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ) (العلق ١-٥)، فهذا كان المقطع الاول من سورة (العلق) ويبدأ المقطع التالي بكلا، وهي اول كلمة قاسية ينزل للانسان بهذا الزجر (كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيْطَعَى) (العلق ٦)، ومتى؟ (أَنْ رَأَاهُ اسْتَعْنَى) (العلق ٧)، وبالنتيجة؟ (إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى) (العلق ٨)، ويشير له بالخطوط (أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى عِبْدًا إِذَا صَلَّى ۖ أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى ۖ أَوْ أَمَرَ بِالْتَّقْوَى ۖ أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى) (العلق ٩-١٢)، فيعطيه نتيجة أخرى (أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى) (العلق ١٤) بلا، إن الله يرى و يسمع، (كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ۖ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ۖ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ۖ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ) (العلق ١٥-١٨)، لذاته وجمع الذين آمنوا معه (كَلَّا لَا تُطِغُهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ) (العلق ١٩)، في

السورة محاور خمس، اولها(إقرأ)ومختصراً قلنا بان كلمة (إقرأ) جاءت بثلاث معاني وسنتعمق اليوم فيه، فذكرنا مفهوم الدخول ومفهوم الطهر، واليوم سنوضح مفهوم التمسك، ما معنى النسك في القرآن؟ والنسك تعني الطريقة، إذ ذكر الله الرحمن على لسان الرسول (عليه السلام و البركات) (قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ) (سورة الانعام- ١٦٢)، ففي صحيح البخاري ومسلم يقول: (خذوا عني مناسككم)اي طريقة الرسول (عليه السلام و البركات) في العبادة والتعبد، والذي يقال له النسك، فكلمة القرء تأتي بمعنى النسك وهذا من المعاني الأخرى للكلمة، وتأتي بمعنى التفقه، والرجل المتفقه يقال للرجل القراء أو القراء، واتت من الفقه والفقه غير العلم، والرجل العالم يقوم بمزاولة علمه حتى تصبح جزءاً منه فيسمى بالفقيه، كما يطلق عندنا لطالب العلم فقيهاً وجاء هذا الاسم لكثرة تكرار واعادة مادته العلمية حتى تصبح جزءاً من كيانه، ومتى ما سألناه وفي اي حالة ما كان سيجيبنا مباشرة فهو اصبح فقيهاً، وتأتي بمعنى حمل الانسان للمادة المعنوية من مكان الى آخر مثل السلام، فيقال(إقرأ على فلان السلام)اي سلم على فلان، على سبيل المثال الاخوة المسافرين(ان شاء الله) كوفود الى حضرة رسول الله (عليه السلام و البركات) فالاخ الذي يريد ان يحمله السلام يقول له(إقرأ على رسول الله السلام)، سلم على رسول الله (عليه السلام و البركات) في المدينة، فما معنى كلمة (إقرأ) هنا؟ تعني حمل وتبليغ وترديد، حمل الشيء وتبليغه مع التكرار والترديد، وفي نفس الوقت اتى كلمة (قرء) بمعنى الوقت، وأقرأت انت بمعنى دنا، و(أقرء من سفره)اتى بمعنى الرجوع، وكل هذه مصطلحات الكلمة(قرء)وموجود في معجم لسان العرب ومعجم مقاييس اللغة العربية وفي مفردات راغب الاصفهاني ومعجم اخرى، وكل هذا من معاني(قرء)وينتج لنا عن ذلك بان كلمة (قرء او إقرأ) لاتعني ادرس، فجيريل لم يحضر في يده (سورة العلق) مطبوعاً او مكتوباً ووضع في يد الرسول أمراً اياه بان يقرأه، لا، لأن رسول الله (عليه السلام و البركات) اجاب

جبريل عند سماعه له ب (ما أنا بقاريء)، وتصور الرسول بان الدراسة هو ما قصده بإقرأ كما هو وارد في اللغة العربية (ادرس)، ف(إقرأ) وردت بمعنى (إقرأ)، (إقرأ باسم ربك الذي خلق) وردت بهذا المعنى وليس ادرس، فعندما نمسك بالقرآن فاننا نقوم بدراسة القرآن في مفهوم اليوم للقراءة، وتدرسه ونمسه وردت في القرآن بهذا المعنى، فكلمة القراءة تعني اخذ المنهج كما اخذه الرسول (عليه السلام و البركات)، فيجب ان نقرأ كما قرأ الرسول وعلى نفس الشاكلة، لانه قال (خذوا عني مناسككم)، ونعيد ونكرر القراءة كما فعلها الرسول (عليه السلام و البركات) لنصبح نحن ايضا فقيهين في القراءة، لنصبح كطالب العلم فيصبح هذا جزءاً في داخلنا، فتصبح القراءة بالنسبة لنا مادة ملصقة بنا، نحمله في داخلنا وله الاثر في داخلنا، وكجهاز التسجيل نضغط على الزر متى ماشئنا لنقوم بتكراره واعادته وتجديده، وهذه هي كلمة القراءة، والوقت الذي نشاء نقرأ لان كلمة القراءة وردت للوقت ايضاً، فمتى ما شئنا نقرأ ويكون في متناول ايدينا لنتمكن من ذلك، ونكون قريبين من القراءة لانه أتى بمعنى دنا فنتقرب من القراءة كأن يكون متلاصقاً بنا، وحتى إذا نسيناه نعود اليه لانه أتى بمعنى الرجوع ايضاً، فكل من الرسول (عليه السلام و البركات) وأبو بكر وخديجة (رضوان الله عليهم جميعاً) ومصعب بن عمير وعبدالرحمن بن عوف وسعد بن ابي وقاص كانوا يقرؤون، فماذا كانوا يقرؤون؟ اجاب الله (إقرأ باسم ربك الذي خلق) وهذا هو الركن الاول والبند الاول من قاعدة نشوء الايمان، فعلى هذا الذات ان يقرأ بكثرة هذه المخلوقات بعينه ثم بذنه فبفطرته (ببصره ثم بذنه فبفطرته)، يعيد ويقرأ هذه المخلوقات الى ان يصل للمعاني التي ذكرناها، فتصبح هذه المخلوقات أمام عينيه في كل وقت، وفي كل وقت يحس فعلاً بان هذه المخلوقات عليها طابع وبصمة المخلوقية، فيقرأهم في كل وقت، لماذا؟ لنشوء هذه الحالة في داخله بحيث يبدأ الفطرة بالقراءة، كان الرسول (عليه السلام و البركات) أُمِيًّا، قال الله الرحمن (مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا

(سورة الشورى ٥٢) فكان الرسول (عليه السلام و البركات) لا يعرف الكتابة والقراءة (وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذَا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ) (العنكبوت ٤٨) لم يكن يفك الخط، فكيف كان يدرس القرآن؟ فحتماً لم يتمكن الرسول (عليه السلام و البركات) من دراسة القرآن، ولكنه كان يقرأ القرآن، وذلك بعد أن قرأ القرآن الخارجي للمخلوقات فعلياً، وقلنا في البداية بأن كل المخلوقات قد خلقت بنظام معين وبمنهج منتظم، والقرآن نظام، فعندما اراد الرسول (عليه السلام و البركات) من ان ينشأ ارضية للقرآن في داخله في فطرته، قام بقراءة القرآن الخارجي والمتمثل بالكون وهو النظام الخارجي، والقرآن المنهجي لله الرحمن المتمثل بالوحي يعلمه القراءة، إذن بهذا يتم تطابق المناهج الثلاثة معاً.

فبماذا يتم تنشأة العلاقة بين الانسان والمخلوقات؟

و هذا التطابق يشمل: أ-القرآن الداخلي المتمثل بالفطرة.ب-القرآن الخارجي والمتمثل بالكون.ج-قرآن الله الرحمن المتمثل بالوحي وهو المنهج.

يتم التطابق بين الثلاث، فيقرأ الرسول (عليه السلام و البركات) الثلاث (القراءة بالمعنى الذي ذكرناه سابقاً)، ويكثر من القراءة بهذه المفاهيم حتى يصبح فيه خلقاً، وهذا ما ذكره الله الرحمن في السورة الثانية (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ) (وَأَنْتَ لَعَلَى خُلُقٍ) وبأي نوع؟ يشخصه ويعينه ويعظمه (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ) (العلم)، فأكثر الرسول (عليه السلام و البركات) القراءة حتى اصبحت جزءاً منه في داخله، وتفقه القراءة بحيث اصبح جزءاً منه، وتمكنت القراءة كل حياته، ولهذا تم تطابق المخلوقات الخارجية مع ذات الرسول وفطرة هذا الرسول مع وحي هذا الرسول، فتحققت ارادة الله الرحمن بنشوء الانسجام والتوحد في داخل الرسول، بواسطة تطبيق الوحي، الوحي الخارجي، والكون من مخلوقات الله، وقد تكونت وفق ارادة الله، واستجابوا هم

ايضاً لذات الرسول (عليه السلام و البركات) ولذلك ذكر في البخاري: هناك فترة بين النبوة والرسالة، ولقد ذكرنا ذلك في درس السيرة قبل سبع او ثمان اشهر، يذكر البخاري عن مرحلة النبوة فيقول: كان هناك حجراً موجوداً في داخل مكة يسلم على الرسول (عليه السلام و البركات) عند مروره من جانب الحجر، ودعى بعضاً من اصحابه بعد فتح مكة وقال لهم لنذهب عند الحجر الذي كان يسلم علي اثناء النبوة وقبل الرسالة، بأي لغة؟ كان يسلم عليه باللغة العربية، وكان يقول له (السلام عليك يا رسول)، قبل ان يكون (عليه السلام و البركات) رسولا، لان هناك فاصلة بين فترة الرسالة وفترة النبوة، لان الرسول كان نبياً من قبل، كان نبياً بأقرأ فاصح رسولاً بعد ثلاث سنين، وتطابق داخله مع الوحي واستجابت له المادة الخارجية، ولهذا بتوفيق من الله سوف نثبت ان شاء الله في نهاية تكون الايمان بان في القرآن قانونية اثبات لتسخير مادة مخلوقات الكون للانسان المؤمن ومايزال مسخراً، ولايزال موجوداً في الكون وهو مسخر وينتظر اليوم الذي يشير فيه المؤمن اليه ليعطيه كل طاقته بمفهوم التسخير، كالعبد يأتي الشمس ليثبت سمعه وطاعته للانسان المؤمن، وكذلك القمر والنمل، فنثبت بالقرآن فعلياً انه كيف يصبح الانسان المؤمن خليفة الله على الارض عند وصول ايمانه الى هذا المستوى، ويتعامل مع كل الموجودات بمادة وحي الله، فلماذا يقرأ الرسول (عليه السلام و البركات) في داخله؟ لتنشئة علاقة افقية مع كل المخلوقات، فنحن الآن ومع كل الأسف نعيش في حالة من البلاهة الايمانية مع المخلوقات، فمثلاً على الانسان ان يعرف بتصوره ان هذا مخلوق لمدة ثمان ساعات على الاقل، فكل ما يقابله من المواد جزء من المادة المسخرة له، وفي نفس الوقت بان لهذا المخلوق خالقاً خلقه لهدف معين يقوم بخدمة هذا الانسان المؤمن، فعند شربه الماء واكله الطعام وعند شهيقه وزفيره، وعند رؤيته لنفسه في المرآة، وعند رؤيته لعين انسان واذن انسان وشعر انسان، فيجب عليه ان يكشف كل مخلوقية هذا المخلوق، ففي كل وقت يحس بان مادة المقابل مخلوق، والمقابل مادة غير

منقطعة عنه وغير منقطعة عن ذات الله، غير منقطع عن ذات الرب، وإنما هو مخلوق، وعند نشوء هذه الحالة في داخله سينشأ علاقة جذرية بينه وبين هذه المادة، وعليه ان يحس، فكيف ينشأ هذا الاحساس؟

ماهي القراءة؟

عن طريق البصر، يجلس ويغلق عينيه فيتفكر، وللقراءة زمن سنأتي لنبينه بعد قليل ان شاء الله، فان القراءة يجب ان يؤدي في وقت معين، فيأتي في النهار ويرى صوراً كثيرة، فلقد رأى زيد وعبيد، فينظر الى عين زيد وكيف انه يرى بواسطة عينيه؟ وينظر الى أذنه وكيف انه يسمع بواسطة اذنيه؟ ولماذا خلقت اصابع قدم زيد بهذا الشكل؟ ولماذا اظافر قدمه متجه الى الاعلى وليس الى الاسفل؟ ولماذا كان جلد زيد بهذا الشكل؟ ولماذا كان هذا طبيعة زيد؟ وكيف يتمكن زيد من رؤية كل هذه الالوان وكل هذه الصور؟ فكيف يستطيع عين زيد التفريق بين ٣٠٠٠ لون من الوان اللون الاحمر؟ فقط من اللون الاحمر يتمكن التفريق بين ٣٠٠٠ منها، فكيف يستطيع عين زيد من التفريق بين كل هذه الالوان الحمراء؟ وماعدا هذا هناك الابيض والاسود والاصفر والفسطقي....الخ، فكل هذه الالوان موجودة، فكيف تتكون الصورة في عين زيد؟ ومن ثم ينطبع في دماغه، فعند رؤية عين زيد لكل هذا سيقوم بدراسة كل ذلك بعينه، فهذه الحالة هي القراءة، وعندما يقول لاخته الصغير عبيد في البيت اسقني ماءً، فسيحضر عبيد له كأساً من الماء وينظر الى الماء، ويرى كيف خلق هذا الماء؟ ولماذا قد خلق بهذا الشكل؟ سبحان الله! صدقوني فسوف لن يبقى له اي جواب الا ان يستسلم ويسبح، فيقول مباشرة سبحان ربي العظيم وبحمده سبحان ربي العظيم وبحمده، تعلمون بان غاز الاوكسجين مشتعل ويشتعل والهيدروجين يساعد على الاشتعال، فانظروا الى ارادة الله الرحمن! انظروا الى عظمة الله الرحمن،

سبحان الله! خلق الماء من مادة تشتعل ومادة تساعد على الاشتعال الله اكبر! مادة تشتعل ومادة تساعد على الاشتعال، ويخلق الماء في الاتحاد بينهما، H_2O ، ٨٠% من الكون كله هيدروجين، وما تبقى اوكسجين ونتروجين وهيليوم وغازات اخرى، اليس هذا بتحدي؟ وهذا ما كان الرسول (عليه السلام و البركات) يقرأه، ينظر الى الحيوان وكيف يولد هذا الحيوان وكيف يربي صغيره؟ سبحان الله كيف يتمكن من اعطاء الحليب لصغيره؟ فمن اعطاه هذه القوة والقابلية؟ ومن اعطاه هذا العلم؟ ومن اعطاه هذه الارادة؟ ومن اعطى هذا الحيوان هذه الارادة لتربية صغيره؟ وكان الرسول (عليه السلام و البركات) ينظر الى الطير والى البلب؟ هذا البلب الجميل والذي يوجد ١٠٠٠٠ نوع منه، انظر الى حجرة البلب الله اكبر! فما هذا الصوت الجميل الذي يصدر منه؟ فكل نوع من البلاب لها نوع من الحناجر تصدر نوعاً من السمفونية، فتختلف سمفونية كذا النوع من البلاب مع البلاب الأخرى ولا تخطف، فكل منهم يسبح بلسان حاله، فكان الرسول (عليه السلام و البركات) يستحضر هذا البلب امام عينيه، هذا البلب يسبح ويصدر صوت جميل، فمن علمه؟ ومن اعطاه العلم؟ ومن خلق له هذا الادراك؟ ومن الذي يعطي البلب هذه الامكانية المستمرة باصدار هذه السمفونية وبدون اخطاء في كل حياته؟ من؟ سبحان الله! فكان الرسول (عليه السلام و البركات) يقرأ لون البلب ويستحضره امام عينيه، ريشة زرقاء وبجانبه بالضبط ريشة برتقالية مرتبة وبهندسة معينة.

الجزء السادس

يجب التأسى برسول الله في أخذ الإيمان

نستمر بلقاءاتنا في دروس احياء الأيمان أو كيفية تنشئة الأيمان في داخل الانسان، ونتحدث اليوم (ان شاء الله) في حلقة من حلقات هذه المادة بتوفيق وترشيد من الله الرحمن، عسى ان يجعله الرحمن سبب خير وسعادة الدنيا والآخرة (انه هو السميع البصير).

كيف يتحكم الانسان بفطرته؟

سوف أعيد النقاط السابقة بسرعة ليصبح منطلق موضوع اليوم، لان المواضيع والحلقات صراحة مترابطة مع بعض، ذكرنا الى الآن بأن كل الوجود وكل المخلوقات قد خلقها الخالق بقانون وقاعدة نظامية متماسكة، ولكل منهم وظيفته وبرنامجه يؤديها في الوجود، وهم يؤدون السجود والتسبيح لله الرحمن اثناء استمرار هذه المخلوقات في تطبيق وظائفهم، وإذا عكسنا هذه الحالة فعموم هذه المخلوقات تؤدي وظيفتها عند السجود والتسبيح لله الرحمن، وضرربنا عدة امثلة على ذلك كالقمر والشمس والانسان والحيوان والنبات والجماد، هؤلاء كلهم يؤدون وظائفهم ضمن مفهوم التسبيح والسجود، وكل المخلوقات تعمل بقاعدة ما اسميناها بالفطرة، وقلنا بان الفطرة هو ذلك الجهاز الموجود في داخل كل المخلوقات، وبواسطة الفطرة يتحكم هذا الكائن بنفسه وبما حوله من جماد ونبات وحيوان وحتى الانسان، و أخذنا القط مثالا إذا كنتم تذكرون ذلك، وكذلك الاميبا، ويتحكم الانسان بفطرته على اكله وشربه ونومه وحياته وتكاثره، وكل ذلك كان يؤديه ومازال يؤديه في قانون ونظام الله الرحمن وهو سجود وتسبيح لله الرحمن، ولهذا فإن الارادة من كل المخلوقات قد سحبت منهم و ذلك السحب مستمر ماعدا الانسان والجن، فهم ليسوا بحاجة الى ان يجدد لهم الله الرحمن فطرتهم بواسطة المخلوقات الأخرى لمرتين أو ثلاث أو الف مرة ماعدا الانسان والجن، فالانسان والجن بحاجة الى ذلك، فان فطرتهم في الداخل قد برمجة كالساعة وكالجهاز على الحسنة والسيئة بمفهوم الحلال والحرام، وهناك جهاز خارجي يقوي الفطرة ويدعمها فينشأ التطابق والتوحد بين فطرة الانسان الداخلي والذي خلقه الله الرحمن بهذا الشكل، والذي اسميناها في الدرس الثاني بجهاز الكمبيوتر (الحاسوب)، فانشأ الله الرحمن في خارج الانسان جهاز يتمكن من تكوير وبرمجة فطرة الانسان الداخلية واسميناها بالبدسك (القرص).

فكل كومبيوتر يشتغل بجهاز خارجي معين، فالكومبيوتر كان الفطرة في داخل الانسان والجهاز الخارجي كان القرآن، فالقرآن كان ذلك الجهاز الذي استطاع الإنسان بواسطته من برمجة فطرته، وقلنا بان الحيوان يفرق ايضاً بين الحسن والسيء، الحلال والحرام بمفهوم المصطلح القرآني، وكذلك يتمكن الاميبا من التفريق بين الحسن والسيء ويعني بانه يعرف حلاله من حرامه، وكذلك الإنسان بفطرته يعرف حسنته من سيئته، ولكن لان شياطين الأنسان والجن يريدون التحكم في فطرة الأنسان احياناً، لهذا فان الله الرحمن بتشريفه وتكريمه انتخب بعضاً من الأناسي من الوسط، فارسل الرسالة لهذا الذات ليتمكن هذا الرسول وهذه الرسالة من التحكم في فطرة الانسان، فالرسول والرسالة جهازان خارجيان يمكنان الانسان من قولبة فطرته من جديد، ويصفيه وفق هذا المنهج الخارجي الموجود والمتمثل بالرسالة والرسول، وقلنا بان هذا الايمان المطلوب من الانسان بتنشئته في داخله له موقعه الجغرافي الخاص به، فلا ينشأ شيء في الفراغ وانما يجب ان يكون له موقعه، وقلنا بان جغرافية الايمان في داخل الانسان هي فطرته، ووضع الله الرحمن الفطرة في صدر الانسان، ووضع له الوسائل، ليتمكن هذا الانسان من تفعيل فطرته باسبب الاساليب واسهل الطرق إذا اراد وحاول تفعيل فطرته باي وقت وزمن وفي اي مكان كان، وذكرنا بالتفصيل بان السمع والبصر جزء من الوسائل، السمع والبصر وليس الأذن والعين.

كيف تفعل (السمع والبصر)؟

ربط السمع والبصر في القرآن بالفؤاد، ذكرنا السمع والبصر في الدرس الثالث وهما ليسا بالأذن والعين، وقلنا بان السمع والبصر يحولان الفطرة الى الفؤاد متى ما كان للانسان الارادة في تفعيل داخله وفق فطرته ووفق المنهج

الخارجي المتمثل بالقرآن، فالفؤاد يبدأ بالعمل وعندها ينشأ حالة (..إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا) (الإسراء: ٣٦)، السمع والبصر والفؤاد، فيتحول الفطرة الى الفؤاد، وذكرنا مفصلاً معاني كلمة الفطرة في القرآن، وكذلك معاني كلمة الفؤاد في القرآن، وقلنا بان الفطرة هو تشغيل البرنامج الموجود في داخل الانسان، وهي ليست مقتصرة على الانسان وانما خلق الله الرحمن ذلك في المخلوقات الأخرى في الخارج كقوله: (..فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ..)(الروم: ٣٠)، (فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا...)(الأنعام: ٧٩)، فلقد فطر السموات والارض وكذلك داخل الانسان، وقلنا بان الفطرة في الداخل وفي الفئتين من المخلوقات الانسان والمخلوقات الأخرى وبه يتحكم الله الرحمن باعمالهم، واما السمع والبصر فهما من وسائل تفعيل الفطرة، ومتى استطاع من تفعيل السمع والبصر فعليا ووفق ارادة الله الرحمن استطاع تحويل فطرته الى الفؤاد، وخامسا قلنا بانه يتم تحول الفطرة الى الفؤاد عن طريق وسيلة واحدة وهي القراءة، ف(إقرأ) في سورة العلق هي اول كلمة نزلت على رسول الله (عليه السلام و البركات) وهو منطلق و تحويل الفطرة الى الفؤاد، وذكرنا القراءة بالتفصيل وبحثنا في معاني القراءة (١٣) في القرآن، وقلنا بان الدراسة على الورقة بالعين هو جزء من مفهوم القراءة، ووردت مفهوم القراءة بمعنى النسك وبمعنى التفقه، وبمعنى النقل والتحميل والترديد والتقديم، وضرربنا مثلاً على ذلك بانه إذا اراد شخصاً عربياً من ان يسلم على صديقه فيقول (إقرأ على فلان السلام، إقرأ عليه السلام) ولايقول قل له سلام ولايقول بلغوه السلام وانما يقول إقرأ على فلان السلام، وقلنا وردت كلمة (قُرِئ) بالوقت ووردت بمعنى (دنا) التقرب وكذلك بمعنى (الرجوع)، فاستنتجنا كل هذه المعاني من كلمة (إقرأ).

الطريقة الوحيدة لنشوء الإيمان

اثبتنا بانه لاعلاقة لرسول الله (عليه السلام و البركات) بمادة الوحي ولا بزمانه و مكانه ولا بنوعية الوحي ولا بكيفية نزول الوحي، فلم يكن الرسول (عليه السلام و البركات) على علم بهذه النقاط الاربع وهو الرسول على الارض، وجبريل هو الوسيط والبريد بين الله الرحمن وبين رسول الله (عليه السلام و البركات)، وهو ايضاً لاعلاقة له بنوع الوحي او زمان و مكان او بصيغة الوحي، إذن فرسول الارض والسماء محكومان بتقدير وهيمنة الله الرحمن، فمتى ما شاء وبالنوع الذي اراد وبالمكان والكم الذي يريده انزل الوحي، واثبتنا بان كلمة (إقرأ) ليست من عند جبريل، فكثيراً ما نقرا نحن الشباب في روايات مسلم والبخاري (رضي الله عنهم) وكأنه نحس بأن كلمة (إقرأ) من اعلام جبريل لرسول الله، علماً بان كلمة (إقرأ) هي جزء من الوحي وكلمة من كل الوحي، وبه بدأ الوحي وهو مفتاح نشوء العلاقة بين الانسان والسماء، بعد انقطاع الرسالات وحيث بدأت برسول الله، ويبقى الى آخر انسان في الوجود ويبدأ بهذه الكلمة كما بدأها، ولهذا بدأ الرسول (عليه السلام و البركات) بالقراءة بكل هذه المعاني التي ذكرناها، فلماذا ينشأ الايمان بهذه الطريقة؟ لان الله الرحمن ذكر في هذه الآية: (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا) (الأحزاب ٢١)، فقلنا (لَقَدْ كَانَ) جملة اسمية واللام لام التحقيق و(قد) تفيد التحقيق، بدأت بجملة اسمية وكله حصر وتأكيد وتحقيق، بمعنى انه لامجال لكم ولاطريقة ولاوسيلة لكم لمن (لَمَّنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ) ولم يقل (آمن بالله) وقلنا بان الرجاء هو في مقدمة نشوء الايمان، فليس هناك اية طريقة ولااية وسيلة لتنشئة الايمان في داخلكم (لَمَّنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ) فيجب عليه ان يكون كرسول الله، وان يأخذ الاسوة من رسول الله، وقلنا بان كلمة أسوة أشمل بكثير من كلمة القدوة، (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ) فهو الرمز والمثال، ويجب عمل ذلك مطابقة لمن اراد ذلك (في رَسُولِ اللَّهِ) ولم يقل في ابا بكر وفي ابا حنيفة وفي سيد سابق، (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ) ومن ثم

(حسنة) ولم يقل احسن فلقد حدد كل ذلك ولمن؟ (لَمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ
الْآخِرَ) فهاتان النقطتان هما مبتغى وأصل الايمان (الايمان بالله واليوم الآخر)
والباقي توابع له، إذن فإذا لم يكن للرسول (عليه السلام و البركات) دخل بالوحي ولم يكن
لجبريل دخل في الوحي فمن المتحكم بتنزيل وتقديم الوحي؟ الله الرحمن إذن هو
الأحكم وهو الأعلم وهو الأهدى وهو المؤمن، إذن هو يعلم كيف ينشأ الإيمان
وبأي اسلوب و صيغة ينشأ ويعلم بما يبدا لتنشأة الايمان في ذات هذا الانسان.

كيفية تغيير الفطرة الى الفؤاد عن طريق السمع والبصر بكلمة إقرأ؟

سورة(العلق)كانت أول سورة نزلت على الرسول(عليه السلام و البركات)، وبدأ
بالقراءة بالمعاني التي ذكرناها في هذا الدرس وفي الدرس الرابع، قرأ
الرسول(عليه السلام و البركات)، عن طريق السمع والبصر فتحوّلت فطرته الداخلية الى
الفؤاد، وقلنا ان كلمة فؤاد أتت من التفؤد، فالتفؤد حالة تعود لذات الانسان تنشأ
متى ما أحس باحترق في جوهره الداخلي، بماذا؟ بكثرة القراءة بتلك المفاهيم
ومتابعة كل هذه المخلوقات كما ذكرنا في الدروس السابقة (أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي
خَلَقَ)(العلق١)، فينشأ عنده الحاجة الفعلية لصرف طاقته الموجودة في داخله
ليسحبه ويعطيه لجهة معينة، فيكون داخل هذا الانسان كجمرة من النار او
كغلاية تغلي على النار، وعلى هذا الشكل يبدأ بالعمل وهذا هو الفؤاد، فكلمة
الفؤاد في اللغة العربية عندما يتفأد كأن يكوى اللحم على النار ويحرق على النار
فيطلق الفؤاد على هذه الحالة، فيتعلق داخل هذا الانسان بخالق المخلوقات عندما
يقرأ، فيحس في داخله بالحاجة لمعرفة خالقه، وبهذا الشكل بدأ قلب الرسول(عليه
السلام و البركات)و(جمع الذين آمنوا معه)، فهذه الحالة هي تحول الفطرة الى الفؤاد،
فيحس في كل وقت وإن لم يكن في أغلبها فعلياً بأن كل مايقع عينيه عليه قاطبةً
وكل صوت يسمعه هو من المخلوقات، وهذه هي القراءة (بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ*

خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ) (سورة العلق ١-٢) قد بدأت بالعمل، فيحس داخله بأنه يجب فعلاً سقايته بالماء ويجب اشباعه، فيحس بالجهة والاحساس الفعلي بالجوء اليه والترمي في احضانه، ولهذا سينشأ في داخله هذه الحالة بعد قراءة كل هذه المخلوقات وهو مازال في الكلمة الثانية (أَفْرَأَ بِاسْمِ رَبِّكَ...)(العلق ١).

وبحثنا كلمة الرب بمعانيه الثلاث الوارد ذكره:

- في الاول قام بالايجاد ووضع له الخريطة والهندسة ووفق هذه الخريطة والهندسة انشأ كلمة خلق.

- ومن ثم قام بالتبرأة فانشأ مادته الاولية.

ومن ثم اعطى له الصورة المجسمة وما يطلبه هذا المخلوق، فصوره الخالق، الباريء، المصور، خلق هذا المخلوق بان يكون محتاجاً، هذا المخلوق وكل المخلوقات تكون بحاجة الى خالقها بشكل دائم، فيكون خالقه مهيمن على ادارة وادامة عمل هذا المخلوق. فيحس الرسول (عليه السلام و البركات) والذين آمنوا معه بشوق دائم وبحرقه ويحسون بانهم في حاجة الى هذا (الرب) الذي خلق كل هذه المخلوقات، احسوا بانه لايمكن لهذا الرب من ان يترك هذه المخلوقات ولو للحظة، بان يهملهم ويعطيهم الاجازة، اصلاً لايمكن ان ينشغل هو (لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ) (البقرة ٢٥٥) فيجب ان لاتأخذه سنة ولانوم، فكل وقت يتم ادارة شئون واعمال هذه المخلوقات، فمتى ما سحب هذا الرب ادارة جزئيات واصغر جزئيات هذه المخلوقات فان هذا الكون او عمل هذا المخلوق سيتوقف، فهذا نشأ في داخل (الذين آمنوا مع رسول الله) وهذا هو الفؤاد والارضية لنشوء الايمان، فيبدأ نشوء قاعدة الارتباط مع ذات الله الرحمن بمفهوم الخلق، يبدأ ارضية نشوء الايمان في داخل الانسان بمفهوم الخالقية، (الله هو الخالق) وبهذه القراءة يعطى لكل المخلوقات احجامهم، فيصل الانسان الى حجمه وقالبه، فلقد قرأ نفسه (خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ) (العلق ٢) فعرف قدر نفسه؟ ومدى قدراته؟ ومدى امكانيته؟ وما

المطلوب منه؟ فعندما يقوم بقراءة الكون وقراءة الشمس سيعلم حجم المخلوق، ومقدار تعامله مع هذا المخلوق؟ ولماذا خلق هذا المخلوق؟ وما هو عطاءه؟ وما علاقة هذا الذات مع هذا المخلوق الشمس؟ ومن ثم يأتي ويقرأ شجرة النخلة، وبهذا الشكل يعيد الانسان في داخل دماغه وفي فطرته ما تم تحريفه من قبل شياطين الانسان والجن بواسطة القراءة ويعيده الى حجمه الاعتيادي.

ماذا نفعل لكي لانخاف من الموت؟

نأتي الى معاني ومفاهيم أخرى كالموت مثلاً، الموت معنى موجود في داخل الانسان ومخلوق معه (خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ) (الملك ٢) فخلق مع الانسان وكل الكائنات ويجب ان يموت الكل إلا (الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ) (الفرقان ٥) فالله الرحمن هو الباقي، فالموت ينشأ في داخل الانسان وحتى جمع المسلمين نوعاً من الخوف والرغبة، فهذا في داخل جمع المسلمين ولم اقصد المؤمنين، القرآن يفصل بين المصطلحين المسلم والمؤمن، فالشخص يعيش في حالة مجهولة وحالة من الفراغ بالنسبة للموت، ولهذا نحن نتذكر الموت عندما يحدثونا عنه، علماً بان المميت من افعال الله الرحمن على الانسان ان يكون قد تعايش مع الموت فلا يحتاج في كل وقت ان يتعاطى الأبر ليحس بحالة الموت، فلماذا ليست كذلك؟ ولماذا نحن كذلك؟ لاننا لم نقرأ حالة الموت، وبعد قراءة الموت سوف ينشأ حالة من الاحساس بالموت كحالة طبيعية وخلقية وعادية في داخل الانسان، وعندها يأخذ الموت حجمه الطبيعي في داخل الانسان فلا يخاف منه ولا يكون مجهولاً عليه، ويعتبره نافذة وباب ينتقل بها من جهة المجهول وهي الدنيا الى جهة المعلوم وهي الآخرة، فكل ذلك عنده من الحقائق فينتقل من النسبية الى المطلقية، وكذلك بالنسبة للانسان المسلم، فلماذا؟ لانه لم يقرأ الموت، فعندما يقوم بقراءة الموت سيحس فعلاً بان المسدس والقنابل والمدافع لا يميت الانسان، وعند

نشوء هذه الحالة بواسطة القراءة في دماغه سيكون في مواجهة دائمة ولا يبحث عن التبريرات لداخله، لكي يكون فعلاً منكمشاً في اداء مهمته فإن حقيقة الموت نصب عينيه وصورة الموت موجودة في داخله أصلاً، فيكون مواجهاً له لاكتشافه حقيقته، ولهذا ترى (الذين آمنوا مع رسول الله) لم يديروا ظهورهم للموت حتى في ساحات القتال وعند اصابتهم كانوا يصابون من الامام (إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ النَّقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا...)(آل عمران ١٥٥)، (تَوَلَّوْا) إذن فهو غير جائز وحتى اعتبره بعض العلماء كفرة، فلماذا وُجدت هذه الحالة في داخل هذا الذات؟ لانه لم يقرأ الموت اصلاً.

ويتعرض المسلمون لهذه الحالة في كثير من الاحيان، ولهذا ترى تعجبه لحالة موت احد اقرباء هذا الانسان ومحبه في الساعات الاولى، فما هي هذه الحالة! وأين ذهب هذا الانسان! طبعاً إذا تعقل وفكر وأما إذا كان هو في حالة من البلادة والسطحية فعنده يكون امراً عادياً فكما يموت الملايين سيموت هو ايضاً. فالله الرحمن انشأ هذه المعاني متقصداً في داخل الانسان بالفطرة، والقراءة تحول الفطرة عن طريق السمع والبصر الى الفؤاد وهذه الأرضية تنشأ الايمان. فهذا كان الدرس الخامس الذي تحدثنا فيه عن البعد الداخلي للانسان.

ما هو دور الرسول والرسالة؟

سنتحدث اليوم عن البعد الخارجي للانسان، بعد تحول الفطرة الى الفؤاد

اسمينا الجهازان الخارجيان ب:

الاول: هو الرسول والذي التقط الرسالة المنزلة عليه.

الثاني: هو البريد والجهاز الذي انزل الوحي وهو جبريل. وقلنا بانه لم يكن الرسول على علم بالموضوع ولا علاقة له به، وفي نفس الوقت جبريل لم يكن على علم بالموضوع ولا علاقة له به، فمن المتحكم بقضية الرسالة و بالزمكان

وبالنوع والصيغة؟ الله الرحمن، وكيف يبدأ؟ الله الرحمن أيضاً. إذن الله الرحمن هو الحاكم وهو الاحكم والعليم وهو الهادي لنشوء الايمان بهذه الطريقة، فما هو عمل هذا الرسول في الخارج؟ في ستة اماكن ورد في القرآن منها في الآية الثانية من سورة الجمعة: (هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ...) (الجمعة ٢) اختار الله الرحمن ذاتاً انساناً كرَسُول(مِّنْهُمْ) ما مهمته؟ مهمته هو ما تكرر ذكره في القرآن:

الاول: (يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ) وهذا مهمته الاولى، فماذا يفعل الرسول في البدء للمقابل فقط (يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ) بعد الاختيار، (هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ) ماذا يفعل (يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ) هذا هو الاول. ومن ثم:

ثانياً: (وَيُزَكِّيهِمْ) وهذا ثانياً.

ثالثاً: (وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ).

فله ثلاث مهمات (يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) (الجمعة ٢). قال (الضلال) ولم يقل الكفر فهذه النقاط الثلاث تزيح الضلال. تأتي على كلمة (التلاوة) فالرسول لا يقرأ للبشرية وللانسان، انتبهوا فهذه النقطة حساسة، فمن الذي عليه ان يقرأ لنفسه؟ الانسان، على الانسان ان يقرأ لنفسه بواسطة (السمع والبصر) وفطرته موجودة في داخله، عندما يبدأ بالقراءة ويصل الى المستوى الذي فيه يلتقط الفطرة ويمتص كجهاز الراديو، فكل الاجهزة المنتظمة مستعدة لالتقاط الذبذبات الصوتية، وعندما يبدأ بالعمل يأتي الرسول ليغير الموجة فقط ويضغط على زر تشغيل البطارية فيلتقط الراديو مباشرة، فيجب على هذا الشخص ان يملك أرضية القراءة وقد قرأ من قبل اصلاً فالرسول لا يقرأ له وانما يتلوا عليه (يَتْلُو عَلَيْهِمْ) ماذا؟ (آيَاتِهِ). ذكرنا في الدروس السابقة بان الآيات نوعان:

النوع الاول: آيات الله الرحمن المخلوقة والتي خلقت بنظم وقوانين، ومن آياته (وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ) (الروم ٢٢)، وكل ذلك من آياته، فالآيات تدل على الله وبواسطة هذه الآيات تتعرف عليه.

النوع الثاني: القرآن فان الله الرحمن قد فصل بين (يقرأ القرآن) فكان الرسول غالباً يقرأ القرآن أما (يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ) فهو مع الآيات الكونية.

فكل الرسل طبعاً ورسول الله كلهم قاطبةً يتلون آيات الله على البشرية معا (يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ) (الجمعة) ولماذا لا يقرؤون لهم؟ لأن القراءة تعود الى ذات الانسان نفسه، ولهذا فان مفهوم الاحاد غير موجود في القرآن، ولا يعرفون الله الرحمن بذات الانسان، ولذلك فحتى في سؤال القرشيين (وَلَيْنِ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ) (لقمان ٢٥) فما كان جوابهم؟ (لَيَقُولَنَّ اللَّهُ) (قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ) (المؤمنون ٨٦) وحتى كانت عندهم هذه المصطلحات (رَبُّ الْعَرْشِ) (رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ)، واما العلاقة بين (الرب) وبين ذات هذا المخلوق المتمثل بالانسان هي علاقة ليست بتوحيدية وفطرية، هي مغشوشة ومنحرفة عن خطها، ويأتي الرسول ليعدل هذا، ويضع القطار الخارج عن سكوته على سكوته ويدفع به ليعمل، ففي الاصل يجب ان يكون القطار موجوداً، والسكة موجودة (وبلا تشبيهه) هذا هو عمل الرسول (عليه السلام و البركات) يدفعهم (يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ)، فماذا تعني كلمة التلاوة؟

ماذا يعلم الرسول اصحابه؟

التلاوة تعني المتابعة، لا يوجد الحاد في القرآن ولهذا فان الله الرحمن موجود في داخل الانسان اصلاً، حتى ان كلمة الكفر قد وردت في القرآن بالكافر، فالكفر في القرآن وردت بمعنى ان الشخص يعرف بان الله موجود فيأتي ويستتره، كما لو كان عندي شيء وموجود فاقوم بستره، فكلكم يعلم بان هذا الشيء في يدي واما انا فاقوم باخفائه وهذا هو الستر وهو الكفر، فالكفر

بالمصطلح القرآني الحقيقي هو تغطية الشيء الموجود واخفائه وهذا هو مفهوم الكفر في القرآن، إذن اصلاً معنى كلمة الكفر هو اثبات وجود الله الرحمن في داخل الانسان، فاصلاً الله الرحمن موجود في داخله حتى إذا أعلن كفره، فوجود الله مقر عنده فيأتي ويغطيه وهذا هو كلمة الكفر في القرآن، إذن فان الله الرحمن بالفطرة موجود في داخل كل انسان، ومرة أخرى سيعرف بفطرته السيء من الحسن بواسطة كل هذا الزمن الذي يحياه على الارض، فخلق الله هذا فيه، إذن يأتي الرسول فقط ليزيح الغبش والضبابية والأتربة الموجودة من علي الفطرة وحيث انه قام باداء القراءة اصلاً، وبأي مفهوم؟ بمفهوم التلاوة (يَتْلُوَاعَلَيْهِمْ) ماذا(آيَاتِهِ)، ولهذا فإن كل السور القرآن المكية والمدنية يبدأ بالحديث ومخاطبة المقابل بمفاهيم الخلق ويبدأ بالربوبية في كل القرآن المكي والمدني منه، ولنشوء هذه الحالة فعلا في داخل الانسان يذكره بأنظر الى القمر وأنظر الى الشمس والى نفسك والى طعامك والى الماء، وأنظر مم خلقت؟ وكيف تموت؟ وماذا يحل بك؟ وأنظر الى الجبال؟ وأنظر الى السماء؟ وأنظر الى الابل؟ وكل هذا لكي يقرأ هذا الشخص فعلاً، فعندما قرأ يأتي الرسول ويذكره، فعلى ماذا يدلهم؟ يقول انظروا ويتلوا عليهم، فبعدما قرأ هذا الشخص يذكرهم، تابع هذه القراءة واعد هذه القراءة في داخلك وانشأها مرة أخرى، بماذا؟ بأنظر(فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ)(الطارق^٥)، (أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ)(الواقعة^{٦٨})، (أَفَلَا يَنْظُرُونَ.. إِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ)، (وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ)(الغاشية^{١٩}) (أَفَلَا يَنْظُرُونَ)، فكل القرآن يجلب النظر الى هذه الآيات، فالحالة أصلاً موجودة في داخل الانسان فطرة، فبعدما قرأ يأتي الرسول ويكرر له هذه الحالة فيكرر ويكرر فيتحول الفؤاد الى حالة أخرى، قام بأداء القراءة والفطرة موجودة فيأتي الرسول مرة أخرى ويتلوا عليهم، وعند متابعة هذه التلاوة فان الفؤاد يتحول الى حالة أخرى(يَتْلُوَاعَلَيْهِمْ آيَاتِهِ) ومن ثم (وَيُزَكِّيهِمْ) فكلمة (يُزَكِّيهِمْ) ماذا يعني؟ يعني ينمي ويزيد، المنطقة الجغرافية أرضية الايمان في داخل الانسان كما قلنا هي صدر الانسان فإذا تواجدت الفطرة وتحولت الى فؤاد، ولايتوقف عند هذا الحد وعند تلاوته لآيات الله الرحمن وعليه ان يزداد وينمو رويداً رويداً، وعندما (يَتْلُوَاعَلَيْهِمْ آيَاتِهِ) ماذا سينشأ بالنتيجة؟ (وَيُزَكِّيهِمْ) يزكي يعني ينمي - يزداد، وردت كلمة التزكية والزكاة في القرآن بمفهوم ممدود او النماء، زكى الزرع أي نمى وازداد، وأزكاه

الله أي نماء وزاده، فهذا ينشأ زيادة في الايمان (يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ) ومن بعد (يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ) فعندها ينشأ الحالة الثالثة (وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ)، والتعليم غير موجود أصلاً ولذلك ذكرنا في الدرس السابق الفرق بين التعليم والتلاوة، فعندما يقرأ هذا الشخص ويتلوا له الرسول فسينشأ الايمان، وعند وصول الايمان الى مستوى معين سيعلم، إذن ليس هناك تعليم في البداية وما نفعله هو ليس بتعليم وانما هو تدريس، وذكرنا في الدرس السابق ان ما تدرسونه عن طريق قراءة العين للاحرف الموجودة على الورق هو تدريس، فالقراءة هي الحالة العامة لجمع المخلوقات والتدريس جزء منه، فعندما قام بالقراءة وتحولت الفطرة الى الفؤاد وتلا عليه الرسول فان الايمان يزداد (وَيُزَكِّيهِمْ) فينشأ أرضية في داخل الانسان للتعليم (وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ)، فهل فتح الرسول (عليه السلام و البركات) معهداً لجمع الذين آمنوا معه ليعلمهم الالف والباء والتاء والثاء، وليعلمهم ١+١=٢، وليعلمهم الجمع والقسمة، و ليعلمهم الفيزياء والكيمياء، لعلمكم جميعاً بان الرسول (عليه السلام و البركات) لم ينشأ معهد تربية وتعليم فالحالة بديهية، هذا التعليم الموجود حالياً عندنا ليعلمهم القراءة والكتابة، كلا، فماذا علمهم؟ (وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ)، فهذا القرآن في هذه الحالة هو كتاب، حسنا فهل هذا هو الكتاب؟ كلا، فهذا الكتاب كتاب اللوح المحفوظ وكل ما ورد في الكتب السابقة موجود فيه، في صحف ابراهيم وموسى (إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى * صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى) (الاعلى ١٨-١٩) فكل الكتب القديمة موجودة فيه ويتدرج من نوح الى عيسى، إذن فالرسول (عليه السلام و البركات) لم يعلم الصحابة الالف والباء والتاء والثاء وانما كل ماهية الكون، وكل اسباب الوجود، وكل ما وجد من خير البشرية، و يسخر الكون بواسطة كل ما وجد من هذه الاسباب، فعلم رسول الله الصحابة الذين آمنوا معه الكتاب، حسنا فما هي الحكمة؟

فهل الحكمة تعني السنة؟

الحكمة ما أظهره الرسول (عليه السلام و البركات) بواقع الحال عن طريق الفم وعن طريق القلب وعن طريق الفعل. ويعرف السنة كالاتي:

- اما اقرار الرسول داخلياً.

- او كلام الرسول لفظاً.

- او عمل الرسول (عليه السلام و البركات) فعلياً.

فيطلق على هذه النقاط الثلاث بسنة الرسول (عليه السلام و البركات) وعلمهم بهذه النقاط الثلاث، ماهي الحكمة؟ صيغة تحويل الكتاب الى واقع هي الحكمة، (وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ)، ولم يقل ويعلمهم الكتاب والسنة، لماذا؟ فطبعاً معنى السنة في القرآن هي السنن ويعني الطرق والطريقة (... فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا، وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا) (فاطر ٤٣)، (قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ) (آل عمران ١٣٧) كلها آيات والسنن في القرآن تعود لله الرحمن، لا تعود السنة في القرآن الى الرسول (عليه السلام و البركات)، فالحكمة تعود الى الرسول والذي يعلم به الصحابة، يعلمهم الكتاب والحكمة معاً (يُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ)، وقلنا علمه الكتاب ولم نقل علمه السنة ومن ثم صيغة تحويل هذا الكتاب الى الواقع هو الحكمة.

افضل مفهوم لكلمة الحكمة هو: انه لدينا برغي (اللولب) ولدينا الفراغ الملولب مع برغيان آخران فأحد البرغي يدخل الثقب الملولب تماماً والبرغي الآخر صغير على الثقب والثاني كبير، فالحكمة هو البرغي الذي يدخل الى مكانه بالضبط في العمل، ووضع البرغي تماماً في الثقب هو الحكمة.

فيأتي الرسول (عليه السلام و البركات) ويعلم الصحابة كيف يطبقون القرآن، فهم لا يطبقونه كيفما شاءوا، ولا بارادتهم، فيقوموا بتقطيعها حيثما ارادوا من سورة البقرة وإن شاءوا يقطعونها من سورة القلم، فيأتوا ويضعوا المناهج والبرامج كيفما شاؤوا وبحسب رغبتهم، ويأتوا ليقولوا هذا ما قيل في كل القرآن فيا ايها الناس اتبعوه هذه ليست الحكمة وهو الذي لاخزل فيه، فلقد انشأ في زمن الرسول (عليه السلام و البركات) مؤمنين كما أراد الله الرحمن وحققوا رضوان الله واصبحوا نماذج معينة تحققت بواسطتهم ارادة الله ولماذا لاينشأ مثلهم في هذا الزمان؟ لان تعليم الرسول (عليه السلام و البركات) للكتاب والحكمة لم يكن على هذه الشاكلة وهذه الطريقة، ففي كثير من الاحيان يتدخل داخل الانسان في هذا الموضوع إذن (هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ) (الجمعة) (وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ) لان الله الرحمن معروف عندنا ونقتنع به وان لم نؤمن به، ووضع الله الرحمن هندسة كلمات

القرآن وفق ارادته وهو يعلم بان التعليم يجب ان يكون في المرحلة الثالثة ولذلك وضع كلمة التعليم بعد كلمة التلاوة والتركية.

ترتيب نظم الله الرحمن للانسان

ثبت الله الرحمن القرآن ووضع كلماتها كلمة بكلمة بهندسة بارعة وبأبداع وله مقصوده الخاص بهذا الشكل، وهذا هو نظام وقانونية القرآن ويجب ان يتم متابعته بهذا النوع، فأثناء تحويل أي مفهوم ومعطى فكري عقلي الى الواقع ولم يكن وفق ارادة الله الرحمن سينشأ خللاً وإن كان ذلك كلام الله، مثلاً أمرنا الله الرحمن بالصلاة ولكن علينا ان نتوضأ قبلها وإذا صلينا بدون وضوء فهل صلاتنا مقبولة عند الله الرحمن؟ القرآن ذكر ذلك كلاً، وجود الصلاة وعدم وجود الوضوء لا يمكن ذلك، إذن يجب متابعة التسلسل في الاعمال والواجبات، ويجب تقديم اليمين في الوضوء على اليسار، اليد اليمنى على اليد اليسرى والقدم اليمنى على القدم اليسرى، وهذا يسمى بالتيامن، وإذا تم التقديم والتأخير فبالاجماع هذا الوضوء لم يتم، واضح؟ ونفس الشيء في تطبيق القرآن، (يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ) فبعد القراءة سينشأ التركية ومن ثم (وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ) المرحلة الاولى، (وَالْحِكْمَةَ) المرحلة الثانية، وعند نشوء الخلل في هذه المعطيات فان الخلل سينشأ في داخل حياة الانسان، ولهذا ترى مع كل الاسف الفرق بين صلاتنا وصلاة جمع الذين آمنوا مع رسول الله، هناك فرق بين صيامنا وصيامهم، تسبيحاتنا مع تسبيحاتهم، ما هو السبب في ذلك؟ الصلاة لم يتغير فهي نفس الصلاة حسناً فهل طراً التغيير على القرآن؟ حاشا والله، حسناً فلماذا انشأ هذا القرآن نماذج كأبي بكر ومصعب في زمن الرسول؟ ولماذا لا ينشأ فينا كعمار ومصعب وخبيب؟ او تغير القرآن والعياذ بالله فهذا كفر او نحن لسنا بالمقصودين، فنحن نجمع بان القرآن لم يتغير، فإذا لم يتغير لماذا لا يتم تطبيق معطياته على دواخلنا؟ لاننا نتحكم بارادتنا نحن جمع المسلمين، قال الله الرحمن اذا لم ننشأ الايمان وفق نشوءه في داخل الرسول (عليه السلام و البركات) وبنفس الطريقة التي تلا على أبو بكر وخديجة وجمع الرعيل الاول تلى عليهم آياته وزكاهم وعلمهم الكتاب والحكمة وكانوا من قبل ذلك في ضلال مبين فأن صلاتنا تبقى على هذه الشاكلة، وأتحدى هذا الانسان

الذي يستطيع أن يصلي صلاته فعلاً كالصحابية بدون هذه الطريقة، ويبقى صيامنا وتصوراتنا الإسلامية بهذا الشكل لأنه أصلاً ارادة انسانيتنا موجود فيه ونحن نريد ان نتحكم بالقضية علماً ان الله الرحمن لم يأذن لنا بذلك، والله الرحمن علام ويعلم حتماً بأنه لو تم تقطيع جملة من سور البقرة وسور آل عمران أو من سورة النور أو تقطيع سورة البراءة (التوبة) يتم بواسطة ذلك نشوء الذين آمنوا مع رسول الله، ثقوا لكان الله الرحمن فعل ذلك مئة بالمئة، وانما علم بأن هذه الطريقة غير صحيحة وغير صائبة (كما آمن رسول الله والذين آمنوا معه) فيجب أن يعاد تنشئة الايمان بهذا النوع لا محالة، وكما ذكرنا في الدروس الثالثة والثانية (إفعل) (يا أيها الذين آمنوا أقيموا الصلاة) فإذا لم يكن الايمان بهذا النوع فإن إقامة الصلاة لا يكون بهذا النوع الذي يطلبه الله الرحمن، ولذلك فنحن الآن مسلمين (قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا..)(الحجرات ١٤)، نعم نحن نصلي ونصوم ونقوم بتطبيق الكثير من الواجبات والتشريعات الإسلامية، نحن مسلمين وهل اصبحنا مؤمنين قرآنيين؟ هل استطيع ان اثبت بالقرآن كلا لأن الله الرحمن وضع للايمان اعراضه في القرآن، ووضع له مرحليته وزمانه، فالانسان المصاب بالبرد(الانفلونزا) له اعراضه ومرض الزكام له اعراضه، فكيف لا يعرف المؤمن اعراضه واعراضه موجودة في القرآن (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ)(الأنفال ٢) حسناً فما هذا؟ هذا ليس بتصوف وانما آيات قرآنية (وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ) لاحظ (زَادَتْهُمْ إِيمَانًا)، (يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ)، وهنا (وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا)، فماذا ينتج؟ (وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ)، إذن التوكل جزء من الايمان والتوكل والايمن لا ينشأ حتى ينشأ (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ) وإذا لم ينشأ (وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا) لا ينشأ التوكل فهذا قانون ونظام القرآن. لهذا ارجوا من الله الرحمن ان يحولني واياكم إن شاء الله الى جمع المؤمنين كجمع الذين آمنوا مع رسول الله ويجعلنا كالرعيل الاول، حيث كانوا ينتهون عن المنهيات قبل نزولها وينقطعون عنها، فكانوا لا يشربون الخمر وتحريم الخمر لم ينزل بعد، وكانوا لا يزنون قبل ان يحرم الزنا، وكانوا يتصدقون قبل فرض الزكاة عليهم، لان فطرتهم كانت مطابقة للقرآن، فعندما قرؤوا بدأت فطرتهم بالتفعيل وفق إرادة الله الرحمن، ولهذا قالوا والله باننا لم نكن نشرب الخمر حتى من قبل تحريمها لان

ذلك لا يناسب فطرتنا، وحرماننا على انفسنا الزنا قبل تحريمها لان ذلك لم يكن يناسب فطرتنا، لأنه إرادة الله الرحمن في توحيد الفطرة والقرآن فهما مجسمان متطابقان يأخذ احده من الآخر وهناك عطاء بينهما.

ندعوه بكرمه وفضله ان يرشدنا ويهدينا ويوفقنا إن شاء الله وينشيء بيننا وبينه هذا الخط اللطيف وفق إرادته ويضعنا مع (الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ) (التوبة- ٢٠).

الجزء السابع

كيفية نشوء الإيمان؟

نستمر في لقاءاتنا في دروس كيفية احياء الايمان في القلب وفي داخل الانسان، أو كيفية تنشئة الايمان في داخل الانسان، كانت هناك مجموعة من الاستفسارات والاسئلة عند بعض الاخوة الاعزاء، منها: اولاً: لأن هذا الموضوع جديد ولم يتطرق اليه أحد.

ثانياً: ليس لدينا مصادر ومواد أولية فعليكم بالمتابعة والبحث.

نأتي الى مادتنا: في الدرس الخامس تحدثنا عن طريقة هداية الله الرحمن للانسان؟ تحدثنا عن وسائل الله الرحمن بالنسبة للانسان وكانوا ثلاثة:

الاول في داخل الانسان واسمه الفطرة.

والثاني في خارج الانسان وهما: أ- الرسول ٢- الرسالة.

وقد ذكرناهم بالتفصيل، وذكرنا كيف ان الانسان أُعطي المقدرة على تحويل فطرته الداخلية الى الفؤاد بواسطة الرسالة والرسول، وتحدثنا عن الفؤاد وتحديد الله الرحمن.

ثالثاً: تحديد الله (الرحمن) وتخصيصه لذات الرسول (عليه السلام و البركات) كأسوة هو فقط، وماعداه في كل المخلوقات وحتى جمع الصحابة يفردون هذه الاسوة وهذا موجود مفصلاً في هذه الآية (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا) (الأحزاب ٢١)، وذكرناه بالتفصيل.

أسوة الرسول

وقلنا بان الرسول (عليه السلام و البركات) الأسوة الوحيد لكيفية ونوعية وزمكان أخذ الايمان ويجب متابعته كلاً، وذكرنا السبب ولكن قد طلبت مني الاعداء فسأعيده إن شاء الله مرة أخرى وبسرعة، تحدثنا عن تفسير الآية وقلنا بانها جملة اسمية وبدأت بلام التحقيق (لقد) و(قد) قد التحقيق وكلمة التحقيق مرة أخرى في القرآن وردت للحصر والتحديد وللتفريد، ويعني يتم العمل بهذا الشكل فقط، (لَقَدْ كَانَ) كان فعل ماضي ناقص، الذي درس اللغة العربية يعلم بان الجملة الاسمية فيها المبتدأ والخبر، وفي اللغة العربية إذا كان الجملة الاسمية مسبوقة مع تحقيقين فأن التحقيق يزداد مرة أخرى ويزداد الحصر فيه، كأن تقول لانسان ما عشر مرات بأنه يجب ان يؤدي هذا العمل وبهذا النوع فقط

ولا غير، وكل هذه الاعادة والتكرار تحقيقية لهذه الحالة، والجملة يبدأ ب(لَقَدْ كَانَ لَكُمْ) و(في) حرف جر، ومرة أخرى كل ذلك من التحقيقات وكله حصر(رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ) ولم يقل قدوة ولم يقل ممثل أو زعيم وقائد، قال (أُسْوَةٌ) وكلمة أُسْوَةٌ تشمل كل تلك المعاني، والوسيط الوحيد والوسيلة الوحيدة لهذا المقصد هو رسول الله (عليه السلام و البركات) فقط وهذا هو معنى كلمة أسوة.(حَسَنَةٌ) قلنا (حَسَنَةٌ) مفردة ولم يقل أحسن وذلك لكي يكون هناك حسنة اخرى كما وردت في الآية (يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ) (الزمر ١٨) فهذا يوجد احسن ويعني بأنهم يستمعون للكثير وانما يتبعون أحسنه فقط، إذا وجد الاحسن فهناك الحسن، حسن - الاحسن، جيد-الاجود، فعندما قال الاحسن او الاجود يعني هناك جيد فيعترف به، فهنا الله الرحمن يحدده ب(أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ) وما تبقى وضعه بالحسن، ورسول الله هو (أُسْوَةٌ) فقط، وكل هذا التحقيق والتأكيد والحصر لذات رسول الله (عليه السلام و البركات) فقط (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ) (الأحزاب ٢١)، ولم يقل أحسن لماذا؟ (لَمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ) ولم يقل يريد أن يؤمن بالله، فقلنا كلمة رجاء هي مقدمات للايمان ولم ينشأ الايمان بعد، فلم ينشأ الحالة الايمانية في داخل الانسان بعد، فهو بحاجة الى نموذج والى أسوة ويجب عليه ان يأخذ الايمان وفق هذه الاسوة، (لَمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ) هو يرجوا الله الرحمن ويريد أن يصل الى الله الرحمن (وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهُ كَثِيرًا) (الأحزاب ٢١). فقلنا كلمة (اللَّهُ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ) اساسان متينان ورئيسيان والذي يبني عليه الايمان، وما تبقى من الايمانيات هي فروع، وقد آمن الانبياء والرسل بالله واليوم الآخر، ومن ثم الملائكة، فالكتب والرسل وهم توابع وأصل القضية الايمان بالله واليوم الآخر، ولهذا قال: (لَمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا) (الأحزاب ٢١).

اتباع الرسول في اتيان الايمان

إذن من أراد أن يأخذ الايمان او أن يحيي الايمان في داخله وجب عليه ان يتبع طريقة الرسول (عليه السلام و البركات) فقط، ولم يقل كأبي بكر (رضوان الله عليه) ولم يقل كمصعب او عبدالرحمن ابن عوف فلم يقل مثلهما، ولهذا فإن الصحابة (رضوان الله

عليهم) عبدالله بن مسعود وعبدالله بن عمر (رضوان الله عليهم) قالوا: كنا نؤتى الايمان قبل أن نعطي القرآن، كان ينشأ لنا الايمان قبل ان نفهم القرآن، وكان يأسس لنا الايمان فنعطى الايمان، وهذه طريقة الرسول (عليه السلام و البركات) لجمع المؤمنين، وبدأ بذاته كما قال الله الرحمن (آمَنَ الرَّسُولُ) هو في الاول (آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ) (البقرة ٢٨٥) والمرحلة التي يليها (وَالْمُؤْمِنُونَ) ومن ثم الكل (كُلُّ آمَنَ بِاللَّهِ) (البقرة ٢٨٥) بالتسلسل، ويجب اصلاً نشوء الايمان في داخل الرسول (عليه السلام و البركات) بهذه الصيغة، وحيث انه هو أسوة لنفسه ومن ثم أخذ أبو بكر وخديجة والامام علي وجمع الصحابة الكرام بالاسوة بالتسلسل، وهذه هي النقطة المربوطة بذات الانسان لصيغة أخذ الايمان.

موقع الرسول من الايمان ودعاء سيدنا ابراهيم

ما المرحلة التي يليه والذي على المقابل عمله مع الرسول (عليه السلام و البركات)، وما موقع الرسول اتجاه نشوء الايمان؟ يجيبنا القرآن في ثمان اماكن، منها في سورة الجمعة الآية (٢) في الآية جواب لدعاء سيدنا ابراهيم (عليه السلام) لان كل الانبياء والرسول متفقين على أن صيغة تقديم الايمان أو أحياء الايمان في داخل الانسان يجب أن يكون بهذه الطريقة فقط، ولهذا دعا سيدنا ابراهيم ربه، يا رب ابعث لهم رسولاً، ماذا يفعل الرسول؟ يفعل نفس عمل الرسل السابقين في امته، ما هي هذه الآية؟ في سورة البقرة آية ١٢٩ يدعوا ابراهيم (رَبَّنَا) (رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) (البقرة ١٢٩) وهذا كان طلب سيدنا ابراهيم، لأن لكل الانبياء والرسول سنة موحدة لتقديم كيفية نشوء الايمان في قلب المقابل الذي يريد ان يصبح مؤمناً، وتسلسلهم واحد.

أعيد تكرار الآية (رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ) ماذا يفعل؟ (يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ) هذا عمله (يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ) هذه مرحلة (وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) نهاية الآية دائماً له ربط محكم بمفهوم الآية يقول: (إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) يعني الله الرحمن هو الأحكم وهو العزيز بالتحكم في كيفية تنزيل هذه

الآية، وكيفية نشوء الايمان في داخل الانسان، هو الأحكم وهو الأعم وهو الأبين لكيفية وصيغة نشوء الايمان في داخل الانسان، وهنا يضع الله (الرحمن) قاعدة نشوء الايمان لسيدنا ابراهيم، ويدعوا سيدنا ابراهيم الله (الرحمن) بان يبعث رسول الى البشرية ويقدم الايمان بهذه القاعدة.

عمل الرسول

وتقبل الله الرحمن دعاءه وعدل الرحمن دعاءه في سورة الجمعة كجواب له وقال: (هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) (الجمعة ٢) من بعث؟ الله الرحمن (هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ) وما عمله؟ كباقي الانبياء (يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ) (يَتْلُوا) ومن ثم (وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) (الجمعة ٢) ما عمل هذا النبي والرسول؟ (يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ) في المرحلة الاولى، قلنا بان القرآن قد رتبت كلماته بهندسة نوعية، الله الرحمن وضع له هندسته وهذا قانونية القرآن، حيث يقول (يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ) وهذا الرقم الاول في بند القانون، الرقم الثاني يصبح: (وَيُزَكِّيهِمْ) في القانون، والرقم الثالث والبند الثالث في القانون (وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ) لماذا؟ (وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) كانوا في ضلال مكشوف، فكلمة مبين تعني ظاهر، مبين، مكشوف قلنا جاء الرسول (عليه السلام و البركات) وتلا آيات الله الرحمن على الجمع المبارك اللطيف في البداية قبل ان يؤمنوا كخديجة وابو بكر ومصعب وعمار، تلا رسول الله عليهم الآيات ومن ثم زكاهم وبعد ذلك علمهم الكتاب والحكمة، والتلاوة لم تكن للآيات القرانية المقروءة فقط، لم تكن تلاوة الآيات للقرآن فقط، ولقد ذكرت في الدرس السابق بأن الله الرحمن نوعان من الآيات، وعلماء السلف والخلف متفقين على ان الآيات نوعان، آيات مخلوقة والمسماة بالآيات الكونية كقوله: (وَمِن آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ) (الشورى ٢٩) وهذا النوع من الآيات كثيرة في القرآن، الشمس والقمر والنجوم والحيوانات والبشر والانسان والكون كلها آيات، فيطلق على الكل آيات الله

الكونية أو آيات الله الخلقية، وهذا نوع من آيات الله الرحمن وهناك نوع آخر من آيات الله الرحمن يطلق عليه آيات الله الشرعية، وهو القرآن.

تطابق القرآن مع آيات الله الكونية

ذكرنا في الدرس الاول والثاني لزوم تطابقهم، فلا يمكن ان يختلف القرآن مع المخلوقات الكونية أبداً، وعند وجود التضاد العلمي الكوني مع القرآن فاعلموا بأن هناك خلل في تلك الحقائق العلمية، إذن كما قلنا هناك نوعان من الآيات، اولاً: القمر والنجم والليل والنهار كلهم من آيات الله الرحمن ويتلون، ثانياً: القرآن من آيات الله الرحمن، انزل الله الرحمن القرآن متطابقاً مع كل المخلوقات، ولهذا ذكرت المخلوقات في القرآن، على سبيل المثال في هذه الآيات: (وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ * وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَا مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ) (يس ٣٨-٣٩) هذه الآيات وما نوعها؟ آيات الخلق والمخلوقية يذكرها القرآن، فيجب تطابق هذه الآيات هنا مع آيات: (وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا) (يس ٣٨)، ولذلك يكشف علوم الفيزياء والفلك بعد ذلك الشمس (تَجْرِي) فعلاً وهي غير ثابتة في مكانها، وضع الله الرحمن له ساعة الصفر، زمن الانطلاقي الصفري كالصاروخ ينطلق في هذا الكون (لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا) حتى يصل الى مرحلة النتيجة النهائية له، فالآيتان يتليان، الآيات الكونية والآيات القرآنية، فماذا يفعل الرسل (عليهم السلام و البركات)؟ يتلون آيات الله على البشرية، كلاهما، (يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ) (الجمعة ٢) ولهذا فإن كل السور المكية وبنسبة ٩٠% من السور المدنية تبدأ بالآيات الخلقية عند ذكر علاقة الانسان مع ذات الله الرحمن، ومن ثم يدخل الى القرآن بالاوامر والمنهيات، فالقرآن يتحدث في البداية عن الآيات الخلقية، وبعد ربط داخل الانسان بالمخلوقات وتثبيتها يحدثه عن الآيات الكونية والقرآنية، إفعل – لاتفعل، وذكرنا كل ذلك في الدرس الاول والثاني بالتفصيل.

تلاوة الرسول

يأتي الرسول وإن كان رسولنا (محمد) (عليه السلام و البركات) (يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ)،
 ففي سورة المائدة يذكر الرحمن: (وَأَنْتُمْ عَلَيْهِمْ نَبَأُ ابْنِي آدَمَ بِالْحَقِّ) (المائدة ٢٧) أو في
 سورة يونس (وَأَنْتُمْ عَلَيْهِمْ نَبَأُ نُوحٍ) (يونس ٧١) أو في سورة ابراهيم (وَأَنْتُمْ عَلَيْهِمْ نَبَأُ
 إِبْرَاهِيمَ) (الشعراء ٦٩) أو في سورة الأعراف (وَأَنْتُمْ عَلَيْهِمْ نَبَأُ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ
 مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ) (الأعراف ١٧٥)، وكلها آيات فيأتي الرسول (عليه
 السلام و البركات) ويتلوا هذه الآيات على جمع الذين آمنوا معه، ويتلوا عليهم الآيات
 الكونية (فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ) (الطارق ٥) (أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبْلِ كَيْفَ خُلِقَتْ*
 وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ* وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ* وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ
 سُطِحَتْ) (الغاشية ١٧-٢٠) يذكر لهم هذه الآيات ولماذا؟ لتتكون حالة القراءة في داخل
 الانسان كما ذكرنا، أية حالة؟ القراءة.

ويأتي رسولنا (محمد) (عليه السلام و البركات) ويتلوا علينا آيات الله الرحمن،
 فيتوقف الانسان مباشرة عند سماعه للتلاوة وذكر الارض والقمر والسماء، فيبدأ
 بتفعيل عينيه، فحتى الآن كان يرى الشمس بشكل طبيعي ولكنه الآن ينظر اليها
 بعين أخرى، وكما ذكرنا سابقاً كلية الهندسة وانواع المهندسين كالمهندس المدني
 والمعماري والديكور والجمالية، فبعد تخرجهم ينظرون الى الموضوع بتلك
 العين، فيتوقف الانسان بعد تلاوة الرسول للانسان، فيبدأ الانسان بقراءة الآيات
 الكونية بعينه وأذنه كما في السورة (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ) (العلق ١)، وعندما
 يتلوا الرسول الآيات الكونية على الانسان يؤثر ذلك على عيناه وأذناه، وعند
 تفعيلها بهذا الشكل يتحول أذنيه وعينه الى السمع والبصر، والقراءة هو
 التدقيق في الشيء وارساله الى الدماغ وتحليله والممارسة عليه، الفطرة موجودة
 اصلاً في داخله، وبعد ممارسة القراءة يتحول الفطرة الى الفؤاد.

القراءة ومفهوم الرب

ذكرنا نشوء حالة من الشوق والحاجة والاشتياق ونشوء نوع من
 الاحاسيس المعينة في داخل الانسان، وينشأ عنده بعد قراءة كل هذه المخلوقات
 تلك الاحاسيس ليصل الى مالكمهم، فيتعجب من كيفية عمل الشمس! من دون

وجود مشرف عليه، وكذلك القمر والنجوم، فينظر الى الليل وان لم يكن الليل مقمرا ولكن النجوم موجودة، حسنا فما هو عملهم؟ فهو يقرأ السماء (وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ) (الغاشية ١٨) ويأتي ليقراً الارض والجبال أبرز ما على الارض، ويلقي اضواء عينيه على الجبال فيصورهم، (وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ*) (الغاشية ١٩) انظر الى الجبال الشاهقة والى جبال سفين وجبال هيبية سلطان وللجبال طبقات بارزة جداً وضعت فوق بعض طبقة طبقة، طبقة من المرمر وطبقة من التراب ومن ثم طبقة من الحجارة الصغيرة ويأتي حجر المرمر مرة اخرى وبطبقة اضخم، هو فقط يعلم كيف خلقه، ويأتي الانسان ويقراً ذلك، قلنا بانه سينشأ في داخله حالة من الاحتياج والاشتياق لخالقهم، وهذا هو مفهوم كلمة (الرب) والذي ينبثق من داخل الانسان كالنبع فيريد ان يصرف هذا الاحتياج والشوق الى جهة معينة، وإذا لم يكن عنده ذات الله الرحمن فسيصرفها الى الغير.

مفهوم الشرك

ولهذا فإن الشرك قد يكون في تاريخ البشر متسلسلاً، والقرآن القى الضوء على هذا الشرك، ولا يقصد بالشرك ذلك الشخص المشرك الذي يشرك بالله وهو لا يعرف الله الرحمن لا فهو يعرف الله الرحمن، وانما لم يستطع ان يوصل حالته الداخلية وصرفه الى الله الرحمن، لماذا؟ لانه لا يعرف الله الرحمن بالرسالة التي ارسلها ولا يتلوا مع الرسول ليصل الى ذات الله الرحمن، هو يصل الى الله الرحمن ولكن بغير طريقة الله، ولهذا فإن كل من اللات والعزى وهبل في قناعة الشخص المشرك وسائل توصله الى الله الرحمن، وهم لا يمثلون ذات الله وهم يعرفون الله، فهنا يبدأ الله الرحمن بأضاءة العلامة الحمراء لهذا الانسان الذي بدأ بالشرك، ولهذا فإن الله الرحمن يلقي الضوء في القرآن على عبادة القبور وعبادة الجن وعبادة الملائكة، إذ هم لا يصرفون احساسهم الداخلية لذات الله الرحمن، وما أسم هذا الاحساس في القرآن؟ كلمة اله (أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ) (الجنانية ٢٣) التاله بغير منهجية الله الرحمن، وما هي منهجية الله؟ الرسل يأتيون لتلاوة الآيات، فبعد تلاوة الآيات يأتي فيقرأ الآيات، وبعد القراءة يتحول الفطرة الى

الفؤاد ليتكون عنده حالة مرتبطة بالله الرحمن، بشرط أن يكون بالطريقة التي وضعه الله فقط، إذن الرسل يتلون والانسان يأخذ الآيات ويقرأها بواسطة السمع والبصر.

التلاوة

شرحنا التلاوة في الدرس السابق ولكن قد طلبَ مني اعادته، لايقف الرسول عند آية واحدة اثناء التلاوة، فيحضر له جملة من الآيات الكونية (فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ) (عبس ٢٤) وهذه آية (أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ * أَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ) (الواقعة ٦٨-٦٩)، (فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ * خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ * يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ) (الطارق ٥-٧)، فليُنظر... فليُنظر.. افلا ينظرون...، كلها آيات، يأتي بأية يوقف الانسان، وفي اثناء توقف الانسان عند آية يأتيه بأية أخرى وأخرى، ولهذا فإن كل القرآن وبكل آياته يستطيع ان يشبع كل الانواع وكل التشكيلات البشرية، فمثلا هناك من ينبهر بالآيات الكونية الفيزيائية، هو معجب بالآيات الكونية الفيزيائية، ينظر الى المرصد والى السماء، ينظر الى النجوم والى القمر والى الشمس، فيتوصل الى شيء فعلي فيؤمن مباشرة، وهذا انسان آخر وليس من نوع آخر فهو معجب بذات البشر فيقوم بدراسة البشر، يأتي الرسول ويتلوا عليه آيات السماء كنوع اول، من النجوم والشمس والقمر، بالذي يشبعه و يؤمن عن طريقه، ونوع آخر من تعود داخله بان يتلى عليه الآيات الخلقية البشرية، فيأتي الرسول ويتلوا عليه الآيات الخلقية البشرية (فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ) (الطارق ٥). ويأتي آخر قد ينشأ له الايمان بالوسائل الموجودة على الارض، فيأتي الرسول ويتلوا عليه الآيات الموجودة على الارض، كأن يحدثه عن الارض وتعلقها في السماء كالمهد، وهذا من النوع الآخر والذي آمنوا عن طريقه، فكل هذا التنوع موجود في القرآن ولهذا فالقرآن حجة الله الرحمن الكاملة على البشرية، لكل البشر وبكل الانواع، فليس هناك فئات ولاذوات في هذا الوجود وفي كل زمان ومكان لم يتمكن فيه القرآن من ان ينشأ لهم الايمان. ولهذا فلا حجة لبشر ولا انسان على الله الرحمن يوم

القيامة، لا يمكن ان يكون لاحد حجة على الله الرحمن وأن لم تصله الآيات او لم يقرأ له بشرط ان يتلى عليه الآيات، معنى كلمة (تلى) أي تبع -اخبره بالتسلسل- تتالت الامور-تلى بعضها على بعض، فإذا تكونت الاحداث الواحدة تلو الأخرى يقال له تلى الامر ما أقبله ويعني اتبعته، فإذا قرأت له شيء وقلت له فهذا يعني انك تابعته، وانشأت له المتابعة، تلى الرجل صلاته، أي اتبع المكتوبة بالتطوع، اتبع صلاة الفرض بالنفل والسنة، يعني تابعه، تلوت القرآن أي تتبعت آياته الواحدة تلو الأخرى، فإذا قرأ القرآن مثلاً يقرأ سورة البقرة ومن ثم السورة التي بعدها فالتى بعدها وهذه هي التلاوة، وهي ليست بالقرآءة، وانما كما قال هذا الاخ هو التسلسل، فنسبة ٩٠% من المفسرين يفسرون (الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ) (البقرة: ١٢١) يتبعون حق اتباعه ويعملون به حق عمله هكذا يفسرونها، (الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ) (البقرة: ١٢١) يعني يتبعونه حق اتباعه، بالحق الذي أمرهم به الله الرحمن، بالنوع الذي أمرهم الرحمن في اتباعه، ومن ثم يعملون به، حق عمله، وهذه آيات قرآنية والآيات الكونية يذكرها الله الرحمن في سورة الشمس (وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا) (الشمس: ١) وجاء بعده (وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاها) (الشمس: ٢) أي أن القمر تتبع الشمس، في أي شيء؟ في الحركة والدوران وفي الضوء الذي يأخذه القمر من الشمس، وهذه هي كلمة تلا، فيأتي الرسول (هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ) (الجمعة: ٢) فيستمع اليه الشخص الذي يريد ان يؤمن عند قراءة الآية عليه مباشرة، فيبدأ بالقرآءة، وكما ذكرنا سابقاً بأن القرآءة وردت بالمعاني (١١)، فالقرآءة في القرآن (اقرأ باسم رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ) (العلق: ١) له زمنه الخاص، يعلم الله الرحمن رسوله (عليه السلام و البركات) متى يقرأ وذلك في بداية سورة المزمل مجموعة من الآيات بسم الله الرحمن الرحيم (يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ * قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا * نِصْفَهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا * أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا) (المزمل: ١-٤) (يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ) وهذا له معاني كثيرة ولانقصد هذا الآن، (قُمِ اللَّيْلَ) قُمِ اللَّيْلَ، قُمِ في كل ليلة (إِلَّا قَلِيلًا) وإذا قمنا بتحليل الا قليلا بالمفهوم القرآني فإنه إذا كان الليل ثمان ساعات فيجوز للرسول بان يرتاح وينام لمدة ساعتين فقط ويقوم ما تبقى كله (يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ * قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا) (المزمل: ١-٢)، فبعد القرآءة ينشأ عنده الايمان، يصل الى مستوى (نِصْفَهُ) قسم زمنه الى نصفين، ولا يحتاج الى القرآءة بعد نشوء الايمان ووصوله الى

مستوى أعلى وإنما يقوم بأداء شيء آخر، إذن يقوم في النصف فهل لا يقوم في النصف الآخر بعدها؟ بلى يقوم وإنما يعمل شيئاً آخر، ففي السنوات الثلاث الأولى من النبوة كان الرسول (عليه السلام و البركات) يقوم الليل باستمرار الا قليلاً، فهذا كان الرسول (عليه السلام و البركات) هذا الانسان النظيف والطاهر، وكما قلنا بأن داخله قد نشأ للإيمان وللرسالة اصلاً ومن ثم أمر (فَمِ اللَّيْلِ إِلَّا قَلِيلًا) (المزمل ٢) فقام الرسول (عليه السلام و البركات) وبعدها وصل الى مستوى ايماني معين ومن ثم يكرر له ويخفف له الى (نُصِّفَهُ) لان أدى القراءة بكثرة (أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا) (المزمل ٣) فبإمكانك ان تقلل من ذلك أي أن تقضي ثلث الليل بشيء آخر وإقرأ في القسم الآخر (أَوْ زِدْ عَلَيْهِ) (المزمل ٤).

مراحل القراءة وزمنه

للقراءة أربع مراحل (فَمِ اللَّيْلِ إِلَّا قَلِيلًا) المرحلة الأولى (نُصِّفَهُ) المرحلة الثانية (أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا) وهذه الثالثة (أَوْ زِدْ عَلَيْهِ) الرابعة، حتى ان علماء التفسير يقولون بان الله الرحمن قد وزع ذلك على فصول السنة الاربع، الصيف، والخريف، الشتاء والربيع، فليالي الصيف قصيرة ولذلك يحتمل بأن الرسول (عليه السلام و البركات) مع الذين آمنوا معه كانوا بحاجة لقيام كل الليل في فترة البداية، حسناً فلننظر الى قلب الرسول (عليه السلام و البركات) وكيف قد نشأ، في بداية الدرس الثالث قلنا بأنه قد اجريت عملية جراحية لصدر الرسول (عليه السلام و البركات) وقلبه وذلك موجود في البخاري ومسلم والصحاح الاربعه الأخرى.

جبريل والرسول (عليه السلام و البركات)

ذكرنا احتضان جبريل (عليه السلام) للرسول ثلاث مرات عندما انزل عليه الوحي، وبالتأكيد ذكرنا انتقال جملة من المعاني والاشياء حتى المادية منها من بدن وصدر جبريل الى داخل الرسول، وأثبتنا بأن جبريل لا يعمل شيء بمحض ارادته ابدأً، وورد في رواية البخاري احتضان الرسول (عليه السلام و البركات) ثلاث

مرات وقوله: (فغطني) وكذلك في رواية الطبري ومسلم قوله: (فغطني حتى بلغ مني الجهد) (رواه مسلم) وذكرنا بأن كل ذلك من حقائق الرسول (عليه السلام و البركات)، ولو لم يتركه جبريل لمات الرسول (عليه السلام و البركات) بين يديه فعلاً، وجبريل يملك جهازاً كالأوميمتر يعرف به أنه لو لم يترك الرسول عند زيادة الطاقة المنقولة الى الرسول (عليه السلام و البركات) عن طاقته لمات الرسول، وبهذا هو كان يبني داخل رسول الله. ولهذا نزلت عليه آية (أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ) (الشرح ١) وهذا حديث عن الصدر، فأخذ جبريل رسول الله فغطه، والحركة التي يتحرك بها جبريل هو من الوحي، وبه تم نقل اشياء من بدن جبريل الى بدن رسول الله (عليه السلام و البركات)، لماذا؟ ذكرنا سابقاً بأن جبريل مخلوق من نور وهذا النور والضوء متكون من فوتونات لمتابعي الفيزياء وهذا موضوع فيزيائي لا ادري بماذا يُعرف الفوتون الآن، هناك اختلاف في حركة الفوتون وحركة المواد الأخرى، فالمادة مقيدة والفوتون منطلق لحد كبير، وجبريل نور وبنيته من نور يختلف عن بنية الرسول المتكون من مادة اللحم والعظم، فلزم ان يكون جهاز استقبال الوحي في داخل الرسول بعد أداء القراءة والتلاوة والتركية في مستوى جبريل ولا يأتي جبريل الى مستوى الرسول (عليه السلام و البركات) وانما يكون الرسول في مستوى جبريل، يرفع الرسول الى مستوى جبريل، ولهذا فإن كل هذه العمليات النوعية التي جرت للرسول واوصلته فعلاً الى مستوى جبريل كانت للرسالة، كل هذه التغييرات الداخلية القلبية للرسول (عليه السلام و البركات)، فيجب على كل من يريد ان يحصل على الايمان ان يجرى التغييرات على قلبه كما اجريت التغييرات على قلب الرسول وبنفس النوع، (أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ) (الشرح ١) وباجماع علماء الاصول: القرآن ليس بخصوص اللفظ وانما بعموم المعنى، لم يأتي جملة آيات القرآن مخصصاً للرسول فقط ولا علاقة له بجمع المؤمنين، فلقد خاطب القرآن الرسول في الخصوصيات ب (يا أيها النبي)، خاطبه ب (يا أيها النبي)، وفي موضوع الرسالة يخاطبه ب (يا أيها الرسول)، وهذه الخطابات في مفهوم القراءة ومفهوم صيغة نشوء الايمان جاءت للرسالة، وفي السنوات الثلاث الاولى قرأ الرسول (عليه السلام و البركات) مع الذين آمنوا معه بهذا النوع، ماذا كانت نهاية سورة المزمّل؟ (إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ) (المزمّل ٢٠)، (وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ) (المزمّل ٢٠) إذن لم يكن القيام مقتصرًا

على رسول الله (عليه السلام و البركات) فكان الجمع يقومون معه ايضاً (إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثِي اللَّيْلِ) (المزمل ٢٠)، فلقد أمر ب (قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا) وفي المرحلة الثانية (نِصْفَهُ) وفي الثالثة (أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا) ومن ثم (أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا) ومن ثم (إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ)، هو يقدر (اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ) (عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ) إذن لم يكن القراءة والقيام مقتصرًا على الرسول (عليه السلام و البركات) فقط.

القراءة

إذن الليل هو وقت القراءة وفي النهار يصور الشخص الذي يرجوا الله واليوم الآخر وهو لم يحصل على الايمان بعد آيات الله (الرحمن) الخلقية، وفي الليل يجلس ويقرأ ويعيد كل الافلام التي في دماغه، فيقرأ النجوم والشمس والقمر، يقرأ... يقرأ... يقرأ، فيتحول داخله الى فؤاد، بأي شيء؟ أصل القراءة بالعين والأذن فيتحولان الى السمع والبصر، والقراءة يحول كل من السمع والبصر الفطرة الى الفؤاد، ويتحول الفطرة الى الفؤاد، بأي شيء؟ عند تلاوة الرسول في الخارج لآيات الله (الرحمن) (تلا عليهم آياته) يتحول الفطرة الى الفؤاد، فينشأ وينمو الايمان رويداً رويداً ليرتقي.

التزكية والزكاة

قلنا يزكيهم يعني يزيد من ايمانهم، يزداد ايمانهم، وكلمة الزكاة في القرآن وردت بمعنى النماء (خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا) (التوبة ١٠٣) ويعني أن الصدقة والزكاة تزيد من مال الشخص ولايعتبرها انقاصاً لامواله وانما يزداد بذلك، (خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ) الاخذ من اموالهم (صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ) إذن خذ هذه يزيد من اموالهم مادة ولاينقصها، لأن الله (الرحمن) يبارك في هذا المال ومن ثم (وَصَلِّ عَلَيْهِمْ) (التوبة ١٠٣)، إن كلمة الزكاة تعني النمو والزيادة، ففي

قواعد اللغة العربية زكى الزرع يعني نماءه، وأزكاه الله أي نماه وزكاة المال تركيته وتطهيره. إذن ماذا سيفعل الرسول؟

- في المرحلة الاولى والبند الاول: (يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ) (الجمعة ٢) عندما يقرأ الشخص عن طريق السمع والبصر ويتلا عليه يتحول فطرته الى فؤاد ويزداد ايمانه مباشرة.

- المرحلة الثانية: ويزكيهم، من يحد الحدود لهذا الايمان؟ ومن يعطي له الاطار؟ ومن يصيغ نوعية هذا الايمان؟ الرسول، ولهذا (وَيُزَكِّيهِمْ).

المرحلة الثالثة: (وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ) (البقرة ١٢٩).

التعليم

قلنا أن كلمة التعليم هي غير القراءة وغير المدارس، الكفر لم يستطع ان يحرف القرآن ويغيره ولكنه ومع الأسف استطاع من التغيير والتحويل في مفاهيم القرآن وبسهولة، ولهذا فان كلمة القراءة في القرآن له معنى وعندنا في قواعد اللغة العربية لبغداد ومصر وسوريا وسعودية تعني المدارس بأن يضع الشخص عينيه في الكتاب وهذه مدارس علماء بانها وردت في القرآن بالمدارس، فالكفر كان ذكياً جداً، ولكل ذلك تكفل الله (الرحمن) حفظ كتابه (لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ* إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ) (القيامة ١٦-١٧) بالترتيب، ويحفظ الله (الرحمن) قراءة القرآن أيضاً.

هل لاحظتم (الم) هكذا تكتب ولا تقرأ وانما تقرأ ب (الف، لام، ميم)، (إنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ) (القيامة ١٧). ويعني قراءته، فهو قد كتب (الم) وعند قراءته في القرآن نقرأه ب (الف، لام، ميم) وقد كتب كهيحص ويلفظ ويقرأ في القرآن ب (كاف، ها، ياء، ..). ويجب قراءته على النحو الذي وضعه الله (الرحمن) (إنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ* فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ* ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ) (القيامة ١٧-١٩) أبينه.

في سورة الرحمن (الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ) (الرحمن ١-٢) خط تحت كلمة (عَلَّمَ) (خَلَقَ الْإِنْسَانَ) (الرحمن 3) مربوط بالخلق (عَلَّمَهُ الْبَيَانَ) (الرحمن ٤) إذن فالكلمات الثلاث (خَلَقَ) و(عَلَّمَ) و(الْبَيَانَ) مرتبطة ببعض، ربطهم الله (الرحمن) بآية (الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ) (الرحمن ١-٢) ويقول الرحمن في سورة العلق (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ) (العلق ١-٣)، وردت كلمة (الْأَكْرَمُ) فقط هنا في كل القرآن وورد اسم (كريم) سبع او ثمان مرات في كل القرآن، وورد هنا فقط ب (الْأَكْرَمُ) فلماذا؟ لأنه استطاع أن يخلق العلم في داخل الإنسان، خلق العلم في داخل الإنسان بالفطرة، إذن العلم مخلوق في داخل الإنسان اصلاً، (الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ) (الرحمن ١-٤)، (عَلَّمَهُ الْبَيَانَ) من يعلم؟ الله (الرحمن) (اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ) (العلق ٣-٥)، كلمة (عَلَّمَ) في القرآن لا تعني التدريس كما هو متداول عندنا، التاء والتاء و واحد + واحد= اثنان هذا ليس بتعليم وانما تدريس وكثير من الأحيان يخرج من باب التدريس ايضاً الى باب التلقين، وكلمة التلقين هو بان يجلس الاستاذ ليتحدث ويستمع اليه الباقيين، وهذا تلقين وليس بتعليم، وأما إذا جاء الأستاذ وتحدث عن الموضوع وشرحه ومن ثم قام بتطبيق ذلك مع جمع العامة وبنفس الأسلوب، مفهوم التعليم هو بأن يقوم بتطبيقه بنفس الأسلوب وهو يملك ذلك البرنامج فتطابق برنامجه مع العامة.

البرنامج موجود في داخل الإنسان والمتمثل بالفطرة، وفطرة الإنسان مُعَلَّمَةٌ، فيأتي الرسول (يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ) (آل عمران ١٤٦) قام بأداء القراءة وتحولت فطرته الى الفؤاد فنشأ الإيمان وهذا ما تحدثنا عنه ذلك اليوم فهو في داخل الإنسان كجهاز الكمبيوتر (الحاسوب) وجهاز الحاسبة، فيبدأ بالنشوء والنمو وينشأ في داخل هذا الإنسان القابليات والفراغات والاستعدادات لاستيعاب اشياء أخرى، وفي الأصل هذا الشيء موجود في داخله، فإذا تم تلقينه بالأذن فسيتمكن من ممارسته مباشرة، ولهذا فإن كلمة التعليم هي غير كلمة التلقين، فكلمة التلقين جاءت للشعر، لقنه الشعر، وأما كلمة التعليم جاءت للعلوم النظرية وللعلوم الفعلية ايضاً.

التجارة على سبيل المثال فلو أردت أن تعلم أحداً التجارة فأنت لا تستطيع ان تعلمه التجارة باللسان فقط، افعل كذا وافعل كذا وكذا فهو لن يتعلم حتى تأخذه بنفسك الى عالم التجارة العملية وتصبح له اسوة وتريه الحلال والحرام، والربح والخسارة، ولهذا فإن المتخرج من اعدادية التجارة يملك الشهادة النظرية للتجارة ولايستطيع ان يتاجر في الاسواق، فهو لن يتمكن من تحويل علم التجارة التي تعلمها في اعدادية التجارة الى عمل في الاسواق، فإذا أردت أن تعلم احد الخياطة فهذا تعليم ولا يطلق عليه تلقين، لماذا؟ فيجب ان تجلس امامه وتعلمه الخياطة فعلياً وهذا تعليم وليس بتلقين، فالذي نعمله نحن الآن هو تلقين، فأصلاً هذا الشخص مستعد داخلياً لتعلم الخياطة، عنده الاستعداد لتعلم الخياطة.

الاصم والابكم مثلاً لا يملك الاستعداد بأن يقرأ عليه الشعر وأن يتعلمه، فمهما قرأت عليه الشعر ووضعت له المسجلات والكاسيتات فهو لايتمكن من الاستماع والتلقين ولايتمكن من تبديله لانه اصم وابكم ولم تتكون هذه الحالة في داخله اصلاً، ولم يخلق هذا الاستعداد في فطرته اصلاً، ولهذا هو سوف لن يتعلم الشعر، وانما سيتمكن هو من تعلم الخياطة لأن تعلم الخياطة موجودة اصلاً في داخل فطرته، وأما الشعر فهو غير مخلوق اصلاً في داخله.

خلق الله (الرحمن) مادة التعليم في داخل الانسان اصلاً، يأتي الرسول ويتلوا عليه فيزداد ايماناً ويعلمه ايضاً، وكما تعلمون لم يفتح الرسول (عليه السلام و البركات) المعاهد لجمع الذين آمنوا معه ليعلمهم فيه اللغة العربية والشعر والقراءة والكتابة فكلكم تعلمون ذلك اليس كذلك؟ لم يأسس الرسول (عليه السلام و البركات) المعاهد وكليات الجبر والهندسة والكيمياء والفيزياء، حسناً فكيف علم الصحابة؟ وبماذا علمهم؟ وماذا علمهم؟ بالكتاب، قلنا في الدرس الاول والثاني بأن هذا موجود اصلاً في داخل فطرة الأنسان، فان كل ما تعلمه من إفعل ولا تفعل وإفعل كذا ولا تفعل كذا وأقم الصلاة وأتي الزكاة، وإفعل كذا اصدق اخلص، وفي لا تفعل لا تكذب ولا تخن وكل هذا موجود في داخله فعند بدأ الفطرة بالتفعيل يطبق عليه ذلك بأفعل وبلا تفعل، وبعد تلاوة الرسول (عليه السلام و البركات) عليه واداءه هو للقراءة ونشوء الايمان عنده يقوم بأعادة ذلك عليه، والاستعداد موجود في داخله اصلاً فيقوم هو باستلامه مباشرة، والرسول (عليه السلام و البركات) مستلم ذلك من قبل فيمضي مع

الرسول او توماتيكياً، ولهذا فإن جمع الذين آمنوا مع رسول الله كانوا يمضون الى مستوى الرسول في الايمان، كان الرسول (عليه السلام و البركات) يستلمه من عند الله (الرحمن) ويؤدي القراءة ويتلوا على نفسه فيزداد ايمانه ويرتقي، وهذه الحالة كانت تنتقل في الظاهر الى جمع الصحابة، وكان الصحابة يرون الرسول مجسماً يتلوا عليهم، وكانوا يذهبون ويعيدون تلك التلاوة في دماغهم بمفهوم القراءة فترقى ايمانهم، وكان ايمان الرسول في ترقى مع ايمانهم، ولهذا عند نزول آية جديدة كان الرسول (عليه السلام و البركات) يستلمها ويؤمن بها فيحولها الى داخله ومن ثم الى خارجه بالعمل، (آمنوا و عملوا الصالحات) وبهذا التسلسل كان جمع الذين آمنوا يستلمونه من عند رسول الله ويؤمنون به ويحولونها الى الخارج فيرتقي ايمانهم، ومن ثم بآية أخرى وكان نزوله يتمهل رويدا رويداً ولهذا نزل القرآن على هذه الشاكلة، ونزل بهذا الترتيب، آمنوا عملوا وهذا مستوى وبعدها ينزل آية أخرى آمنوا و عملوا وهو مستوى وهذا هو شعب الايمان (الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة) (رواه مسلم). ولهذا فإن كلمة التعليم غير كلمة التعريف وغير كلمة التلقين، فلا يحتاج الشخص ان يعرف الالف والباء والتاء والتاء والجيم والحاء فهو لا يحتاجها، فالارضية موجودة في داخله يتم التلاوة فيبدأ بالاستمرارية، وهكذا كان جمع الذين آمنوا مع رسول الله. والفروق كثيرة بين كلمة التعليم والتلقين، ومن يريد منكم ان يتأكد بشأن هذا الموضوع بشكل اكبر سأكون في خدمة استفساراته، كان الرسول (عليه السلام و البركات) (يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ) (آل عمران ١٦٤) و كانوا يستلمون ذلك ويطبقونها ولهذا هم كانوا يؤمنون بالله ثم يعملون بآيات الله (الرحمن) هم لا يعتقدون بالله ثم يعملون بآيات الله، كلا ذلك لم يكن اعتقاداً فالقرآن لا يتحدث عن الاعتقاد وانما يتحدث القرآن عن الايمان، فيجب ان ينشأ الايمان وليس العقيدة، العقيدة يعني المعرفة الذهنية ويبقى في دماغ الشخص، فليعرف بأن الله موجود وليعرف بأن الله احد فرد الصمد الخالق، واما إذا جاء ولم يؤمن بذلك ولم ينشأ الايمان في داخله فلا فائدة من ذلك، وسيأتي العمل متى ما نشأ الايمان، آمنوا و عملوا، وإذا كان الايمان صحيحاً ينشأ صلاحاً في الداخل ويتحول الى الخارج بأعمال صالحة، آمنوا و عملوا الصالحات، وهكذا كان جمع الذين آمنوا مع رسول الله (عليه السلام و البركات).

ولهذا ترى الفرق بين صلاتنا وصلاتهم، وهناك فرق بين صيامنا وصيامهم وترى الفارق بين ذكرنا وذكرهم، فكان حب الله (الرحمن) موجود في داخلهم، ومع الأسف هذا مفقود عندنا، حب الله (الرحمن) مفقود عندنا، وحب رسول الله ينشأ بالنتيجة وبالنهاية والذي أصله الإيمان، وسنتطرق الى سبب هذا الموضوع بتوفيق من الله انشاء الله في الدروس القادمة، وسنتحدث عن صيغة تعليم المراحل التي بعد التعليم في داخل الانسان ان شاء الله، وكما ذكرت من عنده استفسار واستبيان فليحضر الى المكتبة وساكون في خدمته ان شاء الله.

الجزء الثامن

كيفية تنزيل الايمان الواقعي؟

تغيرت المعاني الحقيقية لمفاهيم القرآن من دون التلاعب في الكلمات

وردتني مجموعة من الأسئلة كانت متعلقة بالدروس السابقة، و بالرغم من تطرقي في الدروس الاولى لمجموعة منها، وهي لماذا وضعت هذه الدروس اصلاً؟ وما حاجة منطقتنا وما حولها لهذه الدروس؟ وهل للدروس استفادة وحيوية فعلية؟ ونتساءل هنا، ماهي الاسباب التي عملت على اخراج برامج نشوء الايمان من اطار القرآن؟ وهل ان الكلمات التي وضعت نيابة عن كلمة الايمان صحيحة ولائقة؟

الغاية من الدروس

* **النقطة الأولى:** الدروس تخص جمع المسلمين وبلا شك، وهذه النقطة هي الأولى، أصل الموضوع مرتبط بجمع المسلمين، والى الآن نحن لا نخاطب العامة الموجودين على الشوارع فهذا الموضوع لا يشملهم، فالمفاتيح مع العامة في هذا الموضوع والتحدث اليهم يكون على شاكلة أخرى، ولا يكون بهذه الطريقة و بالتسلسل الذي اطرحه عليكم لأن جمع الموجودين هنا وبفضل الله الرحمن لهم اطلاعات في القرآن وفي الكتب الاسلامية، ولهذا سأطرح الموضوع بهذه الطريقة.

كما هو واضح فإن كلكم تعرفون القراءة و تقرؤون القرآن فلا نقبل صفحة في القرآن لننتقل الى صفحة أخرى إلا وقد ذكر الايمان فيه، ومسبقاً فالعمل هو أرضية الايمان، عمل وفعل الانسان المؤمن، وإذا لم ينشأ ايمان المؤمن على شاكلة القرآن ولم يتأصل به فإن عمله غير مقبول، ولقد ذكرنا كل ذلك بالتفصيل، ولهذا نوكد اساساً وبكثرة على الايمان.

هل يعجز القرآن القدرة على إعادة تنشئة الايمان؟

* **النقطة الثانية:** كتب الصحاح الوارد فيه احاديث الرسول (عليه السلام و البركات) يأتي بعد القرآن، عند متابعة الصحاح من الامام البخاري الى البقية ترى ذكر الايمان في تصفحك لصفحاتها الاولى، وقد سموها ب(كتاب الايمان) عوضاً عن فرع او قسم الايمان عند الامام البخاري والامام مسلم والسنن الأخرى، والظاهر بان الايمان كان الاصل عند الأئمة ايضاً (رحمة الله الرحمن عليهم اجمعين)، هذا الايمان كمادة وموضوع، ومن ثم التابعين وتابع التابعين، كان الايمان اصلاً عندهم ايضاً، وبعدها نشأت الأمور الأخرى وتبعهم، كما قال رسول الله (عليه السلام و البركات):

(خَيْرُ الْقُرُونِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ) (البخاري). والراوي يشك في إعادة الرسول (عليه السلام و البركات) ل(يَلُونَهُمْ) للمرة الثالثة أو في عدم اعادته، لا يتحدث الرسول (عليه السلام و البركات) عن الزمان في كلمة (قرني) لأن الزمان هنا لا يعود على الرسول (عليه السلام و البركات) وجمع المؤمنين فقط وانما كان هناك في زمانه كل من كسرى وجماعته فكانوا موجودين بالملايين وكذلك جماعة البيزنطيين وقيصر وجماعته كانوا موجودين بالملايين، وكان الصينيون والهنود موجودين آن ذاك بالملايين، وكان الرسول يعلم بأن الليالي والانهار تمضي على كل اولئك ايضاً وانما كان قصده في خير القرون نوعية الاناسي المنشئين من قبل الله الرحمن بواسطة الرسول (عليه السلام و البركات) في ذلك الزمان، نوع الانسان، نوع هذه الذوات المنشئة اصلاً بواسطة منهجية الرسول (عليه السلام و البركات)، فخير القرون قرني كانت للذوات ولم تكن للزمن، فنوع الزمن والزمن جزء من الموضوع، جزء قليل وضئيل، (خَيْرُ الْقُرُونِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ) افضل مجموعة كان اصله الايمان والذي بدأ بذات رسول الله (عليه السلام و البركات) وهو على رأس القائمة، والذي استطاع فعلاً من أخذ الايمان من جبريل، استطاع فعلاً من أخذ الايمان من جبريل (عليه السلام) وفق ارادة الله الرحمن وتحويله بعد ذلك الى داخله والممارسة عليه لينتج عنه العمل الصالح، ومن بعده انشأ الرسول (عليه السلام و البركات) جيلاً من جمع الذين آمنوا، ومرة أخرى بمنبع الايمان والذي أصله القرآن استطاع جيل الذين آمنوا مع رسول الله (عليه السلام و البركات) من تقديم الايمان وبأمانة الى الجيل الذي بعدهم والذين اسميناهم نحن بالتابعين.

علماً أن القرآن ذكر التابعين في سورة التوبة قال الرحمن: (وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ) (التوبة..١٠٠) ورد ذكر التابعين في القرآن والظاهر بأن نوع الايمان الذي كانوا يحملونه هو برضوان من الله الرحمن، فختمه لهم بالرضوان و بالرضوان انتهت حياتهم، وبعدهم (ثُمَّ الَّذِينَ

يُلَوْنَهُمْ) ومرة أخرى عند النقل والتكرار في الجمع فانهم مرة أخرى يُكونوا جمع المؤمنين، والذي نقل الى جمع التابعين وتابع التابعين هو هذا النوع من الايمان الذي وضعه الرسول (عليه السلام و البركات) في قلب جمع الذين آمنوا معه. ومتى ما اوجد هذا النوع من الايمان مرة أخرى وبنفس الطريقة سينشأ نفس نوعية الاشخاص ونفس الحالة على الكرة الارضية، وكلنا نتفق على أن القرآن حالة دائمة وله الاستمرارية والقرآن ليس كالدواء لينفذ صلاحيته، و يصبح عديم الامكانية لينشأ الايمان واهل الايمان والرجال وعلى كل من كان عنده هذا التصور ان يراجع نفسه، لانه لو وضعنا الاعتبار للصلاة فقط ولم نقتنع بأي شيء آخر وكانت صلاتنا صحيحة ففي الصلاة يومياً (١٤) مرة نقول: (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) (الفاطحة ه) ونقول بعده (إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ) (الفاطحة ٦) أي نوع من الصراط؟ يتحدث عن الاشخاص (صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ) (الفاطحة ٧) حسنا فمن يمكن ان يكون الذين انعمت عليهم؟ يُعرفهم الله الرحمن (وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا) (النساء ٦٩) اولئك هم من انعمت عليهم، حسنا وإذا طلبنا نحن ذلك (إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ* صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ) فإذا لم يتم تكرار الانبياء فلا يمكن ان يتم تكرار الصديقين والشهداء والصالحين، و إذا كان كذلك فيجب ان لا يتم تكرار آيات الله الرحمن وطاقت القرآن، فيكون اشبه بحديث مجموعة المستشرقين (سبنسر) و(ريون) وغيرهم إذ يقولون اعتباطاً بان القرآن استطاع في زمن معين من تنشئة اشخاص نوعية وليس له الطاقة والقابلية لاعادة وتكرار نفس هذه النماذج!.

الإيمان هو الأصل لم يقترح له بديلاً

* **النقطة الثالثة:** الصلحاء من قبلنا (رضي الله الرحمن عنهم) من الأئمة والأتقياء المؤمنين الصديقين الذين آمنوا بالله ورسوله وبيوم القيامة إيماناً حقاً وكلهم كانوا مقرين بأن الأصل هو الإيمان ويجب أن تكون بهذه الطريقة، ويجب أن يُأخذ الإيمان بطريقة إيمان جمع الذين آمنوا مع رسول الله ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم.

وهنا يطرح السؤال نفسه، لماذا لم يذكر الامام الشافعي او الامام أحمد في كتبهم عن طريقة وتسلسل هذا الإيمان؟ السؤال وجيه والجواب: لم يكن عند الامام أحمد والامام الشافعي وأبو حنيفة وحتى الاجلاء الباقون (رضوان الله الرحمن عليهم جميعاً) أي تصور بأن يزاح الحكم الإسلامي من على الوجود، وأن يُحضر الحكم الكافر الى الوجود، وان يحكم المسلمين بالكفر وبمباديء الكفر، فهم لم يتصوروا ان يحدث هذا وكذلك لم يتصوروا أن يوجد جماعة يشككون في احسن واسرع واصح طريقة وهي طريقة الرسول (عليه السلام و البركات) والذي استطاع بها من تنشئة جمع من المؤمنين.

ولذلك يرى كل من عنده اطلاع في الكتب بأن الامام الشافعي (رضوان الله عليه) يقول في كتبه بانه لو أقيم صلاة الجمعة في قرية ما وفيها تسع وثلاثين نفرأ والشخص المكمل للاربعة كان نصفه السفلي سمكاً ونصفه العلوي بشراً، فهل يقام صلاة الجمعة بهذا الشخص ام لا؟ ويعني بأن هذا الشخص المبارك فكر باحتمالية وقوع هذه الحادثة مرة في المليار، وبالرغم من ذلك هو وضع له هذا الاحتمال والقرار شرعاً، وجاء هذا على باله ولم يأتي على باله ان يحكم الكفر المؤمنين يوماً من الايام، ولهذا فهو لم يذكر ماذا يفعل المؤمنون لو حكمهم الكافرين وما علاجهم؟ وماهي حلولهم؟ وماذا يفعلون وما لا يفعلون؟ لم يذكر ذلك.

ويذكر أبو حنيفة (رحمة الله الرحمن عليه) لو أن حيواناً، حملاً ولد في الصحراء ولم يكن هناك من يرضعه من الحيوانات اللابنة الا الخنزير، وكان لهذا الخنزير صغيراً فهو لابن، فإذا أرضعت الخنزيرة هذا الحمل من حليبها فهل لحم هذا الحمل حلال ام حرام؟.

أبو حنيفة عمل لهذا حساباً ولكن لم يأتي على باله ان يكون الحكم ووضع المسلمين في يوم من الايام على هذا الحال لانه لم يكن قابل الاحتمال في فكرهم، ولهذا كان من الطبيعي جداً ان يتحدث الامام احمد او الامام البخاري او الامام مسلم (رحمة الله الرحمن عليهم) عن كتاب الايمان إذ هو اصل القضية ولا يتحدث عن تسلسل الايمان وإتيانه وطريقته وذلك لان الحالة كانت عنده بديهية ويعلم بأنه كل من اراد ان يتعلم الايمان فحتماً عليه ان يؤمن ويأخذ الايمان كما اخذه رسول الله و جمع الذين آمنوا مع رسول الله، ولا يذهب ليفتح القرآن ويبدأ من سورة البقرة مباشرة، فيكشف عنده صفات المنافقين ويذكر ذلك له وهو لا يزال لا يعرف ما هو الايمان، فهم لم يكونوا بهذه السطحية، وهم لم يكونوا بتلك البلادة والبلاهة (حاشا الموجودين)، ولذلك فحتماً كان ايمان الامام احمد والامام الشافعي وابن تيمية وغيرهم من الصالحاء اقوى وأحسن من ايماننا ولذلك استطاعوا ان يكونوا بفردي نوع زمانهم، واستطاعوا من علاج كل الاشكالات المنشئة للمسلمين من اهل القبلة بواسطة ايمانهم، فهل هم كانوا مقرين بهذه الحالة الموجودة في المجتمع؟ الجواب كلا لم يكونوا مقرين بذلك، ولذلك فإذا نظرنا الى تاريخهم لرأينا بأنهم قد اثبتوا وجودهم في الارض وفي المنطقة التي عاشوها منذ لحظة البداية، وبدأ الصراع في زمن تواجدهم بينهم وبين غير الكفرة وغير الملحدين وغير المنافقين لا وانما مع الطبقة التي تدعي بالاسلام، والتي تصلي وتصوم وتؤدي الزكاة والتي تقر بان الله الرحمن حق، فكان صراعهم مع تلكم الاشخاص.

ماهي الفتاوى التي سببت الوعيد للامام احمد؟

لم يكن السلاطين والاشخاص الذين سموا بـ(أمير المؤمنين)، في زمن العباسيين او في زمن الامويين كطواغيت زماننا يقرون بان الله الرحمن هو صاحب المنهج ولكنهم يحضرون ويضعون منهجاً غير منهج الله(الرحمن)، كان الامام احمد في صراع مع المأمون او ائمة العباسيين لا لانهم كفرة ولكنهم كانوا مجرد أُناس فاسقين، كانوا يصلون الجمعة والجماعة ويزكون ويصومون ويحجون ويتصدقون بالخيرات فقط هذا، وكان فيهم نقص ضئيل في صيغة تطبيق الايمان بالعمل الصالح، ولهذا واجههم الامام واعلن ذلك كالجهد.

الكثير يعلم محنة الامام احمد في زمنه، فكان على لحم الطير ذو المخلب والذي أحب السلطان لحمه فطلب من الامام احمد ان يحلل لحمه، واللحم فيه شبهة فعلية أحلال ام حرام؟ فيخرج الامام احمد فتواه مباشرة بالتحريم ولا يمكن اكل لحمه، فأصدر السلطان امراً بجلد الامام احمد (٤٠) جلدة اذا لم يتراجع عن فتواه، وكان الامام احمد صاحب منبر وصاحب موقف، كان رجلاً، (من المؤمنين رجال) كان منهم وليس اي واحد وانما من الرجال، فتصد لأمر السلطان مباشرة، فصدر السلطان امراً آخرأ بان يجلد علناً في المناطق العامة وبحضور الشعب في بغداد إن لم يتراجع، وأعلن ذلك فعلاً وأحضر كل الشعب وجُلد امامهم، ووضع الجلاد أمامه لحماً وقال له خلسة في اذنه، كل يا امام هذا ليس بلحم الطير الحرام الذي افتيت به وانما هذا اللحم احضرته لك خلسة، فيقول له الامام يا بني لو اكلت انا هذا اللحم لتصور الملايين من الناس بانني اكلت من لحم الحرام، هكذا كان ايمانهم، ولم يكن صراعهم مع الطواغيت بان يكون بعثيا او غير او غير او غير، لا وانما لم يكن الايمان الذي في قلوبهم من تلك النوعية ولهذا كانوا في صراع، وحاولوا ان يكون ايمان العامة في مستوى ايمان جيل

الصحابة، ولم يروق لهم امر العامة ولذلك انعزل اغلبهم، ولم يعيشوا حياة العامة، وكانت تقواهم في القمة بعد هذا الايمان.

يسرق غنم واحد في زمن الشافعي، فيسأل الشافعي راعي الغنم كم عام يعيش الغنم؟ فيجيبه بأن أقصى عمره هو سبع سنوات، فلا يأكل هذا الرجل لحم الغنم لمدة سبع سنوات، خشية أن يطعم في بلده لحم هذا الحيوان المسروق، وهكذا كان ايمانهم وبهذا الايمان ينشئ التقوى، ولم يشكوا في طريقة نشوء الايمان بهذه الطريقة، ولهذا لم يذكروه وذلك لأن ترتيب نزول القرآن كان أصلاً عند جيل التابعين ايضاً وتم وقفه ايضاً، ولم يشكوا بذلك وكانت عندهم القناعة مئة بالمئة بمفاتيح الله الرحمن للرسول (عليه السلام و البركات) بهذه الطريقة لأخذ الايمان.

آمن الرسول (عليه السلام و البركات) بترتيب النزول

في الأصل عندما يذكر القرآن ايمان الرسول (عليه السلام و البركات) يبين بأن ايمانه قبل الوحي ليس كإيمانه بعد الوحي، حسناً فكيف نشأ هذا الايمان؟ عن طريق ترتيب النزول، سورة (العلق) في البادية، نشأ الايمان في داخل قلب الرسول (عليه السلام و البركات) بسورة (العلق) وبه أنشأ الاتصال بالله (الرحمن)، إذن لم يشك الأئمة بحقيقة الرسول (عليه السلام و البركات) ولم ينزل بعد سورة النور او باقي السور المدنية عليه، ينشأ الرسول (عليه السلام و البركات) في مكة سبعون من الصحابة بالقمة الايمانية، بماذا؟ ينشأ هذا الايمان بترتيب نزول الآيات، يتم اخراج الرسول (عليه السلام و البركات) الى المدينة، ولم يكن يملك هذا القرآن الذي بين ايدينا، هو بين ايدينا ونحن لسنا في خدمته، لم يملك هذا القرآن وانما كان معه ترتيب نزول القرآن، ونقله الى المدينة وهذا ما كان يملكه، وهذا ما اجمع عليه الامة والصحابة، واجمع عليه التابعين وتابع التابعين وائمة السلف، ففي اي موقع ذكر

ابن تيمية (رحمة الله الرحمن عليه) عكس هذا؟ لا يوجد فهو لم يذكر ذلك، هذا الايمان الذي نتحدث عنه الآن هو نفس ما ملكه جمع الصحابة من ايمان، وهذا الايمان أمكنهم فعلاً من تطبيق اوامر الله الرحمن مئة بالمئة، والذي ذكرناه في الدروس السابقة ب(افعل).

ولهذا تحدثنا عن الصلاة في الدروس السابقة لدرسنا هذا بدرسين، فنحن نصلي كما كانوا هم يصلون ولكن العجب هنا لماذا كانت صلاتهم على تلك الشاكلة؟ وصلاتنا بهذا الشكل؟ ولماذا سمي الامام الشافعي مع بقية جمع الائمة (الله اكبر) التي في بداية الصلاة ب(تكبيرة الاحرام)، وماذا تعني؟ تكبيرة التحريم (الله اكبر)، تحريم ماذا؟ (الله اكبر) تعني تحرم عليه كل المخلوقات ماعدا ذات الله الرحمن، كما عند سفر الانسان الى الحج ولبسه ملابس الاحرام فيحرم عليه جملة من المحللات، منها يحرم عليه حلق رأسه، وإذا سقطت شعرة من لحيته، من شاربه، من شعره، وحتى إن كان من غير عمد عليه ان يتصدق بفدية، شعرة واحدة فيها فدية، تحرم عليه حلق الشعر، حلق اللحية، تقصير الشارب، علماً أنه أمر طبيعي وعادي، وتحرم عليه امور اخرى كثيرة فلماذا؟ لأن اللباس الذي يلبسه يقال له احرام، تحرم عليه الحلال من اجل ذات الله الرحمن وهذا تعبد.

ما هي الاختلاف في صلاتنا وصلاة الصحابة؟

الائمة الشوافع اسموا (الله اكبر) هذا بتكبيرة الاحرام، لماذا؟ لانهم أخذوه من الصحابة علما ان الرسول (عليه السلام و البركات) لم يسمه بهذا الاسم وليس هناك حديث يقول بان هذه (تكبيرة الاحرام)، جاءت من التحريم، وماذا يعني التحريم؟ يعني يجب تفريغ دماغه من كل المخلوقات لانها محرمة عليه ماعدا ذات الله الرحمن، حسنا فكيف تنشأ هذه القناعة؟ لأنه فعلاً لو لم يبدأ الايمان بالنوع الذي

فعله الرسول (عليه السلام و البركات) وبالحيوية التي نقلها الى جمع الذين آمنوا، وإذا لم ينقله التابعين بهذا الشكل ولم يقبلوه فبأي شكل كانوا يؤدون الصلاة؟

علماً بأننا عندما نقول (الله اكبر) تأتي صور ومظاهر امام اعيننا، اليس كذلك؟ فكلنا من الشباب وكلنا تعرضنا للذنوب والآثام، بربكم لنكن صادقين مع بعض، الصور القذرة التي كنا ننظر اليها واللقطات الغير لائقة والقبيحة وحتى إن كان عندنا من التقوى، وإن كنا صائمين يأتي على بالنا حدث او مشكلة يحتمل انها قد حدثت قبل عشر سنوات، فانا كنت قد تشاجرت مع صديقي في الابتدائية وكلما اقول (الله اكبر) يحضر الشيطان حينها ذلك على بالي، من منا يكون موجودا في داخل الصلاة في الدقائق الثلاث من الصلاة، قد نكون مع الله الرحمن في دقيقة من الدقائق الثلاث تلك، إذا كنا جميعا صادقين مع بعض وصريحين، حسنا فهل هكذا كان الرسول (عليه السلام و البركات)؟ وهل هكذا كان يصلي ابو بكر؟ أ تتصورون أن يكون ابو بكر بهذا النوع؟ وهل تتصورون بأن يأتي اللات وهبل والعزى او الخمر او مناطق مكة امام عيني الامام عمر عندما كان يكبر تكبيرة الاحرام ليصلي؟ لا والله من المستحيل ان يكونوا كذلك لان القرآن لم يقر بحالتهم بهذا النوع، ما عدا ذلك انهم كانوا في داخل الصلاة كخارجه، لانهم لم يكونوا كجماعة المسيحيين ليعرفوا ربهم في داخل الكنيسة ويذكروه، اما نحن فيذهب تركيزنا حتى داخل المسجد، و يذهب فكرنا حتى في داخل الصلاة، نقصد في صيغة تنشئة الايمان وهي الحالة التي كان عليه الامام عمر وسهيب وعمار وعبدالرحمن ابن عوف، هذا فقط ونحن لم نأتي بشيء جديد! لم يأتي (محمد رافع) بشيء جديد، اقتنعوا هو مجرد تكرار، تكرار حالة زمن الرسول (عليه السلام و البركات) اعادته بالكلام لا غير.

من الخطأ تغيير مفهوم الايمان الى عقيدة حتى إصطلاحاً

النقطة الأخرى: يستفسر بعض الأخوة عن جملة الكتب الموجودة الآن والتي تتحدث عن الإيمان وعن العقيدة، يسألون ما سبب عدم وجود حديث الأخ (محمد رافع) في هذه الكتب؟ الجواب: الله الرحمن حفظ الفكر الإسلامي والقرآن خاصةً بكلماته ولكن استطاع الكفر بشيطنته وعلى طول التاريخ من تنشئة حالة، وهذه الحالة ليست بازاحة ذات القرآن من الوسط الإسلامي، وإنما تمكن من ازاحة كل المفاهيم القرآنية الصحيحة بنسبة مئوية كبيرة جداً من الفكر الإسلامي، ولهذا فافتنعوا بأن كلمات هذا القرآن الذي نزل بلغة زمن الرسول لا يوجد منه ثلاثة بالمئة في اللغة العربية الحالية، فلغة القرآن ليست كقواعد اللغة العربية العامية والتي يتحدث بها في بغداد القواعدية وليست العامية أو في مصر والتي يتحدثون بها في الأزهر في الجامعات، فلغة القرآن لغة خاصة، استطاع الكفر من تغيير معاني القرآن على طول التاريخ وذلك ليغيروا فعلاً المفاهيم في القرآن.

كما تعلمون كأن يقال بأن هذا حديد من قبل مصادر حقة (بلا تشبيه) ويأتي شخص آخر فيرينا نفس الشيء وإنما يقول بأن هذا حجر، هذا حجر، هذا حجر، يكرر فيكرر ويصبح لدينا هذا الشيء حجراً فعلاً رويداً رويداً، فيأتي الجيل الذي بعدنا ويقول هذا حجر، وطبعاً مع الأسف عملوا هذا مع القرآن والمثال على ذلك الإيمان والعقيدة.

فبلا شك أحسن طريقة لتنشئة الإيمان هو طريقة الرسول (عليه السلام و البركات)، هو اصح طريقة تخلصنا من المشاكل والمعاناة الفكرية وما يسمونه بالفكر الايماني، إذن فالطريق الصحيح هو للرسول (عليه السلام و البركات)، وحتماً فإن الله الرحمن رضى بهذه الطريقة فقط لنشوء الإيمان في قلب الرسول (عليه السلام و البركات)

وهو أعلم بان الاساليب الأخرى تصيب جمع المؤمنين بالفتن والابتلاءات، وبهذه الطريقة فقط قدم الايمان لجمع الذين آمنوا معه.

كيف أنزل الله الرحمن القرآنَ الى سماء الدنيا، حيث كان بإمكانه ان يضعه بين يدي الرسول (عليه السلام و البركات) كهذا ويخبره ان يسحب منه هذه الآية، اسحب اليوم سورة العلق واقراه، وليكن القرآن بين يديه كما كان مع الرسول موسى والرسول عيسى، فنزلت الألواح كلها معاً، وكان يطبقها خطوة بخطوة، حسناً فلماذا ابقاه الله الرحمن في السماء! علماً لم يكن الرسول (عليه السلام و البركات) يعلم ماذا سينزل بعد هذه السورة، أية سورة ستنزل، وعند نزول السورة يؤمن الرسول بها ويحوّله الى عمل صالح ويقدمه للمجتمع ومن ثم يأخذه جمع الذين آمنوا ويقوموا بتطبيقه ايضاً، الله (الرحمن) كان قادراً على ذلك وكان بإمكانه ان يجعله كالتوراة والانجيل ولكنه لم يفعل ذلك، فحتماً كان الله الرحمن على علم بأنه لو لم تكن هذه الطريقة اصح طريقة لأنزله كالتوراة والانجيل.

هيكله تنشئة الايمان

ولكن مع الاسف ذكر الايمان في الكتب وكتب عنه و كذلك ذكر الايمان في كتب العقائد، وذكر مصطلحات الايمان ونشوء هذه المصطلحات في القرآن وكيف وردت؟ وبأي طريقة؟ وعدد مرات ورودها؟ وماهي دلالاتها؟ ولكن هل ذكر كيفية نشوء الايمان؟، وهل رأيت ذلك في احد الكتب؟ وهذا السؤال الاول والسؤال الثاني هل قيل بأي طريقة ينشأ؟ والثالث وبأي وسيلة ينشأ؟ وهذا هو موضوعنا الذي نتحدث عنه حتى الآن في دروسنا الست و تحدثنا فقط عن كيفية نشوء الايمان؟ وما هو الايمان؟ ومن ثم بأي طريقة يمكن ان ينشأ؟ وما هي وسائل الايمان؟ وهذا كله قد تم ذكره، ولم نذكر بأن الايمان من الاسلام، كلا وليس بين ايدينا من الكتب غير القرآن، ولكن هل مر الائمة بكل هذا؟ نعم وهذا

موجود في الكتب، وكما قلنا في الدروس السابقة من لديه اشكال في هذا الموضوع سأكون في خدمته وبالمصادر ان شاء الله، وآخرهم السيد قطب (رحمة الله عليه) وتحدث عن طريقة القراءة في تفسير ضلال القرآن في سورة يونس وفي سورة الفرقان، ومن عنده في ضلال فليراجع المجلد السادس من التفسير في سورة يونس الصفحة ١٧٨٨، يذكر فيها كيفية قراءة الرسول (عليه السلام و البركات)؟ وكيف انشأ الايمان؟ وكيف قام بتقديم هذا الايمان لجمع الذين آمنوا؟ إذا ما يذكر هنا ليستة من البدعة ولم نخرجها من جعبتنا وليست جديدة وهي مكررة وقام بها الرسول (عليه السلام و البركات)، وسنأخذ نحن هذه الطريقة وسائلها ومن ثم نلجأ الى الكتب تلك إذا رأينا فيها الاستفادة، لأن القرآن كفيل لنشوء هذا الايمان، ومن لم يقتنع بان القرآن يستطيع ان ينتج الرجال فعليه مراجعة نفسه لان في قلبه جزء من الكفر والعياذ بالله الرحمن.

سعادة القلب بالإيمان

اعيد هنا سؤالي هل فعلاً نشأنا نحن بالقرآن؟ في الجواب كلا، وهل نشأنا على هذه الشاكلة؟ كلا، وهل نشأنا بالصيغة والترتيب الذي انزله الله الرحمن للرسول؟ فإذن نعطي لانفسنا الحق في الغيبة وان لا نغض من ابصارنا ونكذب ونقوم بالبهتان و... الخ لا سامح الله الرحمن وحتى إن كنا نصلي، مع وجود جملة من الآثام، فهل يستطيع احد من التبري من ما يفعله، من الصعب ذلك وعلي كذلك، واسأل مرة اخرى فهل هكذا كان ابو بكر؟ أ هكذا كان مصعب؟ هذا إذا ذكرنا المأمورات والمنهيات فصدقوني وأقسم بالله العظيم بان السعادة الحقيقية ينشأها الايمان الحق في قلب الانسان المؤمن، والله، والله لو اعطوك الكرة الارضية بملذاتها كلها فسوف لن تتنازل عن لحظة من سعادة هذا الايمان، ولهذا قال التابعي حسن البصري (رضي الله عنه)

(والله لو علم الملوك ما في قلوبنا لجالدونا بالسيوف) لأن الملوك يبحثون عن السعادة ولكنهم لا يجدونها فهو موجود في الايمان فقط، والايمان في داخل القلب، فيقول لو علم الملوك باللذة والسعادة الموجودة في قلوبنا فوالله لكانوا قاتلونا بالسيوف ليخرجوا السعادة لانفسهم، ولكن المسكين لا يعرف بأن السعادة لا يأخذ إلا عن طريق الايمان.

هذا ما اسماه الله الرحمن بالاطمئنان وما اسماه بالانشراح، (أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ* وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ* الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ) (الشرح ١، ٣، ٢)، فما هذا الوزر الذي كان على ظهر الرسول (عليه السلام و البركات)، انها المعاناة النفسية الموجودة فينا والصراع الذي نعاني منه مع الشيطان والنفس، فهذا الذي انقض ظهر رسول الله فشرح الله الرحمن صدره، وبأي شيء؟ بالنعمة، فكان يحس بمستواه، فتوقع بفقدان العقل (حاشاه) بسبب الحالة التي هو فيها من لذة وسعادة، وهل تعرض لحالة من الجنون (حاشاه) فشك هو في نفسه، (مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ) (القلم ٢)، ولم يكن ذلك عن طريق ابو جهل وابو لهب كأن يقوموا بالدعاية عليه في الراديو والتلفاز فيأتي ذلك على مسامع الرسول (عليه السلام و البركات) ليوقعه في الشكوك! كلا فإن الرسول كان اثبت انسان واكثرهم قرارا في ذاته وشخصه، ولكنه كان يخشى من التغييرات التي طرأت على داخله، لم يكن يعرف بأن الايمان ينشئ هذه الحالة فاعتبرها حالة غير صحيحة وغير طبيعية وغير عادية بالنسبة للبشر، ولماذا؟ فعلى ماذا حصل بالنتيجة؟ (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ) (القلم ٤)، ولذلك فلا داعي في تكرار ذكر سعادة هذا الايمان، ذكر أرتياح وأطمئنان هذا الايمان في القلب، ينشأ الانسان المؤمن بالطريقة التي فعلها الرسول (عليه السلام و البركات) فقط، وليس بطرق اجتهادنا، كأن يحضر كتاباً ويجعله استاذة وبواسطة هذا الكتاب يصل الى الايمان الذي انشأه الرسول (عليه السلام و البركات) أو ان يضع لنفسه مناهج ومصادر، وان يوجد في رأسه بعض المفاهيم ويقول سأصل والله بهذه الطريقة.

الإيمان ينشئ القوة والشجاعة

ذكرنا في الدرس الثالث والرابع والخامس بأن الله الرحمن وضع الرسول فقط كأسوة، فكل الحصر والتأكيد كان لهذا فالمثل الاوحد والنموذج الاوحد كان فقط الرسول (عليه السلام و البركات) ولماذا؟ لأنهم لم يكونوا قد انشؤا الايمان ولكنهم يريدون ويرجون ان ينشؤا الايمان (لَمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ) (الأحزاب ٢١)، ليس الذين آمنوا بالله الرحمن (لَمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ)، كلمة الرجاء تعني لم يتم نقل الايمان الى الداخل، فاستطاع الرسول (عليه السلام و البركات) من ان ينشأ حالة (يرجوا الله واليوم الآخر) في قلوب الذين آمنوا معه، النوعية التي قرأتموه عن جيل الذين آمنوا معه.

والمثال على ذلك ما عر (رضي الله عنه) و غامدية (رضي الله عنها) امرأة آمنت ولكنها لم تمر بترتيب الايمان وجاء ما عر الى مسجد رسول الله فأمن بوجود جمع الذين آمنوا معه و كان القرآن شبه متكامل، فجاء الى المسجد وبدأ بالصلاة وقراءة القرآن مباشرة، واحتكك بجمع الصحابة ولكن كان في قلبه مرض لأنه لم يمر بالمراحل النوعية إياها، فتعرض للاثم، وأي نوع من الاثم؟ الزنا، ولو كان صحابياً، فكونه صحابياً لا يمنعه فعلاً من ان يقترب خطأ لأنه لم يصل بايمانه الى مستوى يمنعه كالجدار، فعندما احس بأنه قد أخطأ نزلت آيات فأمن بها، فكشف خلله وعلم بأن عليه مراجعة استاذه، فجاء الى رسول الله (عليه السلام و البركات)، فبالطبع زاد ايمانه علماً انه أخطأ وكان يعلم بأن الرسول (عليه السلام و البركات) قال: من يعمل السيئة عن جهل وليس متعمداً (لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ) (النساء ١٧) وهذا هو الموضوع (يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ) وليس متعمداً ويعرف به، كأن يعرف هذا شارع عادي والقفز فيه ممنوع لوجود الخطوط، وهو يعرف بالخطوط فلا يفعلها، فهذا لديه المعرفة وليس جاهل به، (لِلَّذِينَ

يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ) فعسى هنا احتمال وليس بتأكيد، زنا ما عزر فنزلت الآيات فأحس فعلاً بخطأه، قد اقترف كبيره وعليه ان يطهر نفسه وقد سمع من الرسول (عليه السلام و البركات) بأن الله الرحمن سيستره، ولكنه جاء أمام جمع الصحابة في المسجد وأقر على نفسه وقال يا رسول الله لقد زنيت، بربكم لو لم يكن الايمان دافعاً لجرئته هل كان ليفضح نفسه بهذا الشكل؟ فأكد الرسول (عليه السلام و البركات) عليه اربع مرات وبأربع طرق متنوعة، فأكد عليه بأربع تأكيدات، فأقر على نفسه وأثبت ذلك على نفسه بأعترافه الفعلي على الزنا، فوضع الرسول (عليه السلام و البركات) عليه الحد وتم جلده.

الايمان يحي الاحاسيس

المرأة التي زنت مع هذا الشخص كانت من عائلة معروفة، وعرفت بأنها تعرضت للغفلة عن الله الرحمن الذي آمنت به أثناء ممارسة الفاحشة، فالايمان لم يكن بذلك المستوى (فَنَسِيٍّ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً) (طه ١١٥) وهكذا كانت الحالة وأثمت. فهل كان هناك في جمع الرسول من الامن والشرطة والاستخبارات والاضوية والدعاية التلفزيونية ليكتبوا عليهم التقارير؟ كلا، ولكنها احست بان الله الرحمن موجود، كان ربها موجوداً، (إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) (الجن ٢٩)، والتقط الله الرحمن تلك الصورة وتم نقلها الى الكتاب والكتاب نوع من الاجهزة الذي يقوم بتحويل كل ذلك الى عمل ويقيه على حقيقته وحيويته وحرارته، ويعرض ذلك على شكل عمل يوم القيامة ليس امام مئة شخص وانما امام المليارات من الخلق، وإذا كان في ذلك عارا فليكن ذلك الآن، ومع انها كانت ابنة رجل معروف في المدينة جاءت الى داخل المسجد وقالت: يا رسول اني زنيت فطهرني، فاعطاها الرسول (عليه السلام و البركات) مهلة سنتين كاملتين، ثمان مرات أتت عند حضرة الرسول لهذا الموضوع، حسناً ألم تتوقع هي العار وذهاب الحياء؟ وبلا شك

اعطاها الرسول مهلة سنتين وكل مرة بنوع معين، فقال لها: اذهبي من يقول انت قد زנית لا تأتي حتى تتأكدي من حملك، فجاءت الى الرسول وأرته حملها فقال لها الرسول: اذهبي ولا تأتي حتى تضعي حملك، فذهبت ووضعت وجاءت وطفلها في حضنها، فقالت ها انا ذا، جاءت وكل هذه الفرص التي اعطاها الرسول ولكن الايمان موجود لا تستطيع الهروب، فأين المفر؟ هذا ربنا الله الرحمن الذي صورها هو نفس ذات الله الرحمن الذي سيعاقبها في الدنيا والآخرة، لذلك كان على صاحب الحق ان يضع عليها الحد والرسول هو صاحب الحق الاعلى فهو ولي الامر، فقال لها الرسول (عليه الصلاة والسلام): اذهبي وارضعي طفلك ولا تأتي حتى تطفميه، فذهبت وجاءت والطفل في حضنها يأكل خبزاً، فقالت انظر يا رسول الله ها هو يأكل خبزاً، فقال الرسول: هينوا لها مكانا ولترجم واثناء الرجم حمل احد الصحابة حجرا وقال: لعنة الله عليك اخزيت نفسك في الدنيا والآخرة، وكان الرسول واقفا ونظر اليه بغضب وقال: (والله يا فلان لقد تابت توبة لو قُسمت بين سبعين من أهل المدينة لوسعتهم) (مسلم)، هذا هو الايمان صدقوني وكل ما تبقى هن التمثيل نوديه نحن، كيف؟ ولنقتنع بأن الله الرحمن يرانا في كل وقت وفي كل مكان واما نحن فنمثل عليه وإن كنا في الحمام، فهذه النوعية انشأت بهذه الطريقة والوسيلة، ولذلك لا داعي بأن نجامل انفسنا، فلننظر الى انفسنا وننظر الى مصعب النموذج الذي انشأه الرسول (عليه السلام و البركات)، قلبنا الذي يحركه الشيطان، كم مرة نظرنا الى السفارات لقول الشيطان انظر الى اي مدى وصل الفسق والفساد؟ نحن شباب نمر من امام السينما فيقول لنا انظر هل الفلم المعروض خلاعي، ولا يعرف بأن هذا من حيل الشيطان، تمر المحجبة فيقول انظر هل هي فعلاً طبقت الاداب الاسلامية، ولا يعلم بأن كل ذلك من حيل الشيطان، ولماذا؟ لأن ايمانه بذات الله الرحمن ليس بتلك الطريقة التي تسد كل الابواب والشبابيك على الشيطان، ولذلك ترى من الطبيعي ان يتحدث زيد عن عبيد ويعلم فعليا بانه لا يغتاب.

اختلاف المسلم عن المؤمن

ذكر في رياض الصالحين جواز الغيبة في ثلاث اماكن منها: (إنكر الفاجر بما فيه ليحذره الناس)، فرياض الصالحين لا يُجوز التحدث عن الفاجر اذا كان فيه، وإذا كانت الصفة غير موجودة فيه بنسبة ٩٠% فهذا بهتان وعلماً بأنه اكبر من الغيبة ب(٧٢) درجة، وان وجد الايمان فعلياً وجدت الاخوة (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ) (الحجرات: ١٠) ولا يقول إنما المسلمون، إذا تصفحنا القرآن بدقة فلا نقلب صفحة إلا وربطت القضية الايمانية بالعمل الصالح، ولهذا لدينا اخطاء في الأعمال، نحن مقصرين حيال انفسنا وحيال الله (الرحمن)، لأننا لسنا بالنوعية التي يرضى عنا فعلاً.

فإذا توفى احد من الموجودين هنا لاسامح الله الرحمن فبالله عليكم كيف سيلاقي ربه الرحمن بعد نصف ساعة، وهو قد قرأ كتابه قبل ان يصل الى الحالة التي يقال له: (اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا) (الإسراء: ١٤)، فيجيب: (يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا) (الكهف: ٤٩)، كم فعل فلان؟ ما مقدار ما عمل فلان؟ وكم فعل فلان؟ فهل تتصورون بأن الله الرحمن اغلق عيناه فلم يره؟، بالله عليكم اليس هو ببصير، أو بان يغلق أذنيه فلا يسمع؟ فكل هذا خلل في ايماننا وتقصير في ايماننا، والحق في ان يكون في ايماننا الخلل لأنه لم ينشأ بهذه الطريقة ولم نربى ونبني على ذلك، وانما انشأنا الكتب وليس القرآن وترتيب نزوله.

ولهذا ساعيد واكرر باننا هنا ذكرنا لحد الآن صيغة وجود الايمان وطريقة ايجاد الايمان ووسائل ايجاد الايمان فقط وسنستمر ان شاء الله الرحمن، اما من اراد ان يكمل في خطوات اخرى في ما تبقى من كتب الايمان او كتب العقائد فلا مانع لدينا ولم نرفض نحن ذلك بالعكس فهو مخير، واما الذوات التي اتمنى من

الله الرحمن في نشوءها فعلا كمصعب وعمار وخبيب وعبدالرحمن ابن عوف، فبكل ايماني وقناعاتي لو اخطأ كل ما في الكون فسوف لن يخطؤا هم، واقول مرة اخرى بكل ايماني بان هذا القرآن لم ينفذ صلاحيته وعنده نفس الفعالية سينشأ نفس النماذج والاشخاص مرة اخرى.

اسأل الله الرحمن بجاه ايمانهم وبجاه حبهم كما احبوا الله الرحمن واحبهم ورضى عنهم لحبهم ذاك ان يوفر لنا ايضاً اسباب الايمان ووسائله، وان يوفقنا ويرشدنا ويكمل لنا هدايتنا، وان يزيح الموانع والاسباب السلبية الموجودة امام نشوء هذا الايمان، وان يزيحها بلطفه وكرمه، واطلب العفو منكم ان كنت قد اخطئت في الدروس السابقة في حق احد منكم او في حق كاتب ما او في حق اتجاه معين، غفر الله الرحمن لذنوبنا.

الجزء التاسع

ربوبية الله الرحمن وتصحيح الفؤاد الى الفطرة

ذكر القرآن قلب الانسان في ثمانية مواقع وذكر بأن القلب موقع تنشئة الايمان، بعون من الله الرحمن سنلقي الضوء على كيفية تكوين وانشاء أرضية حالة الايمان في داخل الانسان.

ونجيب على هذه الاسئلة: ما دور الانسان في الليل؟ ماذا عمل الرسول (عليه السلام و البركات) في النهار؟ كيف نفهم القرآن؟

مراجعة سريعة

تحدثنا في الدروس السابقة عن ماهية الفطرة وكيفية تفعيل الفؤاد عن طريق السمع والبصر وتحويلها الى الفطرة تحدثنا بالتفصيل عن القراءة وقلنا بأنها المرحلة الاولى لبناء الايمان في داخل الانسان، وكذلك ذكرنا بأن عمل الانبياء والرسول هو بتلاوة آيات الله الرحمن لكي يتم التحويل الفعلي لهذا الايمان البسيط والبدائي الموجود في قلب الانسان المنشأ بواسطة القراءة ويعمل على نموه وزيادته ورفعها الى ورفعه الى مستوى أعلى والمرحلة التي تليها وهي مرحلة التزكية (يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ) (الجمعة ٢)، وفي نفس الوقت ينشأ لهذا الذات التعليم والحكمة (وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ).

وذكرنا زمن القراءة وقلنا بأن القراءة تؤدي ليلاً، ففي بداية سورة المزمل قسم الله الرحمن العام الكامل الى اربع فصول وحدد ساعات قيامها (فَمِ اللَّيْلِ إِلَّا قَلِيلًا) (المزمل ٢)، وقام بتقسيمها الى اربع ادوار ومن ثم كيف انشغل الرسول وجمع الذين آمنوا بانفسهم اثناء القيام؟ وبيننا الفروق بين قيام الليل والقراءة فيه مع صلاة الليل وقراءة القرآن فيه (وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا) (الإسراء ٧٩) بين الله الرحمن في القرآن الصلاة وقراءة القرآن اثناء الليل بالتهجد، وهو غير القيام فالقيام كما قلنا هو القراءة في الليل وذكرنا ذلك بالتفصيل.

القرآن منزل

سنوضح كيفية تكوين الأرضية في داخل الانسان، قلنا سابقاً بأن القلب موقع نشوء الايمان ولقد ذكره الله الرحمن في اكثر من ثمان اماكن في القرآن،

وبعون الله الرحمن سنلقي الضوء على كيفية تنشئة الارضية لهذه الحالة مع تبينه.

من أحد أعمال الرسول (عليه السلام و البركات) الأمور به من قبل الله الرحمن إذ قال له: (وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا) (الإسراء: ١٠٦) قرآنًا فرقناه ونزلناه بالترتيب على رسول الله (عليه السلام و البركات) وذلك (لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ) لتقرأ القرآن بهدوء وتدبر وبهذا الترتيب عليهم، (وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا) سنأخذ كلمة تنزيل حاليا وفي الدرس القادم ان شاء الله سنأتي على الكلمات الأخرى وعلى (لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ).

سنأخذ اليوم كلمة التنزيل فقط لكي يتم نشوء هذه الحالة في داخل الانسان فعلياً، بنينا من قبل بأن القرآن كلام الله وآيات الله الشرعية، وان كل من جمع المؤمنين وجمع المسلمين ملتزمين ومطلوبين بكل ما في هذا القرآن من أمر ونهي، ولكن الله الرحمن استعمل كلمة التنزيل لتنزيل هذا القرآن.

ما معنى كلمة التنزيل

جاءت كلمة التنزيل بجملة من المعاني في اللغة العربية،

- القسم الأول: الجهة العليا الفعلية المنزلة للقرآن والمتمثل بالله الرحمن.
- القسم الثاني: المادة المنزلة.
- القسم الثالث: المكان الذي ينزل عليه القرآن،

ويجب ان يحوي هذه الأقسام الثلاث على مجموعة من الصفات:

- الجهة الاولى: الحيوية (الحياة) ولأن الله الرحمن هو الحي فلقد انزل القرآن بحيوية، ولا يزال القرآن ينزل من جهة الله الرحمن، كما نزل على رسول

الله (عليه السلام و البركات) بتلك الحيوية فما زالت تلك الحيوية مستمرة ولم يتنازل الله الرحمن عنه ولم يتركه.

● **الجهة الثانية:** المادة المنزلة وهو القرآن، والقرآن يملك نفس الحيوية التي انزلت على رسول الله (عليه السلام و البركات)، إذ نزلت بهذه الحيوية وأثرت عليه وغيرت الرسول من بشر الى رسول، وإذا تم اتباع الرسول فإن نفس الحالة ما زالت باقية وحيوية القرآن باقي كما كان في زمن الرسول (عليه السلام و البركات).

● **الجهة الثالثة:** هو الذات المنزل عليه، القرآن، موقع التنزيل، الموقع الذي ينزل عليه، ففي اللغة العربية إذا اردت ان تضع هذا القرآن على المنضدة يقال وضعت القرآن على المنضدة، وضعت القرآن في جيبى، حفظت القرآن، ولهذا قال الله الرحمن: (لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ) (الحشر ٢١)، كلمة الجبل نكرة، أي جبل، جبل هماليا أو جبل سفين وإذا نزل الله الرحمن هذا القرآن عليه: (لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ)، لماذا؟ لأن الجهات الثلاث احياء فالله الرحمن حي والمادة المنزلة حية، ولأن الجبل عبد بمفهوم التسبيح والسجود إذن فهو حي وله حياة وفق ارادة الله الرحمن، ولذلك فعند تنزيل القرآن على الجبل أي جبل ان كان، كل الجبال (لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ)، إذن فالجهة الثالثة متحركة، إذن فالجبل او أي مخلوق آخر أو الانسان، فإن الحياة الموجود في داخل هذا الذات يمنح الحياة للقرآن، فينشأ عندها مفهوم التنزيل، فيتحكم ذلك الانسان في صيغة اعطاء الحياة للقرآن، فنحن و جمع هؤلاء الاخوة نعرف بأن هذا المصحف قد طبع في المانيا وطبع كذلك في بيروت، نعم فان الشخص الغربي والمستشرق مسيحياً كان أم يهودياً يتعامل بهذا الشكل مع القرآن، أما نحن فيجب أن نتعامل مع هذا القرآن من البداية بمفهوم التنزيل، فيجب

أن ننشأ هذه الحالة وهذه الارضية في داخلنا فعلياً و لكي يحيي القرآن فعلاً، فينشأ الارضية وينشأ مفهوم التنزيل في داخلنا.

القلب بوابة القرآن

إذ جاء ونزل القرآن على جبل الهملايا فإنه يبدأ بالخشوع والتصدع (مَنْ خَشِيَ اللَّهَ)، فنحن الأناس أولى بهذه الحالة فلم يخلق قلوبنا من الحجر، نحن الاولى لننشأ هذه الحالة في داخلنا إذا ما اراد الله الرحمن من ان يخاطبنا بمفهوم التنزيل، حسنا فما الذي ينشأ هذه الحالة؟ مفهوم القراءة، مفهوم القراءة فقط يقوم باعداد قلب الانسان لأخذ وتنزيل كلمات الله الرحمن عليه، ولهذا فإن اول سورة نزلت واول كلمة في القرآن بدأه الوحي لذات رسول الله (عليه السلام و البركات) ب (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ) (العلق) ١، لينشأ الارضية في داخل الرسول بمفهوم تنزيل قرآني وليس وضع القرآن ولا بأن يحفظ الرسول (عليه السلام و البركات) القرآن كلا وانما يجب ان ينزل القرآن على قلبه بدأً، وعند التنزيل يتم توزيع هذا القرآن على كل بدنه، وعندها يستطيع من تحويله الى عمل في خارجه. ولهذا فإن كلمة التنزيل في القرآن وردت بمعنى الترتيب، والتنزيل بمعنى التدبر بهدوء، والنزول بوهلة ويحوي على زمن، وهذا هو مفهوم التنزيل، ولا يعني ذلك ان ينزل كله فجأة، إذن هو ليس كيفما يشاء الانسان المسلم ليبدأ من سورة البقرة الى النهاية مباشرة، ولهذا فإن هذا القرآن لا يؤثر فينا ولا نقول بان القرآن لا يستطيع ذلك وانما الحيوية في داخلنا نحن محدودة لكي يتمكن القرآن من وضع ارضية في داخلنا، ليكون له الاثر الفعلي في اخلاقنا وحياتنا وهذا هو مفهوم كلمة التنزيل.

حيوية القرآن

عندما يريد الله الرحمن من ان يصور حالة نزول القرآن (زاده الله شرفاً) في كل القرآن ذكره باسم التنزيل ولهذا لم يذكر كلمة وضع وانما كله تنزيل وهذا مفهوم التنزيل، يجب ان ينشأ أرضية في داخل الانسان عن طريق القراءة، وبلا تشبيه كتهيئة المطار لهبوط الطائرة عليه، فيجب ان يكون للقرآن مكان فيه حيوية وعندها يتم التحويل، وهذه الارضية تنشأ عن طريق القراءة فقط، ولهذا فنحن نقرأ القرآن لعدة مرات ونختمه لعدة مرات، ونستعمل كلمة الختم له وهو قرآنيّاً طبعاً غير جائز، نقرأ القرآن من (سورة الفاتحة) الى (سورة الناس) ونكمله من هذه الجهة الى الجهة الاخرى ولكن ما مدى حيوية هذا القرآن لذواتنا؟ محدودة، لماذا؟ لان حيويتنا نحن للقرآن محدودة.

هل للشياطين وحي وتنزيل؟

ذكرنا في الدرس الاول انه لا يقبل في المدرسة الطالب إذا لم يصل عمره ستة سنوات ولم يكن له الاستعداد لقبول المادة العلمية وتعلم الالف والباء والتاء والثاء، علماً ان دماغه كما هو حتى في 3 سنوات وذلك باتفاق واجماع علماء البيولوجيا بان خلايا الدماغ هو نفسه لا يزداد ولا يقل ولا يتطور، فكل خلايا الجسم يتغير الا خلايا الدماغ لا يطرأ عليه التغيير، فالطفل في بطن امه يملك نفس عدد خلايا الدماغ، حسناً فلماذا لا يقبلونه في المدرسة في عمر السنتين؟ ليعلم الالف والباء، والتعلم؟ لانه لا يملك الاستعداد، وبأي شيء يتم استعداده؟ الزمن ينشأ له الاستعداد، والقراءة ينشأ ارضية التنزيل في داخل الانسان، لكي يمنح القرآن حيويته وقابليته. وهنا يطرح السؤال نفسه هل التنزيل أيضا موجود فقط لله؟ او للقرآن او لجمع المسلمين؟ هنا يجيبنا القرآن فيقول كلا ان للشياطين تنزيل كقوله: (قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ) (الشعراء ٢٢١)، الشياطين يتم تنزيلهم، لا

يأتون وانما يتم تنزيلهم، فيجيب القرآن: (تَنْزَلُ عَلَى كُلِّ أَقَّاكٍ أَثِيمٍ) (الشعراء ٢٢٢) صفتان (يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثُرُهُمْ كَاذِبُونَ) (الشعراء ٢٢٣)، إذن فالشياطين تنزيل وهل تعلمون ليس فقط تنزيل وانما للشياطين وحي! وبلا تشبيهه كوحي الله الرحمن يقول القرآن: (وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ) (الأنعام)، كلمة الوحي (وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيَجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ) (الأنعام ١٢١) للشياطين وحي وتنزيل، حسنا فإذا كان لشياطين الجن وحي وقد انشؤا علاقة مع شياطين الانس، الا يجب ان يكون لشياطين الانس ارضية لتقبل ذلك.

شياطين الارض

تحدثنا عن تكوين الارضية في داخل قلب الانسان المسلم ليكون مؤمناً، حسنا لو اراد الشيطان الجنى ان يتصل مع شيطان الانسي؟ فلا محالة من امتلاكه ارضية لذلك؟ يقول الله الرحمن (وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ * هَمَّازٍ مَّشَاءٍ بِنَمِيمٍ * مَنَاعٍ لِخَيْرٍ مُّعْتَدٍ أَثِيمٍ) (القلم ١٠-١١-١٢)، كل هذه الصفات ينتج عنه صفة جامعة اسمه الاثم، من كلمة، (هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَنْ تَنْزَلُ الشَّيَاطِينُ تَنْزَلُ عَلَىٰ كُلِّ أَقَّاكٍ أَثِيمٍ)، إذن مجموعة من الصفات المطبوعة كأرضية في قلب الانسان، وانشأ أرضية ليملك الشيطان الاستعداد من تنزيل الوحي له، ولهذا ترى في سورة المزمل يتحدث القرآن عن صيغة اثناء نزول الوحي الشيطاني على الوليد بن مغيرة.

تصفحوا القرآن فستعرفون كيف نزل عليه الوحي الشيطاني وماذا جرى له (إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ * فَقَتَلَ كَيْفَ قَدَّرَ * ثُمَّ نَظَرَ * ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ) (المدثر ١٨-٢٢)، وكل هذا حال الشيطان الارضي، الشيطان الذي على الارض اصبح مطاراً لشيطان الجن، فالشيطان الجنى يحضر له الوحي، فيتلقاها شيطان

الارض، يتم تنزيله عليه فيتلقاها، وصور لنا الله الرحمن حالة اثناء نزول الوحي، حالة هذا الشخص الذي تنزل عليه ذلك الوحي، فماذا يحصل له؟ (إِنَّهُ فَكَّرَ) وعندما يفكر الانسان إذا لاحظتم ذلك الانسان عند تفكيره يسرح وينظر الى الاشياء وذهنه سارح، (إِنَّهُ فَكَّرَ) فتتغير معالم وجهه عند التفكير، وحتى إذا حركت يدك امام عينيه فسوف لن يحس بك، وهذا هو التفكير العميق، (وَقَدَّرَ) فيضع التقديرات في دماغه، (فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ * ثُمَّ نَظَرَ * ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ) عابس وجهه ومقطب جبينه، (ثُمَّ أَدْبَرَ) ومن ثم ادار ظهره، (وَاسْتَكْبَرَ) فكانت النتيجة (فَقَالَ إِنَّ هَذَا إِلا سِحْرٌ يُؤْتَرُ) وصل الى النتيجة.

قيام الليل

فهل اتى بهذا الكلام من جعبته؟ كلا فلقد علمه شياطين الجن، ماذا كانت النتيجة؟ إذن فإن لاحظنا وجود نوعين من التنزيل ويجب توفر الارضية لكل نوع من انواع التنزيل، تنزيل يأتي من قبل الله الرحمن للانسان المسلم ويجب ان يملك هذا الانسان المسلم الارضية لمفهوم التنزيل في داخله ليمنحه الحيوية، بالمستوى الذي كان عليه جمع الذين آمنوا مع رسول الله وكيف كانوا يطبقونه مع ذات رسول الله، وبهذا الشكل ليتمكن من تطبيقه وتحويله، لكي ينشأ الانسان المؤمن النوعي، ويرتفع ويرتقي في درجات ايمانه رويداً فريداً الى ان يصل الى مستوى الرضوان، يحصل على رضوان الله الرحمن في الدنيا من قبل ان يصل الى الآخرة، هذه النوعية الاولى والنوعية الثانية هو تنزيل الشياطين لموادهم فعلياً، بمفهوم كلمة الوحي الوارد في القرآن، وبالنتيجة أقرؤا (سورة الناس) لشياطين الارض وهم شياطين الاناسي (مِنَ الْجِنَّةِ وَ

النَّاسِ) (الناس ٦)، إذن هناك علاقة وثيقة بين الناس والجن وهو وجوب تواجد ارضية تلقي فعلية لهؤلاء الناس على الارض ليتم تنزيل ذلك الوحي، فما هي النتيجة؟ نستنتج من كل هذا بانه لو قرأنا القرآن نحن ايضاً يومياً من صفحتها الاولى الى آخرها فلن نجد الفائدة حتى ننشأ ارضية في داخلنا من هذا النوع، وحين أنشاء الارضية يصبح للقرآن فاعلية عنده و له حقيقة ملموسة، ويصبح لدى هذا الانسان الاستعداد لقبول القرآن بتلقائية و سلاسة ومن دون الاحساس بأحراج اثناء تطبيق القرآن، كأن يمد يده الى فمه عند تناوله الطعام ولا يمدّها الى اذنه، واستيقاظه من النوم عند مناداته باسمه، فبهذه الحالة وبهذه السلاسة يستوعب الانسان القرآن، رويداً رويداً (عَلَى مُكْتَبٍ) (الإسراء ١٠٦) ويأخذه مفرقاً حتى يصل الى المستوى الفعلي الذي فيه يرضى الله الرحمن عنه وهذا هو مفهوم التنزيل في القرآن.

وقلنا بأن هذا التنزيل ينشأ عن طريق القراءة فقط، وليس هناك طريقة أخرى ولا يوجد ارضية ابداً لإيجاد هذه الحالة في داخل الانسان، وذكرنا في الدرس السادس أن الله الرحمن قد حدد زمن القراءة لرسول الله في سورة المزمل (يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ * قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا) قم في كل ليلة (قُمِ اللَّيْلَ) هي كذلك في البداية، (قُمِ اللَّيْلَ) قم الليل كله ما عدا قليله خذ فيها قسطاً من الراحة، وهذه المرحلة الاولى، (قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا)، ومن ثم (نِصْفَهُ) ويعني قم في منتصف الليل (أَوْ انْقِصْ مِنْهُ قَلِيلًا) وقل من ذلك، (أَوْ زِدْ عَلَيْهِ) زد عليه، (وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا) ومن ثم يأتي ترتيل القرآن بعد القراءة، (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ) (العلق ١)، انشأ الرسول (عليه السلام و البركات) الارضية في داخله وأُمرَ بالقيام في الليل بأربع انواع و مراحل (قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا)، فهذا الاول (نِصْفَهُ) وهذا الثاني، (أَوْ انْقِصْ مِنْهُ قَلِيلًا) وهذا الثالث، (أَوْ زِدْ عَلَيْهِ) وهذا الرابع.

ففي اولها يقوم الليل كله (قُمَ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلاً) ومن ثم نصفه، وقال بعض المفسرين بأن هذا دليل قيام الرسول (عليه السلام و البركات) والقراءة في السنة بأكملها، وبأي شيء؟ الحديث عن فصول السنة، الشتاء والربيع والصيف والخريف، حدد له الفصول الاربعة، ومن ثم نوع الحالة المطلوبة من رسول الله (عليه السلام و البركات) ففي بداية المرحلة احتاج الى كمية كبيرة من القراءة لكي ينشأ في داخله أرضية التنزيل، وذلك ليتم تنزيل القرآن على ذات الرسول (عليه السلام و البركات) (قُمَ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلاً).

القيام للقراءة و التهجد يختلف عنه

لقد عملنا بالطبع على الفصل بين مفهوم كلمة (قم) ومفهوم كلمة (التهجد) المختلفين، (وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ) (الإسراء ٧٩)، وهذا ينزل فيما بعد على الرسول (عليه السلام و البركات) ويعني جزءاً من الليل (وَمِنَ اللَّيْلِ) وقليل منه، ف(من) مأخوذ من الجزء، جزء من الليل وإن كان قليلاً يصلي فيه الرسول (عليه السلام و البركات) ركعاته (١٣)، فمن المحتمل ان يكون ركعات الرسول (١٣) في بداية التنزيل في فترة قصيرة، ولكن عندما اقترب القرآن من الاكتمال في المدينة كان الرسول (عليه السلام و البركات) يقرأ سورة (آل عمران) وسورة (البقرة) عند قيام الليل وفي التهجد، قيام الليل غير التهجد، فقيام الليل هو للقراءة كما ذكرنا آنفاً لكي ينشأ ارضية مفهوم التنزيل، ويأتي الترتيل بعد القراءة (وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً)، وكما تعلمون هذه ثالث سورة ولم يتم نزول القرآن كاملة، حسنا فماذا يعني كلمة رتل؟ ذكرناه في الدرس السادس وهي يعني المتابعة بتأني واستقرار، يتابع القرآن بأطمئنان وهذا هو معنى رتل والترتيل هو ليس ما يقرأ في الاذاعات، فإن قراءة القرآن بمفهوم الترتيل يعني متابعته بهدوء، فمن المحتمل ان تقف على آية واحدة شهراً كاملاً، في الشهر آية واحدة (رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا

هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكَيْلًا) (المزمل ٩)، تقف على معاني (الرب) التي تحدثنا عنه في الدروس السابقة من الدرس الاول والدرس الثاني، فينشأ كل معاني ذات الله الرحمن بواسطة القراءة، وهذا يتطلب زمناً وجهداً كبيراً، وعندما أنشأ ذلك لكلمة (رَبُّ الْمَشْرِقِ)، (افْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ)، (وَإِذْ كَرَّمَ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَيَّنَ إِلَيْهِ تَبَيُّنًا) (المزمل ٨) حتى ينشأ في داخل ذات رسول الله (عليه السلام و البركات) حالة (ربك) والكاف كاف المخاطبة فيحوله بدوره الى جمع الذين آمنوا معه، فمفهوم كلمة (ترتيل) هو وقوف الرسول (عليه السلام و البركات) على الآية الواحدة (وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا)، لماذا؟ أدى القراءة ورتل القرآن بهذا النوع بكل ذلك الزمن للاعداد للحالة التي تلي ذلك، (إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا) (المزمل ٥) أي بعد لم يلقى القول عليه بعد لأن السين هنا سين (سوف) وتستعمل للاستقبال في اللغة العربية، سين (سوف) تستخدم لزمان يأتي بعدها، (سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا)، وإن كان أنياً وحاضراً عليه أن يقرأ بواسطة قيام الليل لأنه من الآن الى المستقبل وزمن وفاته (سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا)، (إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا) والقول ذكر بثقل، قول ثقيل، وكما تعلمون ليس للكلمة قول ثقل أو وزن، وفي نفس الوقت ذكره بالقول الثقيل، واستعينوا بالمصادر لمراجعتة بالتفصيل بعون الله الرحمن، ولماذا؟ (إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلاً)، هنا أستعمل كلمة ناشئة وليست المزكية، الرسول (عليه السلام و البركات) قرأ الآيات والآيات القرآنية مخلوقة وملتوة، مرتلة هناك نوعان من الآيات كما ذكرنا من قبل، قرأ كلا الآيتين، فنشأ في داخله حالة تختلف عن النمو، وكلمة الناشئة أتت من التنشئة، تنشئة ماذا؟ لو نوى الانسان بناء بناية ضخمة فعليه مسبقاً أن يملك أرضاً ويضع له أساساً محكماً وخريطة دقيقة، ومحسوب له حساب آلاف السنين، والتهوية و سطوع الشمس وحساب ضرب الزلازل وقابلية صموده امامه، و تحمله لعوامل التعرية، وكل هذا كله يؤخذ بالحساب للبنائية، وبعد ذلك

يبني البناية على مهل، وهذه الحالة هي التنشئة من وضع الاساس للارضية وبناء البناية بكل المراحل وبكل هذه القناعات والقدرات يقال له التنشئة.

الوطء

التنشئة يقال لبداية عمل المصانع والمعامل من بدء الانتاج وتسليمه الى المقابل، والمثال على ذلك في المنشآت العسكرية فعند وصولهم الى اماكن فيها مياه يحضرون المهندسين مباشرة، ويخبرونهم بطلبهم وهو عبور الماء من هذه الجهة الى الجهة الأخرى، إذن يجب بناء جسر، ويجب الأخذ بالحسبان نوعية بناءه ضد الفيضان وكثرة المياه والتفجيرات والاعصار، ولكي يتم اداء وظيفة الجسر بالكمال والتمام مئة بالمئة يحتاج الى جملة من الأمور، وعند اتمام العمل وتسليمه لصاحب الجهة المعنية من تلك الحكومة والمؤسسة وهذا يسمى بالمنشئة. من اين أنت؟ من التنشئة، يقول الله الرحمن: (إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلاً)، (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَنْدَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ) (البقرة: ١٦٥)، (أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ)، كلمة شديد تختلف في القرآن عن الشدة التي يستعملها عموم فصاح اللغة العربية، قال الرحمن: (إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلاً) (المزمل: ٦)، هنا استعمل كلمة وطء، فماذا يعني الوطء؟ كلمة الوطء في اللغة العربية استعملت للقدم، شخصاً أو مجموعة من الاناسي يخفقون اقدامهم بكثرة على مكان و بقعة ما فتصبح هذه البقعة مسطحة وقوية قاسية فيمتلء بحيث لا يبقي مجال لتهدمه وسقوطه وهذا المكان يقال له توطئة، ويعني ذلك من كثرة ما خفقت الاقدام عليه، ذلك، اعطاهم زمام نفسه كما ارادوا، تمهيد المكان وتهيينته، لماذا؟ لتنشئة الشدة والثبات في المكان لكي لا يتزحلق.

والمثال على ذلك: لا يمكن ان ينشأ التوطئة في الاراضي الرملية، لا ينشأ موطأ القدم هنا لتزحلق قدمه الى قعر الارض، وهذا لا يطلق عليه وطء القدم على الأرض، فيجب وجود الارضية لنشوء التوطئة، فقرأة الرسول (عليه السلام و البركات) الليل بأكمله مع جمع الذين آمنوا معه، حيث كانوا يقرؤون ويرتلون القرآن بالطريقة التي ذكرناها سابقاً وبهذا انشأ في داخلهم الارضية الموجودة في الصدر حيث يصل الى المستوى الفعلي ويتلقى كل مفاهيم الوحي ليأخذ موقعه عليه مباشرة، بدون تزحلق والوقوع في القعر ومن غير ان يتهدم ويكون فراغاً وانما ليقف عليه مباشرة، (إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ)، فهل يمكن ان يتحمل الجسر الضخم المبني على ارض هشة سير المئات والآلاف من السيارات عليه، لايمكن ان يتحمل ذلك (إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلاً) هذا فقط؟ كلا (وَأَقْوَمُ قِيلاً)، فكلمة الاقوم تنشأ في داخل الرسول وجمع الذين آمنوا معه ارضية، لأي شيء؟ لكل قيام مستقبلي، وأي نوع من القيام؟ القيام التعبودي، فكلمة (وَأَقِمِ الصَّلَاةَ) أتت من الاقوم وهذه القوامه والتوطئة انشأت في داخل الرسول (عليه السلام و البركات) وجمع الذين آمنوا معه، لكي يتم أداء الحالة فعلياً، فصلاتهم كانت مضبوطة لأنهم كانوا يؤدون الاقامة، ومن اين اخذت هذه الاقامة؟ وكيف نشأت في داخلهم؟ ب (وَأَقْوَمُ قِيلاً)، (إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلاً)، وكان كل هذا ذكر الليل.

ماذا كان واجب الرسول (عليه السلام و البركات) في النهار؟

مدرسة بناء الرجال يؤدي في الليل، لا يؤدي في النهار، ويؤدي بالقرآنة التي أمر به الله الرحمن، حسناً فماذا عليه ان يفعل الرسول (عليه السلام و البركات) في النهار مع جمع الذين معه؟ يقول الرحمن: (إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا) سبح في النهار، هل تعلمون بأن كلمة التسبيح أتت من

السباحة، من المسيح، وماذا يعني؟ الانسان موجود في داخل الكون وداخل الموجودات، وكله مخلوق، فقراً ليلاً بالطريقة التي ذكرنا، حسناً فماذا يفعل في النهار؟ يمد الشمس أشعته عند الشروق على كل المخلوقات، فيصبح الكل مرئي، إذن كل جزء من اجزاء الكون وكل المخلوقات في مرأى عينيه! ويستطيع التدقيق التام بعينيه، ويلتقط صورهم مجسماً، وهذا في النهار، حسناً فماذا يفعل؟ الكل موجود في وسط هذا الشخص وهذا الذات مخلوق، وعليه اعتبار كل ذلك كالبحر فعلى الذات الذي يريد القراءة في الليل أن يسبح فيهم في النهار، يُسبح ويسبح، في أي شيء؟ في كل المخلوقات، فيبدأ من الاوكسجين الذي يستنشقه فيدقق فيه بذهنه وعينيه واذنيه وعقله وفكره، الأوكسجين هو اكثر ما يحتاج اليه فلو أغلق فاه وانفه لمدة ثلاثة دقائق فقط لاختنق، فيأتي ويتعمق في الاوكسجين بعينيه وعقله واذنيه، لماذا يستنشق الأوكسجين؟ وماذا يفعل الأوكسجين عند دخوله الى الجسم؟ وماهي ممراته وماذا ينشأ في الداخل؟ والى اين يذهب؟ وكل هذا للاوكسجين فقط، ومن ثم خروجه وماذا يخرج مع الهواء؟ وهذا مثال في ما يدور حوله.ومن ثم امثلة أخرى، يأتي على النبات والحيوان والجماد والانسان، فينظر الى الانسان، عينا واذنا هذا الانسان، شعر هذا الانسان وشكله وصيغة مشيه واصابع يديه، وهكذا كل المخلوقات كالبحر فيأتي هذا الشخص ويسبح فيه بذهنه وعقله وقلبه، يسبح فيها، (إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحاً طَوِيلًا) ولا يبين الله الرحمن له عددا فلا يقول مليوناً (سَبْحاً طَوِيلًا) طويلاً، (إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ) وكله في الليل، (فَمِ اللَّيْلِ)، (إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ)، وماذا في النهار؟؟ (إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحاً طَوِيلًا)، كيف؟ (وَأَذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ)، هذا هو، وعندما يقوم بتسبيح كل هذه المخلوقات على هذه الشاكلة فإنه يتذكر خالقية الله الرحمن مباشرة، إذن هذا هو الذكر، والذكر يأتي بعد النسيان، (وَأَذْكُرِ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ) (الكهف: ٢٤) (وَأَذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ)، فماذا

ينتج عن كل هذا في دماغه؟ كلمة (الله) مكتوب على الكل، صنع (الله)، خلق (الله)، كله باكملة، ذات (الله) يقع في داخل القلب بمفهوم الربوبية والخالقية.

مفهوم التبتل

ماذا سيجري على (وَإِذْ كُرِّمَ اسْمُ رَبِّكَ) في الداخل؟ سينشأ حالة أخرى في الداخل (وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً) كلمة التبتل وردت بمعنى الانقطاع، فعند وصول هذا الصحابي لهذه الحالة فإنه يقوم بقطع كل خطوط التواصل والعلاقات بينه وبين هذه البيئة والموجودات التي كان قد وصلها، ولن يبق سوى خط ذات الله الرحمن، ويقطع كل ما سواه، ومن ثم يبدأ من جديد بالتواصل معهم بالعين التي يريده الله الرحمن (وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً)، وردت كلمة التبتل في اللغة العربية بمعنى (مثل)، فيقال الفسيلة المنقطعة عن أمها في النخل، ينمو في أسفل جذع النخلة نخلة صغيرة لمن لاحظ ذلك في الصور، فالنخلة ليست كشجرة البرتقال والرمان والتفاح، وإنما ينمو من أسفل جذعها شجرة صغيرة، يطلق عليها الفسيلة في اللغة العربية، والتبتل هو حالة قطع المزارع لهذه الفسيلة وزرعها في مكان آخر.

يعلم من عاش في مناطق التمر وزارعيه، أو من يملك معلومات عن الزراعة بأن كل صفات الفسيلة يشبه صفات النخلة الأم تماماً حتى في إنتاجها التي تنتجها، ولهذا فإن في علم الزراعة إذا أردت أن تزرع نخلة فلا تزرعها بالنواة وإنما ازرعها بالفسيلة توفيراً للزمن، هذا الزمن الذي ينمو فيه ينتج لك نفس النوع، فهذا القطع ينشأ نفس الحالة ويعيده ويكرره، وهذا هو التبتل. وماذا يعني ذلك؟ ذلك يعني أن الله الرحمن عند خلق الرسول وجمع الذين آمنوا معه بمفهوم الخلافة (إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً) (البقرة: ٣٠) قد أعطى من أسماءه وأفعاله لهذا الإنسان والذين آمنوا مع

رسول الله بنسبة من النسبة مئوية، إذن تنشأ هذه الحالة بواسطة قيام الليل وبواسطة ترتيب القرآن وبواسطة الذكر، فينشأ حالة في داخل هذا الذات شبيهة (بلا تشبيه ولا تمثيل) لذات الله الرحمن، وهذا هو مفهوم التبتل.

الحياة التي يبتغيها الله الرحمن لجمع الذين آمنوا غير حياة الانسان الذي في الطريق، فالشخص الذي في الطريق حي ولكن حياته نوعية، ولا يعترف في القرآن بهذه الحياة، (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ) (الأنفال: ٢٤)، حسنا فهل الشخص المسلم الذي يأتي من الطريق الى المسجد ليس بحي؟ نعم هو حي بايلوجياً ولكنه ليس حياً قرانياً، إذن فالحياة التي ينشأها القرآن له يشبهه في النوعية حياة الله الرحمن، وهذا هو معنى التبتل، فماذا اودع الله الرحمن من صفات ومن افعال في ذات هذا الانسان وفي داخله؟ وما الاسم الذي ارتضى لمخلوقاته واودعه فيهم؟ يجب أن تنشأ هذه الحالة في داخل هذا العبد بهذا النوع والكم، وذلك ليقصد ذات الله الرحمن فعلاً، (وَتَبَتَّلْ) فلا يقول الى الله أو الى ربك، (وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً) انقطع عنه ولا يقصد حتى انقطاع الشخص عن الدنيا بأن يترك دنياه ويذهب الى الكهوف، فلا رهبانية في الاسلام، فمفهوم التبتل ليس كذلك وهذا المفهوم موجود في بعض مصطلحات اللغة الحالية، والتبتل كما قلنا يكون كالفسيلة التي تنتج التمر من نفس النوع، فبنفس الصفة ونفس الاسم ينشأ في داخل العبد وبنسبة معينة وهذا هو التبتل.

(وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً)، الى من؟ من هو اليه؟ (رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا) قال (رب) استعمل له هنا اسم الرب، والرب بمفهوم المعاني التي ذكرناه سابقاً، حسناً فلماذا رَبُّ الْمَشْرِقِ؟ (إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا) كيف ينشأ النهار؟ ينشأ النهار بشروق الشمس، وبغروب الشمس ينشأ الليل، (رَبُّ الْمَشْرِقِ) فيبدأ بالتسبيح مع شروق الشمس، وبواسطة اشعة الشمس اضاءت له كل المخلوقات فاصبحت كلها

مرئية امام عينيه، فيبدأ بالتسبيح في داخل هذه المخلوقات كالبحر يسبح فيه وذلك لكي يكشف له اسم الله الرحمن او فعل خالقية الله الرحمن، بأي حالة؟ بمفهوم الرب، وكما قلنا الرب بمعانيه الثلاث التي ذكرناه سابقاً، (رَبُّ الْمَشْرِقِ) ومن ثم (وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا)، (فاتخذهُ) أتخذهُ انت، أفعله انت، كما ورد هنا (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا، (مَنْ يَتَّخِذْ) هو من يفعله وينشأه، إذن على الانسان المسلم ان يرجع الى الله الرحمن في داخله، وينشأ مفهوم ربوبية الله الرحمن في داخله، (فاتخذهُ) بأي فعل؟ (وكيلاً).

وكل هذه المعاني هو ترتيب لأن للقرآن قانونية الهندسة، فالمرحلة الأولى تسلم الى المرحلة الثانية والمرحلة الثانية تسلم الى المرحلة الثالثة، وبهذا الشكل وبهذه الهندسة يحول القرآن الانسان المسلم الى اهل الايمان (قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا)، ومن ثم تنشئة وتوطئة الليل (إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا)، (رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ) لماذا؟ لكي ينشأ حالة (فاتخذهُ وَكِيلًا). صدقوني حالة توكيل الانسان لله الرحمن لا تنشأ إلا بهذه الطريقة، ولهذا ترى هذا المفهوم عندنا محدود جداً، الله الرحمن بفعل الوكيل موجود في حياة كل المخلوقات، ولكن يجب على الانسان ان يوكل الله الرحمن فعلياً لهذا الموضوع، ولهذا فإن الله الرحمن وكيل كل المخلوقات في ارزاقهم وحياتهم ودفع الضرر وجلب المنفعة ماعدا الأنسان، وحينما ينشأ في داخل وقلب الأنسان هذه الحالة وهو بأن يجعل الله الرحمن (الوكيل) له (فاتخذهُ وَكِيلًا)، بعد اتمام كل الحالات من قيام الليل والتنشئة والتسبيح لرب المشرق والمغرب (فاتخذهُ وَكِيلًا).

الوكيل

كلمة الوكيل وردت بمعنى الاستسلام ويعني الاستسلام الفعلي لمفهوم الوكالة، يعني ان يكون الله الرحمن صاحبه وقائم على اموره المادية والمعنوية في كل لحظة وفي كل وقت، وان يلجأ الانسان في كل وقت الى ذات الله الرحمن، بكل شعوره وفي كل حالاته وهذا هو مفهوم كلمة التوكل لله الرحمن (فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا)، ولن ينشأ هذا (واصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا) (مزمل ١٠) إذا لم يُنشأ هذه الحالات، الرسول (عليه السلام و البركات) يُطلب منه الصبر، فبماذا يصبر؟ إذا قيل لشخص بأن يتصدق بعشرة دنانير، فإذا كان في جيبه عشرة دنانير سيتصدق به ولكن كيف يطلب منه ان يتصدق وهو لا يملك العشرة دنانير؟ لو طلبت من هذا الأخ قرض مئة دينار، فكيف سيعطيني ذلك المبلغ إذا لم يكن يملك المئة دينار في جيبه؟ هل من المعقول؟ الله الرحمن يقول للرسول (عليه السلام و البركات) (واصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ)، فالصبر حالة بدنية يجب تواجدها في الداخل، (اصْبِرُوا وَصَابِرُوا) (آل عمران ٢٠٠) يجب تواجدها في داخل الإنسان وهو ثمرة عمله. حسنا فلو لم تكن هذه الحالة موجودة في داخل الرسول لما طلب الله الرحمن من الرسول (عليه السلام و البركات) (واصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ)، ولهذا فنحن لا نملك الصبر او بالأحرى صبرنا قليل، (فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ) (القلم ٤٨) الحالة التي انت عليها الآن هو حكم عليك ان تكون على هذه الشاكلة، ويجب ان يصبر عليه بأحكميته، ولكن سينشأ في داخلك حالة لاتستطيع فيها تحمل المقابل (وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا)، وبالطبع هذا الهجر قد أنشأ من قبل (وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ) (المدثره)، ذكرنا هذا الهجر من قبل في دروس السيرة، حالة تُنشأ في داخل الإنسان، فيهجر الحالة النوعية التي لا يرضى الله الرحمن عنه، وعند اتمام هذا الهجر سينشأ أرضية المرحلة الثانية، وهو هجر للانسان، والانسان هو من ينشأ هذه الحالة (وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ) وهذا أمر، والرجز حالة في داخل الانسان يفرز الى خارج الانسان والله

الرحمن غير راضي عنه ولا يحبه، يؤمر الرسول بهجر هذه الحالة، وعند هجر الرسول يأتي للمرحلة الثانية التي يجب فيها هجر ذوات هؤلاء الاناسي وهذه الحالة ستنشأ عنده، هذه المرحلة الثانية. المرحلة الثالثة: الهجر الجغرافي (وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا) وهذا الهجر الثالث، ويعني لو لم ينشأ الهجر النوعي للحالة فلن تنشأ المرحلة الثانية، ولا يستطيع أن يهجر الاناسي، وإذا لم يتمكن من هجر الاناسي في المرحلة الثانية فإن الهجر للمرحلة الثالثة سوف لن ينشأ، هي مرحلة جغرافية ينتقل فيها منطقة أخرى، ولهذا فإن الشخص الذي كان في مقدمة المعركة اثناء حرب العراقية الايرانية يفر من الموت الى ايران ويعتبر نفسه مهاجراً، وهوليس بمهاجروانما هو فار من الموت، متى يصبح مهاجراً فعلاً، إذا انشأ الحالة الاولى فالحالة الثانية فالثالثة، إذا أتم (وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ) ومن ثم أتم (وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا) ومن ثم سينشأ (الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا)، وهذا قانون القرآن. ولهذا كثيراً ما نكرر هذه الحالة، فهندسة كلمات هذا القرآن نوعية، و يجب ان يتم تطبيقه وأخذه بهذا النوع، وتقديم كلمة منه كأن نقول والعياذ بالله يارب لم تكن انت الاحكم والاعلم ونحن أعلم منك ونحن نعلم بأن هذا هو الأفضل اليوم ونطبقه على بهذا الشكل فنؤخر كلمة ليعطينا نفس المعنى والعياذ بالله، انما نزل القرآن بهندسة و قانونية.

أسلوب فهم القرآن

على سبيل المثال يموت شخص عربي وله ولدان فيكتب الوصية لأولاده، مالي و ملكي لأبني الصغير، فزيادة ألف واحدة فقط على الواو لأصبح مالي أو ملكي لأبني الصغير، الف واحدة فقط غيرت الكثير من معانيه، فممنوع تغيير ضمة واحدة في القرآن لأن معانيه ستعكس بذلك، حسناً أليس هذا تغيير في القرآن إذا تم تحريف معاني القرآن أثناء التطبيق،

ليس هذا بتحريف للقرآن؟ هو ايضاً تحريف للقرآن، وكيف؟ مثلاً أمرنا الله الرحمن بأن نصلي وفي اولها نقرأ سورة الفاتحة، ومن ثم نذهب الى الركوع فالسجود، فيأتي شخص ما و يسجد في البدء أو يركع ونيته سليمة فهل صلاته مقبولة؟ باجماع الأئمة هذا الشخص لم يصلي، وإن كانت نيته سليمة، وهذا هو عدم تطبيق هندسية أمر الله الرحمن، فلقد قال: اقيموا ومن ثم اركعوا فاسجدوا، يقول الله الرحمن: (وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ) بترتيب النزول ومن ثم (آمنوا و هاجروا و جاهدوا)، فينشأ حالة في الواقع وبعدها (هَجْرًا جَمِيلًا)، فهذا هو صحة صيغة فهم القرآن، وصيغة تحويل القرآن صحيحاً الى الواقع، ورجال الذين آمنوا مع رسول الله (عليه السلام و البركات) قد نشئوا بهذا النوع. ولهذا كانوا هم بتلك النوعية وهكذا نحن، استطاع الرسول (عليه السلام و البركات) من تنشئة رجال بهذه الطريقة، فالعياذ بالله لم يكن الرسول (عليه السلام و البركات) ساحراً أو كاهناً والعياذ بالله، ولم يكن يملك مصنعاً ليدخل الانسان من هذا الباب ويخرجه من الباب الآخر ابو بكرأ ويصبح ابو بكر صديقاً، ويدخل عمر ليصبح فاروقاً، واضح؟ ويدخل عمه حمزة ليخرج حمزة (سيداً للشهداء)، كلا فالرسول (عليه السلام و البركات) لم يكن يملك معملاً وانما أنشأ الرجال بهذه الطريقة، ولهذا إذا لم يتم تكرار واعادة هذا وأن القرآن قابل لتنشئة الرجال بهذا النوع فإن التاريخ يعيد نفسه على الدوام.

وهذا قول الرسول (عليه السلام و البركات) (خير القرون قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم)، وإن كان هذا بالمفهوم الذي يتحدث ذلك الاخ عنه في قضية القرن بانه الزمن فعليه ان نذهب الى الاسوء على الدوام، وإذا لم تنشأ هذه النوعية فيجب ان نضع علامة الضرب على انفسنا دائماً لأننا لم نتمكن من تنشئة هذه الذوات، حيث يذكر الله الرحمن في القرآن وعده (وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ) (الأنبياء ١٠٥) (إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ) (الأنبياء ١٠٦).

أسأل الله الرحمن بعظمته وفضله وكرمه ولطفه أن يرشدنا ويكمل
هدايتنا ويزيد من تقوانا إن شاء الله ويدلنا الى الدين الصحيح، وينشأ فينا
القرآن الكامل كما انشأ الله الرحمن ذلك للجيل الاول، ويجعلنا من الرجال
الذين وعدهم الله بوراثة الارض وتسليمها لهم ان شاء الله.

الجزء العاشر

الرسول (عليه السلام و البركات) يملك إيماناً لا عقيدة

يقوم القراءة بإنشاء مراحل الترتيل والتنشئة والتسبيح والتبتل، سابقاً ذكرنا الفطرة، وأنه الأرضية والموقع الجغرافي لنشوء الايمان، لأنه لا ينشأ شيء في الفراغ ولا يمكن ان يوجد، ولزم في الأصل وجود هذه الارضية في داخل الانسان، وعند ايجاد الانسان هذه الارضية في داخله سينشأ الايمان بالله الرحمن بكل سهولة، والأرضية موجودة في صدره، وخصص الله الرحمن في الصدر موقعاً اسماء القلب، والفطرة موجودة في داخل القلب، وفي الوقت الذي يريد فيه الانسان من تنشئة الايمان في داخله كان عليه ان يفعل فطرته، وبواسطة السمع والبصر يتحول الفؤاد الى الفطرة وبذلك ينشأ أرضية الايمان أو الخطوة الاولى من الايمان في داخل الانسان، ولكنه ليس بالايمان النوعي الذي يقر به الله الرحمن.

الإيمان الحق

لم يذكر الله الرحمن الايمان في السور الاولى لأن الرسول (عليه السلام و البركات) مع جمع الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ كانوا يحاولون أن ينشؤا الايمان في داخلهم ولم يبلغوا بعد الى مستوى الايمان الحق، إذن لا يُقر بنشوء الايمان حتى يصل درجاته الى مستوى الايمان الحق، ويعني أن الأيمان غير موجود بعد أصلاً في داخل هذا الإنسان، وتحدثنا عن داخل الانسان وخارجه بالتفصيل، وقلنا انه هناك جهاز في داخل الإنسان يسمى بالفطرة، فيجب ان يكون هناك جهاز خارجي يساعد ويعاون الجهاز الداخلي للانسان وذلك بالمطابقة بحيث يكون كالجهاز الداخلي تماماً، واسمينا الجهاز الخارجي بالقرآن، والقرآن هو الجهاز الذي يعمل على تفعيل الجهاز الداخلي.

القرآن منزل

ذكرنا سابقاً بأن القرآن قد تم تنزيله ولم يوضع وضعاً، فإن قلنا فلان وضع القرآن على المنضدة كما هو وارد في اللغة العربية فهو قد وضعه، ولكن إذا جاء واستعمل معه حالة التنزيل كما اسماء الله الرحمن، فعند حدوث التنزيل ينشأ تلك الحيوية المطلوبة من القرآن ويتطابق مع حيوية داخل الانسان فيتم استيعاب القرآن وامتصاصه.

وبلا تشبيه كالمعدة السقيمة إذ لا تستطيع ان تهضم الطعام وإن كان الطعام سليماً، لتحول الطعام الى موادها الأولية وليتمكن الامعاء بدوره من عملية الأمتصاص، وكذلك فالطائرة لا تستطيع الهبوط إذ انعدم المطار، ولا يتم التنزيل للقرآن إذا لم يوجد داخل الإنسان، ولقد ذكرنا ذلك في الدروس السابقة، حيث قلنا بأن هناك جهة أخرى ما عدا الإنسان وداخل الإنسان والقرآن والله الرحمن، وبلا

تشبيهه هو يبعث وحيه وينزل مادته ايضاً كما يفعل الله الرحمن، ويجب أن يملك أرضية هو ايضاً واسميناه بالشیطان، والشیطان يوحى أيضاً ويقوم بالتنزيل، وكذلك يجب أن يكون هناك التواجد الفعلي لمطار الشيطان، وجود الأنسان، وان يملك الانسان صفات استيعاب مادة وحي الشيطان، لكي يتمكن الشيطان من اداء دوره في الوجود.

القراءة بنية للترتيل والتنشئة

ذكرنا في الدرس الثالث والرابع بأن الجهاز الخارجي للانسان والمتمثل بالقرآن والذي يتلى بواسطة الأنبياء والرسل وقد تلوه، فعمل كل رسول ونبي هو التلاوة، وعند تلاوته يبدأ الشخص المقابل بالقراءة، لدينا ذاتان أبو بكر الانسان ويجب ان يأخذ الايمان وينشأه بواسطة الرسول، ولدينا رسول الله (عليه السلام و البركات)، فلا يستطيع ابو بكر من قراءة آيات الله الرحمن حتى يأتي الرسول ويتلوا عليه آيات الله الرحمن، وذكرنا هذا بالتفصيل في الدرس السادس، فعندما يتلوا الرسول والنبي فإن هذا الذات وهذا الأنسان يبدأ بالقراءة مباشرة من غير دفعات و بلا رتوش، اداء القراءة هي المرحلة الأولى ويأتي الترتيل في المرحلة التي بعدها، يأتي الترتيل بعد القراءة ومن ثم التنشئة وبعد التنشئة يأتي التسبيح وبعد التسبيح ينشأ التبتل، وهذا كله من القوانين القرآنية، وبهذا النوع يتكون الايمان، يقرأ كل المخلوقات الكونية وبعد القراءة يقوم هذا الانسان بالترتيل لنفسه، والترتيل غير القراءة، ولقد ذكرنا كل واحدة على حدة بمعانيه القرآنية من الآيات وفي اللغة العربية بالمصادر والمعاجم وقواميس اللغة العربية.

فبعد القراءة ينشأ في داخل الأنسان حالة يحول الفؤاد الى الفطرة، وهذه الحالة لها اعراضها واحاسيسها التي يحس بها، وبلا تشبيه كأحاساس الأنسان باللذة عند اكله الطعام، كاحساس المحب باللذة عند رؤية محبه، وكذلك المرض

فالمريض له اعراضه وعلاماته، وهكذا يحس بتحول فؤاده الى الفطرة، وبشكل مادي وله علاماته، ولن يبقى دور القراءة عند تحول الفؤاد الى الفطرة فحينها يبدأ بالترتيل، ويرتل نفس الآيات، وتحدثنا عن معاني الترتيل، وينشأ بعد الترتيل حالة في داخل الإنسان، وكما أن الفؤاد يتحول الى الفطرة فإن الترتيل يحول القراءة الى تنشئة، وذكرنا ذلك في الدروس السابقة، إذ ذكرنا المنشئة، التنشئة وردت من النشأ، فيتكون (إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ) (المزمل ٦) (قُمْ اللَّيْلَ) (المزمل ٢) (نَاشِئَةَ اللَّيْلِ) (المزمل ٦) وتتكون الناشئة بعد الترتيل، والتنشئة مرحلة أخرى محسوسة في داخل الإنسان، وهو أيضاً له اعراضه في القرآن، وان شاء الله بأمكانكم استخلاص وسحب جميعه كل على حدة بمتابعة القرآن حسب ترتيب نزوله.

وبعد تكوين التنشئة يقوم الشخص بالتسبيح نهاراً وقلنا بأنه غير القراءة قال الرحمن: (إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحاً طَوِيلًا) (المزمل ٧) وذكرنا حتى معنى السباحة إذ وردت كلمة التسبيح من السباحة، وقلنا بأن كل هذه المخلوقات بمثابة بحر لذات هذا الإنسان، وفي هذا البحر المخلوقى يسبح هذا الذات، بماذا؟ بالعقل والعين والأذن والفكر والذكر، والتسبيح يطلق على سباحته في المخلوقات، (إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحاً طَوِيلًا) (المزمل ٧) يسبح، التسبيح غير القراءة وغير الذكر، والتسبيح حالة ايمانية تنشأ بعد حالة التنشئة، والتسبيح ينشأ التبتل في داخل الإنسان.

نشوء التبتل

ذكرنا التبتل في الدرس السابق وهو انقطاع الإنسان من المخلوقات لذات الله الرحمن فقط، فلا تبقى له علاقات مادية و معنوية مع أي من المخلوقات، فبلا تشبيهه ولا تمثيل يصبح هذا الانسان وهذا الذات المسلم كجهاز الروبوت الآلي، يتحرك بواسطة هذه الارادة الربانية، ارادة الله الرحمن في كل ما يطلبه الله الرحمن، وعند تبتله الفعلي الحقيقي يتم انقطاعه الكلي والتام مئة بالمئة عن كل

المخلوقات، قال الله الرحمن لرسوله (عليه السلام و البركات): (وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً* رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا) (المزمل ٩/٨)، في نهاية الآية يبين لنا انه لا يتكون التبتل حتى ينشأ حالة ومفهوم الربوبية بكل الاطلاعات وبمفهوم قدرة الله الرحمن في نشوء المشرق والمغرب وكل بيد الله الرحمن، ولا يعطي هذا الإنسان الوكالة بيد الله الرحمن إذا لم يتم ايجاد هذه الحالة في داخله، فلا يعتبر الله الرحمن وكيلاً، ولهذا سينتج عن نشوء هذه الحالة، المعرفة الفعلية بان الله هو الوكيل.

كيفية نشوء مفهوم (الرب)؟

نأتي على محاور البداية مرة أخرى وهو (رب العالمين)، فبعد القراءة يأتي الترتيل وبعده التنشئة ومن ثم التسبيح وبعده يتكون التبتل ومن ثم يتكون عنده الوكالة، يجعل الإنسان الله الرحمن وكيلاً لنفسه، وعند نشوء كل هذا نأتي على حالة الربوبية، قرأ هذا الإنسان في داخله، نعود مرة أخرى على موضوع القراءة لحاجتنا اليه اليوم، (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ) (العلق ١) كيف ينشأ مفهوم الربوبية (ربك) في داخل الإنسان؟

- النقطة الأولى: وجب نشوء حقيقة (الرب) في داخل كل الذوات التي تأمل من تكون الإيمان في داخلها.
- النقطة الثانية: وبعد ذلك يجب أن يصبح الرب ربهم وربك وربي انا وربه هو... الخ، ويجب ان يتكون كل ذلك واحدة تلو الأخرى في داخل الذات، وإذا لم يستطع الفرد الموجود هنا من الأحساس بربه (ربي) فهو بحاجة الى القراءة وأعادة هذه الحالة في داخله، فإذا لم يصبح الله الرحمن ربه وربك فلا فائدة من ذلك، ويجب عليه الاستمرار في القراءة ليحس فعلاً بأن الله الرحمن هو الخالق.

كيفية القراءة؟

كل ما يقع عليه عيناه فهو مخلوق (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ) (العلق ١) وبالسمع والبصر وكل ما يسمعه هو مخلوق، وكل ما في هذا الوجود وفي هذا الكون مخلوق ما عدا الله الرحمن، فينظر الى هذه المخلوقات ويأخذها قطعة قطعة، الهواء والجبال والأرض والشمس والقمر والأوكسجين، فكل ما تراه عينيه، وما يسمعه اذناه هو مخلوق، فيأتي ويقرأ كل ذلك كاملاً، حتى يحس فعلاً ان هذا الخالق بالغ العظمة، وهو مهندس عجيب جداً وعجيب في تلوينه ومصور عجيب في تصويره، ويعطي لكل مخلوق حجمه الأصلي، وعلى سبيل المثال يأتي هذا الإنسان ويقرأ البلبل، يقرأ لون هذا البلبل وصوته، شكله وعينيه وسيقانه، فيقرأ كل ذلك، ويأتي على الإنسان، عينا الإنسان واذناه، شعر الإنسان ويدها وقدمها الإنسان (خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ) (العلق ٢) ويعني إقرأ الإنسان الذي خلقه الله الرحمن من علق، يأتي الى الأرض فيقرأ الأرض، وعند كل القراءة تتكون في داخله وفي قلبه حالة (رب) جديدة، ما احساسه؟ يحس بأسلوب خلق الله الرحمن لهم، وكيف خلقهم، وبأي هندسة واعجوبة قد خلقهم.

المتابعة المستمرة

هل ترك الله الرحمن مخلوقاته بعد خلقه اياهم هكذا؟ كلا فهو ملتزم بهم، وقد ربط أحدهم بالآخر ويفعلهم، ليس بإمكان أي مخلوق في هذا الوجود من ان يعمل او من ان يؤدي وظيفته لوحده، ليس هناك اي مخلوق بتاتاً، فكل منهم متعلق ومرتبب بالآخر كالحلقات، من الملائكة وحتى الشياطين و حتى الإنسان، وحتى الأنبياء والرسل كلهم، وحتى داخل بدن المخلوقات مرتبب ببعضه، او

الذرة والجزئية أو الخلية، كلها حلقات مرتبطة ببعض، ليس هناك جزء وكيان مستقيم في الوجود يستطيع إدامة واستمرارية حياته ووجوده ومخلوقيته.

أو لهذا خلق الله الرحمن كل مخلوق بهذا الشكل ليحس كل مخلوق بنقصه، واثناء القراءة ينكشف لهذا الذات حالة التعجب من الله الرحمن، و(بلا تشبيه) نضرب مثلاً على ذلك: في السابق كانت الحكومة تمنح الرواتب والأرزاق للناس، حتى أصبح التصور في ادماغ الناس بأن الحكومة إذا قطعت عنهم الرواتب سيموتون جوعاً، ولهذا كانت الحكومة تدجهم في الجيش الشعبي وفي الحروب وكان يحركهم بكل الانواع والأشكال، فهذا الشخص كان مجبوراً لأن الحكومة ربطت رزقه بوظيفته وراتبه في دماغه، فمتى ما قطع الراتب عن هذا الموظف سيموت جوعاً، ولو قطعوا عنه الأرزاق لمات جوعاً، وهذه الحالة ظاهرة بمكشوفية في مدارس الدول الشرقية وأوروبا الشرقية خصوصاً، ولماذا فعلوا هذا؟ لكي ينشأ فعلاً مفهوم الربوبية في ذات هذا الإنسان، وباتجاه من؟ لسحب ربوبية الله الرحمن واعطائه لجهة معينة أخرى.

ولهذا كان يقول رئيس الجمهورية في مجالسه بأنه يجب على كل عراقي ان لا ينسى فضله عليه وهو صاحب حياته واستمرارية حياته، وهذا ما سمعته بنفسه، وليس هناك طفل في العراق يكبر من غير حليب الحكومة، ولا يستطيع اي فرد عراقي من العيش من دون ارزاق و راتب الحكومة، وفي هذا سحب ربوبية الله الرحمن من دماغ الإنسان المقابل الى جهة معينة أخرى، وهذا هو مفهوم الشرك، فالأنبياء والرسل عملوا على سحب حق الربوبية من فلان وعلان بواسطة تلاوة آيات الله الرحمن، فعند قراءة الشخص لآيات الله الرحمن يعطي حق الربوبية من جديد الى الله، وهذا هو مفهوم التوحيد.

ماهي الحالة والاحاسيس الذي ينشأه القراءة؟

يتعامل الله الرحمن مع الشخص القاريء عند القراءة بهذا النوع من الأسماء والأفعال، ومن ثم فهل ان الله الرحمن قد ترك واهمل هذا المخلوق الذي خلقه ببساطة او بالتعقيد؟ كلا وسينكشف له اثناء القراءة بان الله الرحمن قريب من هذا المخلوق في كل وقت، وانما قد فرض الله الرحمن على نفسه بأن لا ينام ولا يتثائب ابدأ، لأن ليس النوم فقط وانما التثائب ايضاً يولد الغفلة، فإذا امسك انساناً كأساً في يده (٢٤) ساعة واقفاً، وإذا تثائب لمدة ساعة وساعتين وثلاث ساعات وإن أخذته السينة وغفا ألا يقع الكأس من بين يده؟ ولهذا فإن الله الرحمن قد حرم حتى التثائب على نفسه، لماذا؟ لكي يكون مع هذا المخلوق بمفهوم الربوبية في كل وقت وفي كل حالة ونوع، وليؤدي كل حاجات هذا المخلوق مباشرةً.

ولهذا في قوله: (فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ) (عبس ٢٤) الطعام يقصد به الطبخ، فيقول فليظنر الانسان الى طعامه إذا كان ما يأكله البرغل؟ او ما اكله كان المحشي (الدولمة)؟ فحتماً قد تم اعداد وترتيب (الدولمة) المحشي في البيت، ولكن من الذي أعد اولويات (الدولمة) والبرغل؟ ولهذا فتركيب هذا الطعام على سبيل المثال ومن اعطى الطاقة الحرارية للنار؟ (أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ) (الواقعة ٧١)، هل نظرتم الى النار؟ (أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ) (الواقعة ٧٢) فمن الذي أعطى النار هذه الحرارة ومن القائم بهذا العمل؟ عندما يأتي الانسان ليقراً أو ليسبح يضع نصب عينيه كل ذلك، فمن اعطى الرز هذا اللون وكما ذكرنا سابقاً، فإن كانت حبة الرز مكونة من بلاستك فهل كان بإمكان المعدة من هضمها؟ ولهذا قيل له: (قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا) (المزمل ٢) لأن مادة القراءة كثيرة وجب ان يكون زمن القراءة كبير، (قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا* نِصْفَهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا* أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا) (المزمل ٢-٤) وعندما يبدأ الانسان بالقراءة ينشأ في داخله حالة وعلاقة جديدة مع الله الرحمن، فيحس عندها بعظمة وكبرياء وابداع الله الرحمن، وأنه هو المصور والمهيمن والعزيز على مخلوقاته.

وعندها ينشأ في داخله حالة من الاشتياق واللهفة لله الرحمن، فيريد ان يصل الى الله الرحمن ويتقرب منه، وهذا هو التحول الحاصل في الفؤاد الى الفطرة، ينشأ في داخله حرقة واحساس (وبلا تشبيهه) يحس بالعطش كالعطشان، صدقوني سيحس بشوق كبير الى الله الرحمن في داخله، فالعطش حرقة في المعدة وانما الشوق في القلب فيحترق قلبه لله الرحمن، فتقل عنده الراحة تقريباً، فيريد ان يريح نفسه لتعرضه لانواع المشاعر من القلق والخوف.

لم تنتهي المرحلة بعد!

ولهذا فإن سورة القلم يعالج هذه الحالة في داخل رسول الله (عليه السلام و البركات)

(مَا أَنْتَ بِنِعْمَةٍ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ) (القلم ٢)، يصور الله الرحمن داخل الرسول ويصرف هذه الحالة المنشئة في داخله الى الله الرحمن، فالرسول (عليه السلام و البركات) يخاف من نفسه وليس من اثنان أو ثلاث اقزام من الأناسي التافهين كأبو لهب وأبو جهل، لينشئوا الشكوك في داخل الرسول (عليه السلام و البركات) بانه قد جن! كلا فهم كانوا أقل بكثير من ان يغيروا قناعة الرسول، القناعة التي انشأها الله الرحمن في داخل الرسول (عليه السلام و البركات) وبهذه الطريقة، وانما هي حالة موجودة في داخل الرسول لا يعرف كيف يعبر عنها وكيف يستوعبها وكيف يقوم بتصريفها، ولهذا ينتج عن كل ذلك (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ) (القلم ٤).

هل تعلمون من اين جاءت كلمة (خُلُقٍ)؟ كلمة خاء ولام وقاف، جاءت من الخلق، لكثرة قرآته مخلوقات الله الرحمن، (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ) (العلق ١) حتى اصبحت لديه خُلُقًا، (وربك) اصبحت خُلُقًا في داخل الرسول، توجهة حالة الشوق والذوق والحرقة المنشئة في داخله الى الله الرحمن، انشئت في داخله احساس ومشاعر لا يستطيع من صرفها وابدائها وكيفية علاجها، اعتقد

الرسول (عليه السلام و البركات) بانه قد جُنْ بهذه الأحاسيس، ولهذا عالجه الله الرحمن (ما أنت يا محمد) (مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ) (القلم ٢).

الفرق بين كلمة النعمة والنعمة

المحور الأول: النعمة في القرآن غير النعمة، فهناك النعمة والنعمة، النعمة بالعين المفتوحة وردت للمادة، والنعمة وردت للهداية، (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ* صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ) (الفاتحة ٧/٦) نِعْمَةٌ (مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ) (القلم ٢) وبماذا يجيبه بعد ذلك؟ (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ) (القلم ٤)، ويعني ذلك انه لكثرة قرآته لمخلوقات الله الرحمن اصبحت لديه خُلُقًا، وَخُلُقًا عَظِيمًا وبمستوى عظيم، وبواسطة القراءة نشئت هذه الحالة في داخل الرسول (عليه السلام و البركات) مع (الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ)، فيحس بأن الله الرحمن ليس فقط مدبر الكون وليس فقط السيد والخالق فهو مانح الحياة والجمال، الله الرحمن عجيب جداً، ويعني هذا عدم نفاذ الحديث عن كبرياء الله الرحمن وعظمته بعد نشوء هذه الحالة في داخل الأنسان، وهذا كان المحور الأول الذي أنشأ في داخل الرسول (عليه السلام و البركات) مع الله الرحمن، فهنا الى ان يصبح الرب هذا عنده ربه وربك (اقرأ باسم ربك).

العلاقة مع الله الرحمن

المحور الثاني: لكن الله الرحمن لن يتركه عند هذا الحد فالعمل لم ينتهي بعد بهذا القدر، ففي الدرس الاول قلنا بأن الإيمان يعالج مجموعة من الأمور:

- النقطة الأولى: علاقة هذا الذات مع الله الرحمن، بحيث الى ان يصبح (ربُّه) (ربي انا). ومن ثم ينزل الله الرحمن على الأنسان قائمة في علاقته معه.

- النقطة الثانية: علاقة الإنسان مع الله الرحمن يجب ان يتم ترتيبه وفق ارادة الله الرحمن وتتضمن:
- أ- علاقتك تكون في الأول مع المخلوقات، ومن ثم مع الله الرحمن، فيفتح السفارة مع الله الرحمن عند نشوء تلك العلاقة، ويُنزل الله آياته على قلب المؤمن وعندها يأمره الله الرحمن ان تكون علاقاته من الآن فصاعداً مع المخلوقات ومع ما حوله وفق ارادة الله، ولا تكون وفق هوى ذلك الإنسان وما يبتغي، فيقول له الله الرحمن: أنا سأبعث لك برنامجك، وسأبعث لك قائمتك ومنهجك، وستحدد علاقاتك وفق ارادتي، مع الوسط والبيئة التي تعيش فيها وهذا هو البعد الثاني.

القرآن والحكمة وليس القرآن والسنة

المحور الثالث: يحدد الله الرحمن حياة هذا الإنسان وفق هذه المخلوقات، حياة الإنسان (وبلا تشبيهه) كالقطار فيضع له السكك، فيقول له هذه سكتك التي تسير عليها وهما خطان القرآن والحكمة، تسير على هاتين ولا تخرج منهما ويكمن نهايتك وهلاكك في الخروج منهما، تهلك عند خروجك من السكة، إذن يجب ان يحدد الإنسان علاقاته وفق هاذان الأثنان القرآن والحكمة بالأمر والنهي، بأفعل ولا تفعل، ومرةً أخرى يأمره الله الرحمن بواسطة القرآن والحكمة، حاذر فأنت لا تعيش لوحده في هذه الدنيا، فهناك محور آخر هو عدو لك، هناك اتجاه واطار هو عدو لك، وهو عدو لدود، يجب ان تحذر منه، ساعرفه لك واحد، اثنان، ثلاث... الى عشرة، وهذه من اعماله، ولو جمعت كل ذلك فلن يصل الى لفظ واحد يخرج من لسانك بالحق فتدمره كقنبلة نووية وتنسفه، فلاتدعه يبقى في الوجود، وانت لديك من القوى، واحد واثنان وثلاث... الف... مليون مقابل هذا العدو.

لقاء مع الله الرحمن

المحور الرابع: أيها الذات ويا أيها البشر ان حياتك لا تقتصر على هذا فقط، فهنا نحن نتفاهم من وراء حجاب، هناك حاجز بيننا، فإن الله الرحمن يتفاهم معنا باستمرار، ولكن سيأتي يوم سأزيح هذه الحجب وسأزيح هذا الستار وهذا اليوم اسمه (يوم الدين)، سنلتقي انا وانت مباشرة، يقول الله الرحمن ستزاح الحجب وتزاح الستائر والحواجر بين المؤمن وبين الله الرحمن، فيبدأ الحوار المباشر مع الله الرحمن، يبدأ الأخذ والعطاء المباشر مع الله الرحمن.

خلق الإنسان للجنة

المحور الخامس: أيها المؤمن لم اخلقك لهذه الدنيا، واعلم بأني خلقتك في الأصل للجنة، وكل البشرية قد خلقت للجنة اصلاً، فوجود جهنم ثانوي، فجهم فرع، الله الرحمن عند خلق البشر خلقهم للجنة، لأن البشر المؤمن قد خلق للعبادة والطاعة اصلاً، واول انسان خلقه الله كان آدم وكان مؤمناً، وكلنا نتفق في هذا، آدم كان مؤمناً ولم يكن كافراً، ولأنه مؤمن إذن فمكانه يكون في الجنة، ولذلك وضعه الله الرحمن في الجنة، كان من حقه واستحقاقاته ان يذهب الى الجنة، ولكن لم يدعه عدوه، إذن إذا استطاع الإنسان فعلاً من التغلب على عدوه وقام بإزاحته باستعمال القنابل الهيدروجينية فانه سيكون في الجنة حتى في الدنيا، وبطاقة الله الرحمن بيده بالرضوان، وسيكون له علاقه مباشرة مع الله الرحمن حتى إذا عاش لمدة مئة عام.

وينتقل تلقائياً ومباشرةً الى الجهة الأخرى عند اغماض عينيه بأسم الموت، فيذهب مباشرةً عند حضرة الله الرحمن ويبدأ اللقاء المباشر، وحينها بيعته مرة اخرى لما خلقه والى المكان الذي خلقه له اصلاً، فيدفعه الى الجنة.

ولكن لأن هذا الذات هو أنسان وقلنا بأنه هناك تصانيف للانسان في القرآن، ففي القرآن ورد ذكر هذا الذات بمجموعة من المصطلحات، منها الأنسان، فيصبح لفترة ناس، هذا الأنسان نفسه يصبح (ناس) وبعد فترة يصبح (بني آدم) وبعد فترة اخرى يصبح النبي آدم هذا بشراً، وهو نفس الشخص، مثلاً عندنا الطالب الناجح من الصف الأول الى الصف الثاني لا يدرس نفس المواد، وإذا سألته عن صفه فسيقول انا في الصف الثاني ولا يقول في الصف الأول، لتغير مستواه وملكته، وعند تخرجه من الابتدائية الى الثانوية إذا سأل اين انت فسيقول انا في الثانوية وهو نفس ذلك الأنسان، كان من قبل في الابتدائية فانتقل الى الثانوية ومن ثم الى الإعدادية وهو نفس ذلك الأنسان ومن الإعدادية يذهب الى الجامعة وهو نفس ذلك الأنسان، فان هيكله العظمي هو نفس هيكله العظمي ولكن قد تغيرت ملكته وقابلياته ومدى استيعابه وفهمه وامكانياته.

وهذا الذات في البداية اسمه انسان وبعدها يصبح ناس وبعد إذ يصبح بني آدم، وهو نفس هذا الذات، ويصبح بعدها بشر، فمسلم وبعده مؤمن، إذن هناك مراحل لأيمان هذا الشخص قبل ان يصبح كافر(فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ)(التغابن ٢) وهذا في يوم الآخرة (القيامة)، ويبقى صنفان فقط من الأناسي، جمع مؤمن وجمع من الكفرة، وأما هنا فلا، ولذلك قال الرحمن: (يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ) (الإنفطار ٦) او قوله: (لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ) (التين ٤) وهؤلاء من الأنواع المعينة من الذوات، ولهم صفات خاصة، ويوجد في القرآن (٦٤) صفة من صفاتهم، وهوانسان بتلك الصفات(٦٤)، ولكن عند تطوره يصبح ناس وله اكثر من (٢٤٠) صفة في القرآن، ويتطور هذا الناس وهو نفس هذا الذات كان في الابتدائية واصبح في المتوسطة فالثانوية، نفس هذا الذات يتطور ليصبح بني آدم، وله سبعة صفات في القرآن، ويتطور اكثر ليصبح بشراً وله مجموعة من الصفات الأخرى.

ولهذا فإن البشر يستلم الرسالة في كل القرآن وليس الأنسان، والأنسان ليس في مستوى رسالة الرسل والأنبياء في القرآن، فمن يكون في مستوى الرسالة؟ البشر، ولهذا يذكر الرسول (عليه السلام و البركات) والأنبياء والرسل في القرآن بالبشر، ولا يذكرون ببني آدم و ناس، فالموضوع دقيق ومعقد قليلاً ولكنه

قرآني، وبإمكانكم مراجعة (معجم الفهرس) واستخراج كلمة انسان وعدد مرات وروده، وكلمة ناس وعدد مرات وروده، وكلمة بني آدم وعدد مرات وروده، وتجميع كله وفق ترتيب نزول القرآن، وعندها سيكشف لهذا الذات خريطة عجيبة، وكيفية تعامل الله الرحمن مع هذا الذات.

نأتي على محور الخطر الذي فيه يضيء الله الرحمن الضوء الأحمر للبشر، ويبدأ الإنسان بضعف ذاته، وهذا أول ضوء احمر اضاء للرسول (عليه السلام و البركات) إذ قال له: (إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيْطَعِي * أَنْ رَأَهُ اسْتَعْنَى) (العلق ٧/٦) كلمة الطغيان هو أول اثم يعلن للرسول (عليه السلام و البركات) (إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيْطَعِي * أَنْ رَأَهُ اسْتَعْنَى) وما الحل؟ (إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى) (العلق ٨) وبهذا لا يبقى طغيانه.

الأستغناء ينشيء الطغيان

في تفسير كلمة الطغيان نجد بأن كل المواد تطغي، فالمخلوق الحي له قابلية الطغيان، فكلمة الطغيان تعني تخطي الحد، يذكر الله الرحمن الماء، ويقول عن سيدنا نوح: (إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ) (الحاقة ١١)، (إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ) طغى الماء، حسنا كيف يطغى الماء؟ لدينا الجداول والأنهار، ويجب ان يكون مستوى الماء منخفضاً عن مستوى اليابسة، لكي يمر الماء فيها، ولكن إذا كان مجرى الماء منبسطة او كانت اليابسة منخفضة لانتشر الماء هنا وهناك، واما إذا زاد الماء عن حده وكان الانخفاض متوفراً في حواف الجدول الا يتخطي الماء من الاطراف والحواف؟ فهذا هو الطغيان، ازدياد الماء عن حده وخروجه عن الحواف هو طغيان الماء.

ويعني ذلك خروج الإنسان من ذلك الخط والسير الذي وضعه الله الرحمن، لماذا؟ لأنه أحس بالأستغناء، والأستغناء ليس بالمال، (إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيْطَعِي * أَنْ رَأَهُ اسْتَعْنَى) (العلق ٧/٦) الأستغناء أتت من الغنى، ولقد ذكرنا قبل قليل مفهوم الربوبية، ففي اثناء القراءة ينشأ حالة في داخل الإنسان وهو معرفته باحتياج كل المخلوقات لبعضها البعض، الحاجة، فكل المخلوقات بحاجة الى غيرها، وهذه الحاجة مرتبطة بالأداء الكلي لجميع المخلوقات، كذلك فالأستغناء هو عند احساس الإنسان بانتهاء حاجته، عند احساسه في اي شيء، فالأستغناء هو

نشوء الحس بانتهاء حاجته لأي شيء كان، وفي هذه الأثناء ينشأ الطغيان قاطبة وهذه قاعدة.

عودوا الى بيوتكم وفكروا في المادة وفي المال وعند نشوء الأستغناء يقوم بالطغيان، فعند نشوء الأستغناء في القوة يطغى في القوة، وعند نشوء الأستغناء في التهنيم يطغى فيها الخ، وهكذا في كل المخلوقات عند الأستغناء ينشأ الطغيان، وأول أثم فعل مقابل الله الرحمن فعله الشيطان بهذه النقطة، لماذا طغى؟ لأنه استغنى في حالته، ولهذا فإن الله الرحمن يضيء للرسول (عليه السلام و البركات) في المرحلة الأولى الضوء الأحمر مباشرة، (إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيْطَغَى) (العلق ٦) متى؟ (أَنْ رَأَاهُ اسْتَغْنَى) (العلق ٧)، حسنا وما الحل؟ (إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى) (العلق ٨) دائماً وفي كل وقت يحس هذا الإنسان بحاجته وذلك اثناء القراءة، فإلى أين يذهب لدفع هذه الحاجة الى زيد و عبيد وحيوان ومخلوقات اخرى؟ كلا فكل اولئك مخلوقات مثله، يرجع الى الله الرحمن في كل وقت يلجأ الى الله الرحمن وهذا هو (إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى) (العلق ٨). فيحس بتقرمه وضالته وقلته، يحس بنقصه وبنقص كل ما يقابله، ولهذا ينشأ في قلبه حالة من عدم الاعتبار للمخلوقات، فلا يعتبر لأي من المخلوقات، بحيث يكون اكبر من حجمه الفعلي، فمثلاً يتحدث عن الرزق فيقيس بأن هذا القمح وهذا الطحين وهذا الرز لا يحييان هذا الإنسان، لأن هو ليس بالرزاق ليقطع عنه رزقه، فمن الرزاق؟ الله الرحمن (أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ * أَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ) (الواقعة ٦٣-٦٤)، فينشأ الله الرحمن الربوبية في داخله، فينشأ هذا الأحساس، ولذلك يحس فعلاً بأن الرز ليس بالرازق الذي يشبعه، فمن يشبعه؟ الله الرحمن، ومن يؤدي عملية الهضم؟ الله الرحمن، ومن يوجه الأوردة والشرين لسحب الطاقة من الدم؟ الله الرحمن، فينشأ هذه الحالة في دماغه بمفهوم كلمة الرب، ولماذا؟ لأن حاجاته او ضالته وصغر حجم كل المخلوقات موجود نصب عينيه.

كيفية علاج الطغيان؟

حسناً فإذا جاء وطغى والعياذ بالله فما هو الحل؟ عليه ان يرى نفسه صغيراً مرة اخرى وينكمش الى حجمه الحقيقي اثناء ذكره الله الرحمن، ولهذا فإن اول أثم هو الطغيان، (إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيْطَغَى * أَنْ رَأَاهُ اسْتَغْنَى) (العلق ٦-٧)، وحله في (إِنَّ

إِلَى رَبِّكَ الرَّجْعَى) (العلق ٨) وكان هذا الضوء الأول (أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى * عَبْدًا إِذَا صَلَّى * أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى * أَوْ أَمَرَ بِالْتَّقْوَى) (العلق ٩-١٢)، عندما قرأ الإنسان أحس بنقصه، وأحس بضالته، وإذا استغنى قليلاً انشأ الطغيان، وهذا في داخله، والظاهر ان هناك ايضاً أثر خارجي عليه، اثر خارجي، ولم يذكر الله الرحمن الشيطان بعد ولكن بغير المباشر يقول: (أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى * عَبْدًا إِذَا صَلَّى) (العلق ٩-١٠)، حسنا نأخذ كلمة (صلى) وأنت من التصلية، ومن صلى أنت (يصلى) (يصلى النَّارَ الْكُبْرَى) (الأعلى ١٢) وصلنا الى فهم معانيه، وأصل التصلية أنت من الأحتراق، أن يضع الإنسان شيئاً على النار ويقلبها و يشويها، هذا ما يقال له بالتصلية، أنت من الصلي ويعني أن النار قريب من المادة او من اللحم أو من بدنه ويعني وصوله، (أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى * عَبْدًا إِذَا صَلَّى) (العلق ٩/١٠) ورد ذكر العبد، فالظاهر ان هناك من ينهى العبد الذي اراد ان يصل الى الله الرحمن، هناك فئة وجهة تنهى عن ذلك، وهذا هو الضوء الأحمر الثاني الذي اضيء.

المحور الثاني هو ذات الإنسان (إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُفٍ) (العلق ٦) وفي خارج الإنسان جهة ينهاه في خارجه، (يَنْهَى * عَبْدًا إِذَا صَلَّى * أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى * أَوْ أَمَرَ بِالْتَّقْوَى * أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى) (العلق ٩-١٣) (أرءيت إن كذب وتولى)، وهذه كانت نهاية هذا الحد، وليتابع بعون الله التفاسير من كان يملك كتب التفاسير في بيته.

في مقطع آية ١٣ (أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى) وهذه صفة هذا النفر وهذا الذات، (يَنْهَى * عَبْدًا إِذَا صَلَّى) وما عمله؟ عمله هو (كَذَّبَ وَتَوَلَّى) (العلق ٩) وماذا يعني؟ لنأتي الى حوار قديم في زمن بعيد، متى؟ عندما خلق الله الرحمن سيدنا آدم، هناك حوار بين آدم والشيطان سجله الله الرحمن هنا.

اول كذبة كانت من الشيطان

طبعاً الشيطان في المخلوقات فعل اول أثم، احتال على آدم (عليه السلام) ولكن كيف فعل ذلك؟ كان الشيطان مكاراً وذكياً وكان يملك عقلاً شيطانياً فماذا فعل؟ جاء الي آدم وتقرب اليه رويداً فرويداً واحتك به فعلم بوجود شيء في داخل آدم، (هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى) (طه ١٢٠) الخلد والملك وهذا هو نقصنا

جميعاً، ولهذا نقوم بالطغيان لأننا نريد الخلد والملك، وإذا نظرنا الى الطواغيت نراهم يريدون الخلد والملك، استمرار الكرسي والحياة، وهذا من طبع الأنسان، ف جاء الشيطان اليه وقال له: (هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى) (طه ١٢٠) وطبعاً لم تكن هذه هي الحقيقة، فماذا فعل إذن؟ زيف، زيف اي شيء؟ الحقيقة، عكس الحقيقة هو كذب، إذن أول أثم فعلي تم الأذار منه كان الكذب (كذب وتولى)، إذن ماهو عمل الشيطان؟ يكذب ويتولى، يُفعل الأنسان ويتركه، (أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى * عَبْدًا إِذَا صَلَّى * أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى * أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى * أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى) (العلق ٩-١٣)، وما الحل؟ (أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى) (العلق ١٤) هذا هو الحل، يكشف الله الرحمن الداء ويعطيه الدواء في نفس الوقت، ولا يقوم باهماله ولا يتركه للزمن، كلا، (كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنْتَه لِنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ) (العلق ١٤).

الناصية منشأ الكذب

الناصية هي جبهة الأنسان، وأي نوع من النواصي (نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ) (العلق ١٦)، إذا امعنا النظر لرأينا اعادة الكذب مرة أخرى، (نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ) (العلق ١٦)، الكذب ينشأ الخطأ، والظاهر بأن الكذب في ناصية هذا المجرم، ولهذا ترى بأن علماء البايولوجي قد اكتشفوا اخيراً بأن ناصية الأنسان (الجبهة) مقدمة الدماغ فيها خلايا الكذب، فبهذه المنطقة والعياذ بالله يكذب الأنسان ولقد أثبت هذا عن طريق التجارب البايولوجية، (نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ * فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ) (العلق ١٦) فليدعوا من يدعمه، (سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ) (العلق ١٨) وما الحل بعد ذلك؟ حله (كَلَّا لَا تُطِغُهُ) (العلق ١٩).

إذن هناك أمر ونهي، فإذا امعنا النظر لوجدنا بأن الشيطان يأمر (يأمركم بالفحشاء) (الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ) (البقرة ٢٦٨)، وكذلك ينهى، (كَلَّا لَا تُطِغُهُ) (العلق ١٩) حسنا فما هو الحل؟ (وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ) (العلق ١٩) السجود يقوم بتصفية خلايا الكذب في الناصية (الجبهة) ويعدها ويسويها فينشأ الصدق، ينشأ الصدق من السجود الذي هو بين العبد وبين الله الرحمن، وعند نشوء الصدق

ينشأ الأخلصية، ونتيجة الصدق والأخلصية في السجود ينشأ القرب، وكانت النتيجة: (كَلَّا لَا تُطَعُّهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ) (العلق ١٩)، وهذه نهاية المعادلة القانونية لله الرحمن، وبهذا يشخص الله الرحمن محاور اول سورة في القرآن لذات رسول الله (عليه السلام و البركات) وفي نفس الوقت هناك محاور اخرى، وبتوفيق من الله الرحمن سنتطرق الى مواضيع اخرى في الدرس القادم ان شاء الله، وهو محور يوم الآخرة ومحور قيام الساعة والجنة وجهنم.

اسأل بعظمة الله الرحمن ان يهبنا هذا الأيمان وان ينشأ أسباب و مسببات هذا الايمان في داخلنا، وان يكمل هدايتنا ويوفقنا ويرشدنا.

الجزء احدى عشر

القرآءة هي المسببة

تعرف الرسول (عليه السلام و البركات) على الله الرحمن عن طريق سورة (العلق).

كمقدمة بسيطة أعيد عليكم المباحث التي ذكرتها سابقاً وبتوضيح أكثر لأعتمادنا عليها.

كلنا نعلم بأن القرآن (زاده الله شرفاً) كتاب الله الرحمن، حيث كان الوسيلة الوحيدة لأيمان الرسول (عليه السلام و البركات)، وكلنا نعلم بأن الرسول لم يكن يملك الكتب الأيمانية لمؤلفي زماننا، وإنما وضع الله الرحمن منهجاً وعاملاً لنشوء هذا الأيمان، فجعل سورة (العلق) المدخل لنشوء الأيمان الحقيقي.

هناك ركنان لنشوء الإيمان

نتفق جميعاً بأن الرسول (عليه السلام و البركات) لم يكن عنده مطبوعات من كتب العقائد الحالية، فهي جاءت الى الوجود بعد زمن الرسول، في عصر الخلفاء أو بعدهم، وكل المؤلفات التي تُولف الى الآن هي بعد زمن وجود الرسول (عليه السلام و البركات)، ولقد كتبت وأُلفت هذه الكتب بعد جمع الذين آمنوا معه، من كتب الأيمانيات وحتى كتب العقائد..والخ.

وهنا يطرح السؤال نفسه، هل كان ايمان الرسول (عليه السلام و البركات) ناقصاً لأنه لم يقوم بمدارسة ومتابعة هذه الأنواع من الكتب؟ نجيب بكلا، فالرسول (عليه السلام و البركات) لم يكن يملك هذه الكتب ومع ذلك كان عالي الأيمان، والذي يشك في هذا عليه ان يراجع ايمانه في مفهوم كلمة (وأشهد أن محمداً رسول الله).

كلمة الأيمان بالرسول (عليه السلام و البركات) والأيمان بذات الرسول هما مصدران اساسيان وركنان مهمان في أسس الأيمان، وهذه نقطة مهمة ليتم تثبيته وترسيخه عند شباب الصحوة، لم يكن هناك كتب العقيدة وكتب الأيمانيات في زمن الرسول (عليه السلام و البركات) ما عدا القرآن، وهذا القرآن لوحده فقط انشأ أيمان الرسول (عليه السلام و البركات)، وبهذا القرآن تمكن الرسول من ايجاد الأيمان النوعي لمستويات عالية في قلوب الذين آمنوا به، وإذا رغبتنا نحن من انشاء الأيمان النوعي في قلوبنا من جديد كإيمان ابو بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وسعد، فيجب ان يكون بنفس صيغة الرسول، ولا يتم الأخذ بأية صيغة بالكمال ما عدا صيغة الرسول (عليه السلام و البركات)، لان أخذه للأيمان سوف لا يكون متكاملأ بغير طريقة وصيغة الرسول.

طبعا كلنا نعلم بأن كتب العقائد ألفت بعد الرسول (عليه السلام و البركات)، وللأسف فنحن انشأتنا هذه الكتب، وكما قلنا سابقاً باننا لو قمنا بمقارنة تعبداتنا وعلاقتنا مع ذات الرحمن لأحسنا بمدى نقصنا.

لو أخذنا نموذجاً من النماذج التي انشأها الرسول (عليه السلام و البركات) وجعلناه معياراً ومقياساً لنا لأحسننا حين إذن بأننا ندّعي ونزعم بالإيمان، وأما هم فكان عندهم الإيمان الحقيقي.

يتم بناء الإيمان الحقيقي عن طريق سورة (العلق)

جلستنا لهذا اليوم جلسة حوار وليست بمحاضرة، بمعنى يعجبني ان اتلقى الأجوبة عن ما تحدثت عنه، فهذا هو اللقاء الحادي عشر تقريباً وأنا معكم، فأريد ان اعلم مدى وجود هذه الحقائق في دواخلكم فعلياً؟

- **النقطة الأولى:** هل تقرون به ام لا؟ ومن كان عنده الاستعداد للمناقشة فان شاء الله وبدون مجاملات لي طرح علي ذلك، وفي نفس الوقت نتقبل ما عنده من بدائل غير هذا إن علم بانه الأصح، وسنناقشه، من يعلم قد يكون رأيه صحيحاً وصائباً؟

النقطة الثانية: النقطة الرئيسية في الموضوع كما قلنا كان نشوء ايمان الرسول (عليه السلام و البركات) بذات الله الرحمن عن طريق القرآن، ولكن ليس بفتح المصحف وقراءة سورة (الفاتحة) وبعد ذلك سورة (البقرة) وبعده سورة.... وبتمهل حتى يصل الى آخره، كلا، فالرسول (عليه السلام و البركات) عندما انشأ علاقته مع ذات الله الرحمن كانت عن طريق سورة(العلق)، والتي كانت اول سورة نزلت على الرسول (عليه السلام و البركات).

فعن طريق سورة (العلق) نشأ الإيمان في داخل الرسول وعن طريق سورة (العلق) تعرف الرسول (عليه السلام و البركات) على الرحمن، فأرضية الإيمان انشأت عن طريق سورة (العلق)، وباجماع الأئمة كلهم متفقين على ذلك، فالقرآن لم ينزل هكذا كاملاً على الرسول (عليه السلام و البركات) وانما نزلت على مهل منجماً.

اول سورة كانت سورة (العلق)، إذن قاعدة نشوء الإيمان او تجديد الإيمان في داخل الإنسان يجب ان يكون عن طريق هذه السورة فقط، وصدقوني فكل ما تبقى هي من المعارف، كالطبيب الذي ينصح المريض بان يقلع عن تدخين السكائر وهو يدخن، فلو كانت في داخله حقيقة ضرر التدخين لألتزم هو بنصيحته، ولهذا فإن الخلل موجود عند شباب الصحوة في باب الإيمان و ليس في باب الأسلاميات.

فيمكن ان يتحدث الذي عنده مجال للحديث لساعة ونصف او ساعتين من دون ان يكرر كلمتين، إذن فمعارفنا كثيرة ونعرف الكثير من الكلام، ونعمل بها بشكل نسبي، ولكن ما مدى ارضية هذا العمل والكلام في داخلنا؟ وهذا هو المهم، إذن علاقة الرسول (عليه السلام و البركات) مع ذات الله الرحمن كان عن طريق سورة (العلق) ولم تكن عن طريق سورة (الفاتحة) وسورة(البقرة)، نعم فمن البديهي عندنا بان سورة البقرة ينشأ الإيمان ولكنه جزئي، لأنه فعلاً يتطلب انشاء ارضية للإيمان، و فقط يجب انشاءه عن طريق سورة(العلق) ولا يوجد طريقة أخرى.

ولذلك اعيد وكرر لعدة مرات بأن الله الرحمن كان الأحكم والأعلم، فان سورة(البقرة) كانت موجوده عنده ايضاً وكذلك سورة(الأنعام وآل عمران) كانت موجوده عند الله الرحمن، ولكنه لم ينزل اي واحدة منهم، ونزل سورة (العلق) اول مرة، فالظاهر بأن العلاقة العمودية بين ذات الرسول (عليه السلام و البركات) والله الرحمن يجب ان تكون بهذه الطريقة فقط، فالرحمن كان الأعلم والأحكم لهذه الحالة.

أوجه الاختلاف بين المسلم والمؤمن؟

- **النقطة الثالثة:** كل منا يعلم بان حيوية القرآن باقية وتبقى الى أن يسحبها الله الرحمن مرة اخرى يوم القيامة، ومن لا يقتنع بهذا في داخله، فيجب عليه أن يراجع ايمانه في باب الأيمان بالقرآن، الأيمان بذات الله الرحمن يختلف عن الأيمان بالرسول (عليه السلام و البركات) ويختلف عن الأيمان بالكتب، ويرأسهم القرآن، فهذا القرآن هو نفس القرآن الذي به آمن الرسول، والى الآن ولا يزال هو نفس القرآن والذي به نشأ جمع الصحابة الكرام.

حسناً فمن منا من الموجودين لا يختم القرآن من سورة(الفاتحة) الى سورة(الناس) مرتين أو ثلاث مرات في السنة؟ اغلب الناس كذلك، حسناً فلماذا لا ينشأ فينا ١٠% مما نشأ في مصعب؟ علماً يحتمل أن نختم القرآن مرة في كل ستة اشهر، وذلك لأن الأرضية لهذا القرآن غير موجودة في دواخلنا بمفهوم كلمة التنزيل كما ذكرنا سابقاً، لكي يتم تشرب القلب بهذه المفاهيم رويداً رويداً.

فإذا تمكن من أخذه وتفعيله خطوة بخطوة ارتقى الى المراتب العليا التي وضعه الله الرحمن له، كما حدثنا الرسول (عليه السلام و البركات): (الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً)(أَبِي هُرَيْرَةَ)، فالواضح بأن للإيمان درجات، (فالأسلام شيء وبأن تكون مسلم شيء آخر والأيمان غير المؤمن)، قد فرق الله الرحمن بين الأثنين، فالشخص يصبح مسلماً بالأركان الخمس فهو من الأسلام ولكنه لم يصبح مؤمناً، فالأيمان موضوع آخر وقضية أخرى.

فالأيمان له طرق أخرى للنشوء، وكذلك له وسائله الخاصة للنشوء، وإذا لم اتجاهل لعلمت فعلاً مدى الأيمان الذي في داخلي؟ لأن القرآن يذكر الأيمان كحقيقة، ويذكر اعراضه في داخل الإنسان، ويذكر علامات نشوء الأيمان. كالإنسان المريض تظهر عليه اعراض المرض، فيعرض مرضه على الطبيب عند مراجعته له، فالإيمان المنشأ بالقرآن له اعراضه، وله

علاماته، واعراضه كلها مادية. اتي هذا القرآن للانسان الذي يعيش في واقع معين وذو بعد حقيقي، ويجب ان يكون لهذا القرآن اعراض مادية على هذا الذات، وإلا فأننا حينها نعيش في عالم الخيال، عالم غير حقيقي وغير واقعي، كاحساس الإنسان باللذة عند تناوله الطعام، علماً أن اللذة لا تترى، كما تستنشق الهواء من حيث لا تراها، وكذلك الإيمان يجب ان يكون له حقيقة محسوسة.

ادعاء غير سليم

- **النقطة الرابعة:** إذا لم يتم نشوء الإيمان في داخل الإنسان بنفس الوسائل فسيكون كل ما تبقى مزاعم وادعاءات، ومن دون مجاملة هذه هي الحقائق، فقد تكون هذه الحقيقة قاسية و مؤذية، ولكنها الحقيقة، فإذا جاء وجمال استاذ المدرسة الأعدادية طالبه الضعيف في مادة درسه، فسيكون ذلك على حساب الطالبة لا الأستاذ، فسيرسب الطالبة ولن يقلل ذلك من راتب الأستاذ.

من الضروري ان نعرفها كحقيقة ولا نجامل مع ذات الله الرحمن، إذ سمي (سيد قطب) رحمة الله عليه جمع الرعيل الأول بالجيل القرآني الفريد، وهم قابلين للتكرار والأعادة، لذلك علينا معرفة كيفية نشوءهم لأعادة هذا الجمع بنفس المنوال ونفس الطريقة.

للإيمان درجات

- **النقطة الخامسة:** صدقوني لو لم نتسابق نحن و نتنافس لإيجاد وتكوين هذا النوع من الإيمان، وإذا لم نجعلها جسراً بيننا وبين الله الرحمن، ولم نصل الى الله بذلك الإيمان الحقيقي فأن هناك غيرنا من العباد سيفعلون ذلك، لأن الله الرحمن اعطى وعوداً: (يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ) (سورة محمد ٣٨)،

وحتماً الذي يختارهم لهذه الحالة هم اكرم منا، فحتماً مثلهم وحالاتهم تختلف عنا (تُمْ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ) (سورة محمد ٣٨)، هم لا يكونوا مثلنا، ولذلك ترى فينا جملة من النقصان مع كل الصلوات والطاعات ومدارسة الكتب وكل المحاضرات والمؤتمرات والتلفاز والأعلام والجرائد و... الخ، ومع وجود كل هذا ولكن تصوروا ايمان عشرة منا لا يقابل ايمان اصغر صحابي رضى عنه الرسول (عليه السلام و البركات) عند وفاته، فإذا وضعنا ايمان عشرة منا على كفة ميزان و ايمان نفر واحد توفى و الرسول (عليه السلام و البركات) راضي عنه في الكفة الأخرى، صدقوني بأنه سيرجح كفة ايمانه، وهذا كله حديث واقعي.

فهذا الأيمان هو من ينقل الإنسان الى الآخرة، وبواسطته ايضاً يتم تقبل اعماله، فأبو بكر كان يصلي ومعاذ يصلي، ونفس هذان الذاتان كانا يصليان وراء الرسول (عليه السلام و البركات)، ولكن صلاة ابو بكر كان اعلى مرتبة من صلاة معاذ بكثير، حيث كان الأثنان صحابيان.

على من توجب التكاليف؟

- **النقطة السادسة:** من الواضح أن داخل الإنسان يتحكم في حالة العبادات، فكلنا يصوم وبنفس ساعات الصيام وكلنا يبدأ الصيام بنفس الساعة وكلنا يفطر صيامه في نفس الساعة في اربيل، فهل هناك تفاوت في درجات الصيام وقبولها عند الله الرحمن؟ حتماً هناك تفاوت، حسناً فبأي شيء ينشأ هذا التفاوت؟ زمن احدهم أكثر من الآخر؟ كلا، فالأصل هو داخل الإنسان، وداخل الإنسان هو ذلك الأيمان، فالركعات الأربع التي نؤديها هنا هي نفس الركعات الأربع التي كان يؤديها الصحابة، لم يزيدوا على هذا، ولم نقلل نحن عنهم، وقس بين صلاتنا وصلاتهم وهلم جراً، فأصل الفرق بيننا هو بان نحن مسلمين واسلاميين وهم كانوا مؤمنين.

ولذلك فمن بداية سورة (البقرة) لا يكلف الله الرحمن المقابل ولا يطلب منه ب(افعل) الى ان ينشأ (يا أيها الذين آمنوا)، وكذلك هو كل القرآن، ولا يوجد للمسلم تكليف واحد في القرآن، فلا يوجد تكليف بيا أيها المسلم صلي، يا أيها المسلم زكي، يا أيها المسلم صم، يا أيها المسلم حج، فكله يا أيها المؤمن.

إذن أصل القضية هو الأيمان، فلا فائدة حتى يتم إيجاد هذا الأيمان وما تبقى هو من المجاملات، ويبدأ الله الرحمن النهي بالإيمان ايضاً، (قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَعْضُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ) (وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ) (النور. ٣٠) فكل النهي يبدأ بآمنوا(يا أيها الذين آمنوا).

ولذلك كلنا نعلم ان هناك الكثير في حياتنا ومن المحتمل ان لا يكون له اتجاهات اسلامية وحتى لم يعرف الله، ولكن جاءته الفرص للسرقة لعشرات المرات ولكنه لم يسرق، وهو ليس بمؤمن، وجاءته الفرص للغدر والغش والخيانة ولكنه لم يفعل، جاءته الفرصة للفاحشة ولكنه لم يفعل، ليس فقط لأنه لا يملك الأيمان فعلاً، ولكنه يعتبر هذه الحالة سفاهة ودناءة، فهو لا يُقَدِّم على فعل الأثم لأن البعد البشري قويٌّ عنده.

فعدم قبولنا على فعل الأثم لا يدل على ايماننا الفعلي، فعدم رفع اعيننا للنظر الى اللافتة الموجودة في اعلى السينما والذي هو فعلاً من الاثم ليس بدليل على ايماننا، وذلك هو عدم اشتهاؤ الانسان للشيء اصلاً، لا يشتهيهِ بتاتاً وانما هناك كرهٌ في داخله باتجاهه، حُبُّ اليكُمُ الأيمان (حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ) (الحجرات ٧)، فقس على ذلك الذنوب الأخرى.

امثلة مجسدة من السور المكية

كانت هذه مجرد مقدمة، احببنا في درس اليوم ان نسمع ان شاء الله الرحمن اقتراحاتكم وتوجهاتكم، من نصائح وتعليقات وحتى إن كان رفضاً، فمن لديه بديلاً صحيحاً؟ صدقوني ان شاء الله الرحمن اقبل ذلك ومستعد لأخذه، فالذي نظرته هنا ليس بوحى انزل عليّ لأعلمه عليكم، كلا فانا قد قرأت وبحثت المادة مثلكم، فمن كان لديه اصح من هذا فانا مستعد للأخذ به ولكن يثبت لي صحته.

عندي سؤال، هذا هو اللقاء الحادي عشر فأحب وبدون مجاملة وبلا تكليف ان يرفع يده من استوعب المادة المطروحة واستفاد منه، لا بأس للنقد من استفاد منه وارتاح به وفهمه واستوعبه فقط المهم انه استفاد منه، كما هو ظاهر فأن أكثرية الحاضرين قد رفعوا ايديهم، اتمنى ان يقبل الله الرحمن منهم ويوفهم ان شاء الله، وانا ايضاً بسببهم ان شاء الله، احب وبصراحة ان يكون بيننا حوار مفتوح ان شاء الله.

١- مدى فائدة المواد المطروحة هنا؟

٢- تحدثنا عن القراءة طويلاً وتفصيلاً فهل من متابع لهذا الموضوع؟

٣- وإذا كان احدهم قد تابع القراءة فهل استفاد منه فعلاً؟

٤- وإذا كان قد استفاد منه فما هي اعراض تلك الاستفادة؟

لكي نستمتع اليه فعلاً ونقول هذا هو النموذج الفعلي لذلك، فالذي نتحدث عنه هنا ليست بنظريات ولا بخيال، ليست مثاليات تطبق في السماء وعلى القمر، الظاهر بانه قد تم تطبيقه على هذا الأرض ويمكن تطبيقه.

على الأقل من طبق القراءة، فهل هناك من فعله؟ نعم، حضرتك قمت بذلك؟ بنفس الأسلوب الذي ذكرناه هنا؟ (الشخص) نعم، هل كان أحساسك سلباً ام ايجابياً؟ نعم كان ايجابياً، بارك الله الرحمن فيك وجزاك خيراً، وهذا ما نأمله ان شاء الله الرحمن.

بالطبع ما تحدثنا عنه الى يومنا هذا لم يكن من باب الزهد ولا من التصوف، فلا تتصوروا! بأن لدينا الطرق والتشيخ ومن هذا القبيل، لا بعون الله الرحمن ليس لدينا شيء من هذا القبيل، مع بالغ احترامي للجميع، هداانا الله الرحمن.

من عنده تعليق على هذا الموضوع؟

يسأل اخونا هذا فيقول: عندما اقرأ ليلاً يتكرر في دماغي نفس الصور ونفس المواضيع والنماذج، ذلك صحيح ونحن معه.

فإذا قام احدكم بمدارسة السور المكية حسب ترتيب النزول فان الله الرحمن سينشأ له نماذج وبوضوح شديد، يقول الرحمن: (فليُنظَرِ) (عبس ٢٤)

فيحضر له نماذج من ذاته فيبدأ بتقطيعها خلية خلية ويحضرها امام عينيه ويقراء وكذلك للمخلوقات، (فَلْيُنظَرِ الْإِنْسَانَ) (عبس ٢٤)، (أَفَلَا يَنْظُرُونَ) (الغاشية ١٧)، وكله هو ذلك النظر الذي ينظر به فينشأ البصر ويلتقطه فيحواله الى الداخل ليكون القراءة عليه.

وما عدا هذا اخي العزيز فاننا نواجه اكبر ضربة من ما يسمى بالحضارة المدنية، فلقد تم قطعنا عن مخلوقات الله الرحمن بطريقة خفية واسلوب ماكر، فتكونت في دواخلنا حالة تسمى بالألفة في اللغة العربية، ولقد ذكر في اغلب المقالات: (بأن هذا المجتمع يتعود على السوء بشكل سريع ولا يستوعب الحسن بشكل سريع، وهذا من ضمن طبيعته)، وهذا ما نتحدث عنه كتب التاريخ القديم والحاضر، وهذا من صفاتنا جميعاً.

كيف يقرأ الإنسان؟

وفي نفس الوقت استطاع الغرب (حاشا الحاضرين) ان يكون نوعاً من السطحية والبلاهة لأعيننا واذاننا، لتكون حالة عادية ومألوفة، وهذه المألوفية تعمل على قطع طاقة الأستيعاب والتفعيل لجهازي السمع والبصر، فيصبح وكأنه ميت.

ولكن اذا عدنا الى جمع الذين آمنوا مع رسول الله (عليه السلام و البركات) ألم يَمروا بنفس الحالات؟ في الأجابة: كانوا قرييين من هذا ويشبهونه ولكن ليس بهذا العمق والكثافة والدرجة، فاكثر الصحابة كانوا يسافرون قبل اسلامهم مستعينين بالنجوم في سفرهم: (لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ * إِيْلَافِهِمْ) (قریش ٢١)، فكانوا يرحلون ويرتحلون في منطقة جزيرة العرب، فلقد كانت منطقة تجارية، وتحدثنا في دروس السيرة انه بسبب موقع مكة انشغل العرب بالرحيل والترحال وبالبيع والشراء، ولأن وسائل التنقل كانت صعبة فلم تكن السيارات والباصات والطائرات موجودة آن ذاك فكان عليهم السفر بالجمال لمدة ستة اشهر من مكة الى الشام وثلاثة اشهر من مكة الى اليمن، فكانوا في الصحراء لمدة ستة اشهر كاملات، وكان غالب سيرهم في الليل، ولهذا فلقد كانوا اعلم الناس بالنجوم وبواسطة النجوم كانوا يعلمون مواقعهم ويعرفون المكان، ولهذا ما كانوا ليتوهوا في تلك الصحراء الكبيرة وهم لا يملكون الخرائط والبوصلات، ومع ذلك فان الله الرحمن عندما يخاطب الأعرابي يقول له: (وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى) (النجم ١) يحدثه عن النجم، وأي نجم؟ النجم الذي بواسطته يثبت الأعرابي موقعه الجغرافي والذي يعرف مئة بالمئة ومليون بالمئة بان هذا النجم لا يتحرك من موقعه سنتماً واحداً وإلا فإنه سيئته الأعرابي عن موقعه الجغرافي، فيحضر الله الرحمن النجم امام عينيه (وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى)، وترى الشمس اكثر وضوحاً وانكشافاً في الصحراء مما هنا، وفي الصيف خاصةً يكون للشمس أثر كبير جداً وقوي على الأنسان في الصحراء، فيذكر الله الرحمن له الشمس، لماذا؟ لكي يجلب نظر المألوفية والسطحية والسذاجة الموجودة في طبيعة الحياة بعقل طري وارضية طازجة الى الشمس،

و بنفس الطراوة ينظر الى القمر والى النجوم والى نفسه، وينظر الى الطعام وينظر الى النار والجبال والى الأرض، وكل أولئك سور يذكرهم الله الرحمن في السور المكية، وكلكم يعلم بانه لو تم اعادة مجسمية كل ذلك فإن القراءة يأخذ مأخذه، وإذا تم التصوير على هذا النحو فسيتم تثبيت القراءة، وعلماً بأن القراءة لا يثمر بالشهر والشهرين، فداخل الإنسان يتطلب وقت طويل ليزول من دماغه كلمة طبيعي وعادي، ليحس أن كل ماتراه عيناه مخلوق وكل ما يسمعه اذناه يحس به كمخلوق، وكل موجود هو مخلوق ما عدا الله الرحمن، ويصبح هذا في داخله حالة طبيعية وعادية الى ان يصبح هذا خلقه، وهذا بحاجة الى شيئين:

1- الجهد.

2- الزمن.

قراءة المخلوقات تكون الخلق والأدب

وبالطبع القراءة يتطلب جهداً لكي يحس داخله فعلياً بحقيقة خالقية الله الرحمن، وهذا هو الأسم الأول، فينشأ الإنسان علاقته مع ذات الله الرحمن بأنه الخالق.

لماذا ليست لنا علاقة مع اديسون الذي اكتشف الكهرباء، وبشكل طبيعي فبالكهرباء نشغل الأضواء والمدفأة والمروحة والمبردة...ومن دون اشكال! فلماذا لم نتذكر اديسون ولا لمرة؟ لأن هو ليس بصاحب النعمة، الله الرحمن هو صاحب النعمة، ولكن هل نكون بهذه الدرجة من التغافل مع الله الرحمن؟ هذا التغافل هو تنقيص من حق الله الرحمن، إذن اصبحت هذه الحالة في داخلنا حالة عادية ويجب ان نزيلها، وعلى سبيل المثال: لماذا يجلب انظارنا سيارة جديدة في الشارع من موديل سوبر؟ لأنه شيء جديد وفيه بعض التغييرات، علماً بأن

أطاراته هي نفس الأطارات القديمة ونفس المصاييح ونفس المقود والسقف هو كالقديم، فما الذي يجلب نظرنا؟ من المحتمل ان يكون اللون او بعض الأكسسوارات، و(بلا تشبيهه) والله المثل الأعلى، ولهذا يقدم الله الرحمن كل هذه النماذج في جميع السور المكية، كل على حدة لكي يقرأه الإنسان فعلياً، وعندما يقرأ فأن قراءته للمخلوقات تصبح عنده خُلُقاً.

(إقرأ باسم ربك الذي خلق) فيكررها ويعيدها مراراً حتى تصبح في داخله خُلُقاً، وعندها فعلاً يحس الإنسان بأثر القراءة، بأن الله الرحمن خلق له قدمين، ويمشي بهما، وهكذا هو كعب قدمه، واصابع قدمه، و يرفع قدمه ويضعها بهذه الطريقة، فكل ذلك قراءة، حسناً فمن الذي علمه ذلك؟ فيتذكر به الله الرحمن، وعندما يأكل الطعام ويشرب الماء، من فعل كذا وكذا وبهذا النوع، فكل ذلك يذكره بالله الرحمن، وهذه هي القراءة، ولذلك فهو اثناء سيره يذكر الله الرحمن، وعند تناوله للطعام يذكر الله الرحمن، وفي منامه يذكر الله الرحمن، في كل امور حياته يذكر الله الرحمن، والقراءة هذه تصبح عنده خُلُقاً وباستمرار.

استراحة للتفكير

احد الأخوة طلب آيات القراءة، كل السور المكية والمدنية كلها تتحدث عن القراءة، كل القرآن يتحدث عن القراءة، ففي أي بعد وأي فعل الذي ينهي الله به آية او ينهي الآية بأسم فهذا دليل على نشوء ارتباط بين ذات الله الرحمن وذلك العبد، وهذه الحالة مطلوبة من الإنسان المؤمن ليصل الى هذا السقف، نعم القرآن كله يتحدث عن القراءة، ويتحدث عن (التفكير) وعن (التدبر) و(التذكر)، الحديث عن (الذكر) و(التسبيح) حتى ينشأ (السجود) في داخلهم، وطريقة القراءة ذكرناه في الدرس الثالث والرابع، ويستفاد منه عند مراجعته ان شاء الله.

احد الأخوة تحدث عن مشيه وماذا ينشأ في داخله عند رؤيته للجبال، وهذه هي حالة الذكر، وفي بداية نشوء هذه الحالة مع الله الرحمن لا يتم تشخيصها، ومن ثم يحس المقابل بأنه أنشأ علاقة مع الله الرحمن وهو يذكر الله، والذكر يعني تفكر الله (وَإِذْ ذُكِّرُوا بِكَ إِذَا نَسِيتَ) (الكهف ٢٤)، الذكر هو تفكر في الله.

ولكن صراحةً لأن صور القراءة هنا قليلة او مألوفة، فبرأيي ولو مرة خلال اسبوعين على أى انسان ان يذهب ١٠ كيلومتر خارج اربيل ليكون بتماس مباشر مع مخلوقات الله الرحمن، مع السماء الصافية والأراضي المسطحة ومع المرتفعات، ويمكن ان تذهب بالدراجة في الاسبوعين والثلاث اسابيع مرة، تجلس الساعة والساعتين تفكر لوحدك، تجلس لتتأمل الى مخلوقات الله الرحمن العجيبة، وللألوان وانواعها، فيندهش الإنسان وحين إذن يعلم من هو الله الرحمن.

ويعني ذلك بأننا فعلاً مغدورين، لأن الكفر استطاع استغلال حالتنا ووضعنا في هذا الحال، ولكن يجب ان نعالج انفسنا، وننشأ لأنفسنا مصادر الذكر ومصادر للقراءة، قبل مدة دعاني احد الأخوة ليريني أسماكه الصغيرة، المسمى بأسماك الزينة، فسألته: هل تكبر احجام هذه الأسماك؟ فقال لا، وعند عودتي الى البيت كنت اتفكر، حسناً فلماذا خلقهم الله؟ فهم لا يؤكلون! وماذا عن الفراشات! وهناك الملايين من المخلوقات، ماذا عن النمل! قف عند قرية النمل فهي مملكة عجيبة!

ويعني هذا نحن نقوم بحصر وسائل وصور القراءة لأنفسنا، انظر الى القمر! وكيف يذكره الله الرحمن في القرآن، وقراءة كل اولئك ينشأ الذكر، في كل الأوقات يكون هذا الإنسان مع الله، في كل وقت ولا ينقطع عنه، ولذلك كان الرسول (عليه السلام و البركات) ذاكراً، قلبه ذاكراً حتى في نومه، ومن يعلم قد كان الصحابة في هذا المستوى ايضاً؟

أتاني أحد الأخوة ذلك اليوم وهو يقرأ بهذا النوع واخبرني، بأنه يستيقظ من النوم فيرى نفسه ذاكرةً، هو في ذكر مستمر، ذاكر وهو نائم، وليس كذكر المتصوفين لا، ذكر حقيقي يحس بوجود الله الرحمن، يحس برقابة الله، يحس بسمعية وبصيرية الله الرحمن، يحس بربوبية الله وقرب الله الرحمن، وهذا ذكر حقيقي، جعله الله من نصيبنا.

سؤال: هل هناك احاديث تتحدث عن كيفية قراءة الرسول (عليه السلام و البركات)؟
ذكرت لنا عائشة (رضي الله عنها) بأن الرسول (عليه السلام و البركات) كان ذاكرةً ويتفكر ويقرأ قبل نزول الوحي، وهذا موجود في روايات البخاري ومسلم فتقول الرواية: (كان يتحنث ليالي ذواتي العدد).

نأتي على مفهوم كلمة التحنث، الرسول (عليه السلام و البركات) لا يصلي لأنه لم يؤمر بالصلاة بعد ولم ينزل عليه الوحي، لا يصوم ولا يقوم الليل بالتهجد (وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ) (الاسراء ٩٧)، لم يكن كل ذلك موجوداً حسناً فماذا كان يفعل في تلك الصحراء والمكان المرتفع؟ اليس كذلك؟ ماذا كان يفعل الرسول (عليه السلام و البركات)؟ هل كان ينام هناك؟ كلا فالبيت افضل للنوم و أكثر راحةً، ماذا كان يفعل في كل ذلك الوقت؟ وهذا جواب التحنث: فإذا فعل الرسول (عليه السلام و البركات) ذلك فلماذا لا نفعله نحن؟

الرسول كان يعمل على اعداد داخله بأسم كلمة الأصطفاء كما ورد في سورة آل عمران (إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ) (آل عمران ٣٣) ورسول الله (عليه السلام و البركات) من آل ابراهيم، والله الرحمن يريد بعض هذه الشخصيات لتفعيلهم، وذوات ودواخل هذه الشخصيات يجب ان يكون بالنوع الذي يريده الله الرحمن.

على سبيل المثال " الكلية العسكرية، يجب ان يملك الشخص الذي يقدم للكلية العسكرية جملة من المواصفات، بأن تكون شهادته كذا، ولياقته كذا، طوله

وعرضه كذا، فيمتحنونه بالركض وبمجموعة من الأختبارات التي تطبق عليه في سبيل القبول في هذه الكلية، ويجب ان يكون لياقته البدنية وكفائته العقلية والعلمية في مستوى الكلية ليتم القبول فيها، ويتم تدريبه لمدة ثلاث سنوات وهذا هو الأصطفاء، لكي يكون فعلاً في مستوى وضع النجمة على كتفيه. وبلا تشبيه (ولله المثل الأعلى) يتم اصطفاء الأنبياء والرسل على هذه الشاكلة، فإذا كان سيدنا موسى مؤمناً قبل نزول الوحي عليه، وسيدنا عيسى كان مؤمناً اصلاً وهو بطن امه، فرسولنا (عليه السلام و البركات) على الأقل يكون مثلهم، حسناً فكيف يكون كذلك؟ يجب ان يتم اعداده، بأي شيء يتم اعداده؟

فالرسول (عليه السلام و البركات) قبل فترة النبوة يجب ان يملك من المستمسكات الموجودة في داخله التي تؤهل اوراق اعتماده للقبول من قبل الله الرحمن كرسول وخاتم، ولذلك فقبل ان تاتيه النبوة كان الرسول (عليه السلام و البركات) قد قرأ، بمفهوم كلمة التحنث، وسبب خروجه من مكة كان لعدم استطاعته استيعاب واقع حاله، وبكل قناعاتي اقول لو تأخر نزول الوحي على الرسول (عليه السلام و البركات) لمدة ستة اشهر، لتأثرت نفسيته، فمن كثرة القراءة وصلت الحالة الداخلية للرسول (عليه السلام و البركات) الى مستوى لا يمكنه بعد ذلك من استيعاب طبيعة وضعه، فلا بد من التغيير لوجود مليون سؤال عنده بلا جواب.

فكان ذلك عند الرسول (عليه السلام و البركات) قياماً وليس بصلاة تهجد.

ذكرنا في دروس السيرة بأن الرسول (عليه السلام و البركات) رعى الأغنام، فمنذ طفولته تم تدريبه (عليه السلام و البركات) واعداده، فمثلاً" كان يوجه انتباهه الى الحيوانات وعدم شربها للبول، فهي تشرب الماء فقط، ولا تشرب الماء إذا لم يكن في مستوى من النظافة، ولا يأكل هذا الحيوان مخلفاته، ويأكل نوع معين من النباتات، وهذا كله تدريب لداخل الرسول (عليه السلام و البركات)، لكي فعلاً يكشف

الرسول بفطرته فطرة هذا الحيوان، وليعلم بأن لأكل وشرب هذا الحيوان برنامج خاص وهو ليس بعفوي.

إذن هناك حاكم يتحكم بكل الأحداث وهو الله الرحمن، وكل هذا تدريب واعداد، الى ان يصل الى المستوى الذي فيه يترك المادة، الرسول (عليه السلام و البركات) كان يذهب الى الغار لكي يصل فعلاً الى النتائج، ومن ثم يعترف به (عليه السلام و البركات) فيأخذ منه اوراق اعتماد النبوة.

ذكرنا احتضان جبريل للرسول في بداية دروس الأيمان والفطرة، الواردة في الروايات الأربع (فأخذني وغطني) وفي رواية يقول فغتنني بالناء وبالطاء، وكيف احتضنه جبريل، فأى نوع من العملية تجرى على داخل الرسول بهذا الاحتضان، لأنه كما تعلمون ان جبريل مخلوق وهو رسول ولا يفعل شيء بدون سبب، وكذلك الرسول لا يطراً له شيء بدون سبب، يحتضن جبريل الرسول مادة (جسد بجسد) ويحس الرسول (عليه السلام و البركات) بالضغط، وكل اقوال الرسول صدق، كل كلماته صدق منذ صغره الى وفاته، فيشخص حالته ويقول (فخشيت أنه الموت) ففعلاً خاف ان يموت، لا ان يغمى عليه وتتكسر اضلاع صدره، فمن شدة الضغط على اضلاعه عند الاحتضان خشي على نفسه من الموت، حسنا لماذا جبريل يفعل ذلك؟ ذكرنا في الدروس السابقة بانه لولم يتكون الأرضية في داخل الرسول (عليه السلام و البركات)، قلنا وبلا تشبيهه كالمطار لتهبط عليه الطائرة، فحتماً انتقل شيء ما من بدن جبريل الى بدن الرسول (عليه السلام و البركات)، الله أعلم ماذا كان ذلك؟ وكان ذلك ليتمكن الرسول من استيعاب الوحي بالكامل في مستوى ارادة الله الرحمن.

إذن الأرضية ليست موجودة فقط في داخل الرسول، فهي موجودة في داخل كل المخلوقات، وسماه بالفطرة (فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ) (الروم ٣٠)، إذن الرسول كان مستمر في القراءة حتى بعد

الوحي، لأن (قم الليل) كانت ثالث سورة ولم ينزل عليه أية آية بعد، كان يعد ل(إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا) (المزمل ٥)، فسيلقى عليه في المستقبل قول ثقيل. إذن هذا كان القيام ولم يفرض عليه صلاة التهجد بعد، فماذا كان يفعل الرسول (عليه السلام و البركات) في قيام الليل الطويل؟ وليالي الجزيرة العربية عشر ساعات، ومن ثم يثبت الله الرحمن قيامه (إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثِي اللَّيْلِ) (المزمل ٢٠) فهذا ما كان يفعله الرسول.

كيف نتعرف على الله الرحمن؟

بالنسبة لكلمة الإيمان قلنا كان للرسول (عليه السلام و البركات) فطرة، فإذا كان للانبياء ايماناً بهذا النوع فحتماً هو ايضاً كان يملك الأرضية، ولكن لم يكن نوع ايمان الرسول ذلك الإيمان الذي يريده الله الرحمن في القرآن، فلقد كان في داخله ايماناً فطرياً، وايماناً نوعياً، ولكن لم يكن في مستوى ارادة الله الرحمن، فيجب انشاء هذا النوع من الإيمان عن طريق القراءة وتسلسل نزول القرآن:

اولاً: القراءة بعد الوحي كان مبرمجاً ومنهجياً وليس بعفوي.

ثانياً: تم اعداده وفق خريطة وارادة الله الرحمن، وبعد القراءة اصبح وفق خريطة الله الرحمن، حيث أمره القرآن ب(اقرأ) فقرأ، ان مادة القراءة وزمنه محدد، فالمخلوقات كانت مادة القراءة، وزمنه الليل.

ثالثاً: ولأن الله الرحمن هو (ربه) فهو المتحكم على نتائج حالة القراءة، واما فينا نحن فلم اسمع حتى الآن احداً قرأ بهذه الطريقة فعلاً ووصل الى شيء. وانما في عرف مجتمعنا وجد التصوف، كأن يذهب احدهم الى المشايخ، فيقول له الشيخ ردد (لا اله الا الله) مليون مرة، ويعطيه مسبحة طويلة يسمونه بالختم، ورأس هذا المسكين مليء بجملته من المفاهيم الدينية القديمة.

ومن احد هذه المفاهيم علاقة الأنسان مع الجن، فيعتقد بان الجن والعفاريت يفعلون كذا وكذا ويهددون بايديهم والخ، فصديقنا الذي يذهب و يردد مليون مرة (لا اله الا الله) الله الرحمن قال ذلك ولا الرسول، فهو لم يفعله وفق منهج الله الرحمن، وعندما يردد (لا اله الا الله) فهو مشغول مع ذات الله علماً هو لم يعرفه اصلاً عن طريق مخلوقاته.

يسأل سؤال: كيف يعرف الله الرحمن؟ ولماذا خلق الله الرحمن كل هذه المخلوقات، وهو لم يعرف الله عن طريق هذه المخلوقات، هو يريد ان ينقطع عن المخلوقات ويقفز ليصل الى ذات الله الرحمن، وهذه الطريقة غير صحيحة وغير ناضجة، ولهذا فان عقله لا يستوعب هذه الحالة.

فقط القراءة ينشأ الإيمان الحقيقي

اعزائي القراءة، قراءة المخلوقات، وكل آيات القرآن تؤكد ذلك.

على سبيل المثال: فالعلم الذي تحدثنا عنه انتم قرأتم عنه كتب كثيرة بالطبع، من الآيات التي يذكرها القرآن ويؤكد عليه علماء الغرب، (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ) (فاطر ٢٨) فالعالم مكثر من قراءة مخلوقات الله، ففي الفترة الأخيرة جرى استجواب علماء غربيين وخاصة الألمانين، فقناعتهم تَنَحَّت عن دين المسيحية، ويقولون بأن الله الذي يعرفونه الآن عن طريق قراءتهم العلمية ليس بالله الذي عرفوه من قبل وهو ليس بعيسى، ويجب ان يكون الله فوق عيسى، ولا يمكن ان يكون له ولد، ولا زوجة فلا يمكن. لا يمكن...الخ.

ويتبين لهم عن طريق القراءة وهم مسيحيون، وحالياً يوجد هذا الاتجاه في اوربا والغرب، الكثير من العلماء وكلهم اصحاب اختصاص واكاديميين وكلهم عمالقة، قناعاتهم هو عدم وجود ابن لله، وذلك عن طريق القراءة، ويجب ان يكون الله الرحمن هو الخالق وعلى هذا النحو، عن طريق القراءة، ولم تصلهم أي كُتُب،

وذلك لأن القراءة هو سبب الأيمان في داخل الإنسان اصلاً، ففي الفطرة موجود من يقرأ يصل.

في احدي الروايات هناك حديث عن جبريل وانه اتى بكتاب داخل ديباج، والديباج قماش سميك، كالمخمل (القطيفة) وكان هذا الكتاب فيه، علماً لم يمنح العلماء أية اعتباراً لهذا الحديث، فبينما كان الرسول (عليه السلام و البركات) جالساً في حاله، فجأة ظهر أمام عينيه رجل، ومن دون ان يصدر أي صوت، علماً بأن الجبل يصدر أصوات لطرقعة الأقدام عند التسلق، لم يكن الرسول (عليه السلام و البركات) مستعد نفسياً لأستقبال ضيف، وكان الرسول (عليه السلام و البركات) مشغولاً بحاله، فرفع عينيه فجأة ووجد رجلاً امامه، رجلاً على هيئة بشر، شفاف وليس ببشر، ما كان ليبقى على احد اثر البشرية لو لم يكن ذلك رسول (عليه السلام و البركات).

ويعني هذا أن الرسول قد استوعب وجود هذا الذات، فظهر امام عينيه فجأة وبلا سلام أو كلام وبدون أية مقدمات، وهو في حالة من التفكير والتصور العميق، فيؤمر مباشرة، بعد بسم الله (إقرأ)، والرسول (عليه السلام و البركات) يعرف نفسه بأنه لا يقرأ، لا يعرف القراءة، ولهذا فهو كرر ما موجود في فطرته وداخله وما يعلم الرسول (عليه السلام و البركات) (ما أنا بقاريء)، ومن الجيد ان الرسول تمكن من الأجابة ولو كنا نحن في موقفه ماذا كان يجري لنا؟

أحد الأخوة يسأل: لماذا خصص الرسول (عليه السلام و البركات) هذا المعنى للقراءة بالرغم من كثرة معانيه؟ نعم انا معك لم يقل له إقرأ هذا، فهذا في تصورنا نحن، فبعض العلماء يقولون يعني أن يردده معه، ولأصبح الحال على هذا النحو لو أخذنا مفهوم القراءة بهذه السطحية، لأن المقابل لم يكن يملك مستمسكاً بين يديه ليقدمه للرسول (عليه السلام و البركات)، كأن يملك قائمة فيقول له اقرأ هذا فيقول له والله انا لا اجيد القراءة.

حسناً فإذا لم يكن كذلك فلماذا يجيبه (ما أنا بقاريء)، علماً لو تم تلقين الرسول (عليه السلام و البركات) بالقراءة لكان عليه الأجابة مباشرة (ماذا اقرأ)، هو لا يعرف القراءة ولم يضع كتاباً بين يديه، فعليه ان يقول: (ماذا أقرأ؟)، فيقول له شفويّاً (اقرأ كذا)، فيقول له: قرأت، ولكنه لم يفعل ذلك، ماذا يعني (ما أنا بقاريء)؟ وكان الذي يطلبه جبريل يفهمه الرسول، ولكن الحالة البشرية مازال مسيطراً على الرسول (عليه السلام و البركات)، ويعني ان هناك زمن معين بين الوحي والحالة البشرية للرسول، وبهذا يكشف الرسول (عليه السلام و البركات)

حقيقة وواقعية داخله لجبريل بقوله: (ما أنا بقاريء)، والقراءة موجودة في دماغ جبريل من الوحي وغير موجود في دماغ الرسول (عليه السلام و البركات)، ومن ثم عندما (فأخذني فغطني) تم استيعاب مقصود الوحي في داخل الرسول، ومن ثم يقول: (ماذا أقرأ)؟ وعلماً إذا جاء ولم يكن للرسول القدرة على القراءة، فانه (حاشا) الرسول (عليه السلام و البركات) كان سيكون كالرجل الأعمى الذي يتعلم القرآن بالتلقين، فكان باستطاعة الرسول من تعلم القرآن بالتلقين، وهذه العملية تسمى بالتلقين، علماً بأن كلمة الوحي والقراءة غير كلمة التلقين، فالشريط الذي في داخل المسجل هو تلقين، لو اعيد تشغيله لـ ١٠ أو ١٥ مرة لكنك حفظته انا أيضاً، ولكن ليس شرطاً أن أعرف محتوى المادة، وعلى سبيل المثال: فإذا كان الرسول (عليه السلام و البركات) بتصورنا قد تم تلقينه من قبل جبريل غير الوحي، فكان باستطاعة الرسول (عليه السلام و البركات) ان يقول: اقرأ أنت وأنا اقرأ وراءك، ولكنه لم يقل ذلك، ولكنه أراد أن يفهم ما يقوله.

الجزء الثاني عشر

الركن الثاني من الإيمان (صيغة الإيمان باليوم الآخر)

ان شاء الله سنستمر في دروس كيفية أحياء الإيمان في داخل الإنسان،
واليوم نبحث في النتيجة الأساسية لمادتنا ألا وهو الإيمان باليوم الآخر،
سنحدث بتركيز عن صيغة الإيمان باليوم الآخر.

ارادة الله الرحمن

وكما تعلمون ان الله الرحمن لم ينزل القرآن بصورة عشوائية على الرسول (عليه السلام و البركات)، وانما نزل الله الرحمن القرآن حسب ترتيب النزول بحكمة وبأقتدار علمي، والذي اسماه العلماء بترتيب النزول، ولقد نزل بهذه الطريقة على الرسول (عليه السلام و البركات).

لأن الله الرحمن هو الأعم والأحكم بصيغة تنزيل القرآن، وله ارادة معينة في تنزيل القرآن بهذه الصيغة، ولهذا انزله بهذا الترتيب، وعلماً أن (سورة البقرة، وآل عمران، والفاحة) والسور الأخرى كلها كانت موجودة في القرآن عند الله الرحمن، والظاهر كانت هناك ارادة نوعية معينة فيه، ولهذا أنزل الله الرحمن (سورة العلق) ومن ثم (سورة قلم) ف (سورة المزمل) ف (المدثر)، بهذا التسلسل الى نهايته.

والظاهر بأن ارادة الله الرحمن يتحقق بهذه الطريقة، وكما تعلمون ان أصل ارادة الله الرحمن هي كيفية توثيق العلاقة بين الإنسان وبين ذاته، فهذا الارتباط و العلاقة مسماة في القرآن بالإيمان، إذن هذه افضل طريقة عند الله الرحمن لنشوء الإيمان في داخل قلب الرسول (عليه السلام و البركات) مع جمع الذين آمنوا معه، فهذه طريقة النشوء والمقياس والمعيار الى آخر انسان في الوجود.

تحدثنا عن كل ذلك بالتفصيل ولكن هذا مجرد تكرار له واعادة، في الأول كيفية سبك او تكوين كلمات القرآن وذلك بارادة الله الرحمن المعينة فيه، فكلمات القرآن في الجمل القرآنية ترتبط على هذه الشاكلة و بهذه الطريقة، ونزلت كذلك على هذه الشاكلة، على سبيل المثال "

اولاً: عند نزول الوحي على الرسول (عليه السلام و البركات) في البداية بدأ اول كلماته ب: (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ) (العلق ١).

وإذا أخذنا هذا المقطع، فيطلق على مجموعة هذه الكلمات في اللغة المعاصرة ليومنا هذا بهندسة الكلمات، فوضعت هذه الكلمات بهندسة وترتيب راقى، ووضعت بإرادة الله الرحمن، الإرادة النوعية.

إذن فإن هندسة هذه الكلمات وضعت بهذا النوع وبهذا النوع تم التعامل معه، فتتحقق حين إذن ارادة الله الرحمن.

وبالنسبة للكلمات فالأشخاص الذين يريدون ان ينشؤوا هذه الكلمات في دواخلهم، يستطيعون ذلك إذا قاموا فعلاً بمتابعة هذه الكلمات هندسياً، على سبيل المثال " يقول الرحمن: (اقرأ)، فبدأ الإنسان بالقراءة وليس المدارس، (بِاسْمِ رَبِّكَ) يأتي فيعرف ربه وفق القراءة، (الخالق) اسم هذا الرب (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ)، وكما ذكرنا في الدروس السابقة، وبهذا النوع يبدأ تحول (الفطرة) الجهاز الداخلي للإنسان فعلياً الى (الفؤاد)، ويتم القراءة عن طريق العين والأذن، وقلنا القراءة يتم عن طريق السمع والبصر، (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ) فهذه الكلمة ومجموع الكلمات فيهم من الهندسة النوعية.

هندسة كلمات القرآن والتعامل معها

النقطة الأولى: أخذ الإنسان المؤمن القرآن حسب ترتيب النزول، و لنتوجه الى الرسول (عليه السلام و البركات) فهو المثل والأسوة في هذا الموضوع، فأول سورة نزلت عليه كانت (سورة العلق) حيث نزلت عليه مجموعة من الكلمات (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ)، إذن فهذه المقاطع الهندسية انشأ الرسول (عليه السلام و البركات) علاقة صميمية بين داخله وبين الله الرحمن.

وعلماً لا يوجد (سورة المزل) في ذاكرة وذهن وكيان الرسول (عليه السلام و البركات) فلم يكن قد نزل عليه بعد، ولا يعرف الرسول (عليه السلام و البركات) ماذا

ينزل بعد (سورة العلق) فهل يأتي (القلم) أم (البقرة)؟، فلا يعلم الرسول، ولذلك فلنشوء أول بنيان لعلاقة ربوبية ربانية، في داخل الرسول (عليه السلام و البركات) كانت عن طريق سورة (العلق) (أَقْرَأَ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ)، ومن ثم بنية الكلمات في هذه السورة، (إِقْرَأْ) هي أول كلمة، (أَقْرَأَ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ) فلو رجعت الى الكلمات الخمس هذه من الوراء فسوف لن تنشأ نفس الحالة في داخل الأنسان، فلو رجعت اليها معكوسة فلن تنشأ نفس الحالة، فيجب ان يتم القراءة بهذا الترتيب فقط، (أَقْرَأَ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ).

إذن فصيغة هندسة كلمات الله الرحمن القرآنية داخل القرآن نزلت بارادة معينة، مثال للتقريب" أمرنا الله الرحمن بالصلاة في القرآن (أقيموا الصلاة)، و علمنا الرسول (عليه السلام و البركات) صيغة الصلاة من تكبيرة الأحرام، والقيام والركوع والسجود فالتحيات فالسلام.

فإذا جاء شخص وركع في صلاته قبل القيام وقبل الفاتحة، فصلاته باطلة باجماع الأمة وفي كل المذاهب، فلماذا؟ لأن صيغة تطبيق الصلاة لم تكن وفق حكمة الرسول (عليه السلام و البركات)، والذي اسميناه بالسنة، لأنه لم يطبقها بهذا النوع وإن كانت ارادته الداخلية اداء الصلاة، فصلاته غير مقبولة لأنها لم تكن وفق صلاة الرسول (عليه السلام و البركات)، إذن فهندسة المأمورات في الصلاة كانت بتكبيرة الأحرام اولاً، ومن ثم القيام فالركوع فالسجود وبعدها التحيات فالتسليم، فتأخير وتقديم في احد من هؤلاء سيدخل الخلل في صيغة العبادة.

فإن هذا الخلل يرفض العبادة وإن كانت نيته سليمة، ولقد أخذ الرسول (عليه السلام و البركات) كل هذا من القرآن، إذن يجب ان يتم تحقيق هندسة القرآن كله بالتحديد، فينجم الضرر عن كل تقديم أو تأخير.

لنعود الى مادتنا ونطبقها على صيغة نشوء الإيمان في داخل الأنسان، الإيمان بالله الرحمن اولاً، ومن ثم الإيمان باليوم الآخر، وليس هناك حديث عن

الملائكة بعد، ولا حتى عن الكتب ولا الرسل، ولم يتم الحديث عن القضاء والقدر، لماذا؟ الله الرحمن يعلم كيف خلق داخل هذا الإنسان، فهو الذي خلق مادته الأولية، حيث انه يعلم نوعية خلقه، فبعد الأيمان بذات الله الرحمن يجب ان ينشأ في داخل هذا الإنسان حاسة الأيمان باليوم الآخر بمفهوم الربوبية، وذلك لكي يكون الأيمان بذات الله الرحمن واليوم الآخر في المقدمة، وبهذا النوع فعلاً ينشأ أستقامة هذا الإنسان، فيتكون كما يريد الله الرحمن، وإن لم يكن بهذه الطريقة فأيمانه بالله الرحمن، وايمانه بالقرآن وكل الكتب والملائكة ليس كما يريد الله الرحمن.

ولهذا فنرى في انفسنا تلك النماذج، لنقول زيد هو النموذج، زيد نفر منا و يريد ان يؤمن، ونأتي نموذج آخر ك ابو بكر (رضي الله عنه)، وهو كان مؤمناً، وزيد فينا مؤمن، ابو بكر يقرأ القرآن وزيد ايضاً يقرأ القرآن، فانظر الى المنطلق الأول، وفي بدء الموضوع، فكيف تعامل ابو بكر مع القرآن، وكيف تعامل زيد مع القرآن، ومن هنا كان الأختلاف.

فأقصى تعامل زيد مع القرآن حتى وإن كان داعية او مسؤل في القمة، لكنه يتعامل مع القرآن وفق ارادته، لا وفق ارادة الله الرحمن، وماذا يعني هذا؟ يعني بان هواه معه، ويأتي ما يشتهي، وما يتأثر به، وما معجب به، ودائماً يقرأ هذه السور بالأكثرية، ودائماً يدور في فلك هذه المواضيع بالأكثرية، فمن كان ومهما كان مقامه، ولكن هل كان الرسول (عليه السلام و البركات) وابو بكر بهذا النوع؟ وفي الجواب نقول لا.

وكمثال فعند نزول سورة على الرسول (عليه السلام و البركات)، كانت تنزل عليه سورة (العلق)، ومن ثم سورة (القلم)، فلم يكن يتعامل مع سورة (القلم) إلى أن كان يفهم سورة (العلق) ويمتصه ويتعامل به ويحوّله الى واقعه، وهو المرتبة

الثانية للإيمان، وكذلك التعامل مع سورة (المزمل) وسورة (المدثر)، وبهذا الشكل نزل القرآن.

إذن فرعاية امتصاص القرآن، وأخذ القرآن (بلا تشبيهه) كتناول الطعام، فلا يمكن تحمل وتقبل الوجبة الثانية إلى أن يتم هضم طعام الوجبة الأولى في الداخل، و امتصاصه وذهابه الى كل الجسم، وكذلك الوجبة الثالثة والمئة والألف، فللمعدة حق الانتظار، لأن هذه المعدة انشأت لهذه الحالة، وكذلك داخل الإنسان فصياعة نشوء الأيمان تكونت بهذه الطريقة، سورة (العلق) فسورة (القلم) فسورة (المزمل)، وهكذا رويداً رويداً وبهذا النوع وبهذا الترتيب.

أين تم تقديم الأيمان؟

النقطة الثانية: يجب أخذ هندسة الكلمات بهذا النوع، بحيث لا تُقدّم ولا تؤخر الكلمات ولا القواعد، وبهذه النوعية ينشأ الأيمان الكامل والتام، إذن لله الرحمن ارادة نوعية لصياغة كلمات القرآن، لكي يتم نشوء ما يريده فعلاً من ذات البشر، ولهذا فبعد نشوء الأيمان بالله الرحمن ك (رب) و (ربك)، وعند نشوء (أَفْرَأُ بِاسْمِ رَبِّكَ) في داخل الإنسان، فإن الله الرحمن يعرض للإنسان لقطات (يوم الآخر) رويداً رويداً، من سورة (العلق) وبعدها سورة (القلم) فيتم الدخول على مهل، وبهذا النوع فليس هناك حديث عن الملائكة بعد ولا عن الكتب، وفي سورة (المدثر) هناك اشارة خفيفة للرسول وهو سيدنا (موسى)، وذلك لوجود الشبه الكبير بين سيدنا (موسى) وقومه مع رسولنا (عليه السلام و البركات)، ولهذا يعطي الله الرحمن هذه السورة، وهو تنذير لقريش وليس لجمع المؤمنين، ومن ثم ينشأ الصفة الرسالية للرسول في داخل الذين آمنوا معه رويداً رويداً وبهذا التسلسل. قلنا بأن القرآن لم ينزل على الرسول (عليه السلام و البركات) بعشوائية وانما كان لله الرحمن ارادة نوعية في صيغة تنزيله، وهنا السؤال يطرح نفسه

فهل فقط الرسول (عليه السلام و البركات) استعمل واستفاد من القرآن بهذا النوع، أو كان معه غيره؟ في الاجابة نقول نعم، كان هناك غيره من الصحابة، وذلك في سورة (المزمل)، وكما ذكرنا في الدروس السابقة فبعد نزول (إقرأ) عليه نزلت (قُم اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا) (المزمل ٢) لكي يقرأ فيها، (نِصْفَهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا) (المزمل ٣) (أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا) (المزمل ٤)، فانظر الى نهاية السورة، الله الرحمن يشير الى (وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ) (إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ) في نهاية السورة (إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثِي اللَّيْلِ) (تقوم للقراءة يا محمد) (وَنِصْفَهُ وَثُلُثُهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ) (المزمل ٢٠)، إذن لم يكن هذا القرآن فقط لذات الرسول (عليه السلام و البركات)، يأخذه ويمتصه ويحوله الى الواقع باسم الأعمال الصالحة، وانما كان معه جمع، وذكرنا في الدروس السابقة بأن الله الرحمن لم يقل: (الذين آمنوا معه) وانما قال: (وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ)، لماذا؟ لأن مستوى ايمانهم لم يصل الى المستوى الذي يطبع الله الرحمن عليهم بطابع الأيمان، قال: (إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثُهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ) الى آخر السورة.

إذن فإذا كان هذا دليل على صيغة كيفية أخذ الرسول (عليه السلام و البركات)

للايمان، وانشاء العلاقة مع القرآن بهذه النوعية، والذين كانوا مع رسول الله وبنفس طريقة الرسول (عليه السلام و البركات) كانوا يقيمون الليل، وبنفس الطريقة قرؤا القرآن، إذن فالجموع الآتية بعدهم ملزمين بالتعامل مع القرآن بنفس الطريقة وبنفس الأسلوب، إذن نحن أيضاً ملزمين بـ:

- اولاً: نتبع نفس الترتيب.
- ثانياً: نتعامل مع نفس هندسية كلمات القرآن.

والمثال على ذلك " عندما يطلب الله الرحمن فعل شيء من أي ذات، يبدأ بالإيمان، في كل القرآن، ليس هناك في القرآن طلب من قبل الله الرحمن ليقوم به

المقابل إلا وقد سبق بالإيمان، وهذه قاعدة في القرآن، كل القرآن من سورة (البقرة) الى سورة (الناس) (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ)، لم يؤمر المسلم بيا ايها المسلم افعل كذا، لم يذكر يا ايها المسلم صلي، يا مسلم صم، يا أيها المسلم افعل كذا، لم يذكر في القرآن غير يا أيها الذين آمنوا أفعلوا كذا، يا أيها الذين آمنوا لا تفعلوا كذا، وهذه قاعدة إذن أصل الموضوع هو الإيمان وليس الأسلام، فعندما انزل الله الرحمن الإيمان بهذه الطريقة والتسلسل لذات الرسول (عليه السلام و البركات) فاستلمها هو، وقدمها للصحابة فاستلمها الصحابة، ونحن ايضاً إذا استلمناها بهذه الطريقة، فعندها ينشأ الإيمان، وعندها يتحقق ارضية العمل واعملوا (الذين آمنوا وعملوا)، وإذا لم يكن مفهوم العلاقة بين الإنسان وبين ذات الله الرحمن واليوم الآخر بهذا النوع فان الصالحات لا تتكون، هناك عمل ولكن ليست بصالحات، إذن متى كان (آمنوا وعملوا) وفق هذا الترتيب يأتي الصالحات، الذين آمنوا وعملوا الصالحات، وعرف الله الرحمن عملوا الصالحات في القرآن بعدة تعاريف وعلى سبيل المثال " (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ) وهذا من الاعمال الصالحات، ارفع عنه الاعمال الصالحات (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) (الأنفال ٧٢) وضع (بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ) سيكون له نفس التعريف، إذن في الأول يجب ان يكون آمنوا موجوداً فيأتي بعدها (وعملوا الصالحات) فيصبح (هاجروا)، وإذا لم يكن (آمنوا) موجوداً عمودياً وأفقياً فإن (هاجروا) لا يتحقق، وإذا لم يكن (آمنوا هاجروا) موجوداً لا يتحقق (جاهدوا)، (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ)، فيتحقق عندها النتيجة، وهو هكذا في الدنيا والآخرة.

فالأسلام مرحلة قلقه يجب ان ينتقل الإنسان فيها وبسرعة الى حلقة الإيمان.

وهذه نوعية هندسية القرآن، في كل القرآن، كله بدأً من سورة (البقرة) الى سورة (الناس) كله على هذه الشاكلة، فإذا لم يتكون (آمنوا) فالإنسان غير مكلف،

لا بتطبيق الأداء ولا بالمنع والنهي، فإذا كان القرآن بهذه الصيغة والنوعية، فلا بديل لهذا على حد علمي، ومن غير مجاملة لنفسي، فليس في القرآن يا أيها المسلم أفعل كذا، وحسب ما اعلم فإن كل من قرأ القرآن يعلم هذه الحقيقة؟ ومن المحتمل ان نختم القرآن مرة كل خمسة أو ستة شهور، فهل لاحظتم وجود قول يا أيها المسلم أفعل كذا؟ فلقد وردت كلمة مسلم بقلّة في القرآن، إذن طلب الله الرحمن واراوته ليس في الاسلام فقط، وانما الاسلام حالة قلق، وعلى الإنسان ان يقفز الى الإيمان بالطريقة والأسلوب الذي ذكرناه، وإلا سيبقى مسلماً.

ولذلك فمن المحتمل بأن يرى هذا المسكين علاقته بتصوره مع الله الرحمن في يوم جيد، وفي يوم آخر سيء، كذلك في اعماله وتعبداته، ونجعل ابو بكر قياساً لنا هنا لا الرسول (عليه السلام و البركات)، أبو بكر مثلنا كذات وبشر، وكان مؤمناً، فإذا قسنا اعمالنا وتعبداتنا معه، عندها نكتشف فعلاً تقصيرنا بواسطة انعدام الإيمان النوعي في داخلنا، ومدى الفروقات بيننا، من الصلاة والصيام المطلوبان منا اداءه.

ذكرنا في الدروس السابقة بأن ابو بكر صلى صلاة العصر بأربع ركعات ايضاً، ولم يصلها ثمان او عشرين ركعة، فالفرض اربع ركعات، ولكن هل كانت صلاته التي صلاها مشابهة لصلاتنا، وصيامنا الذي نصومه في رمضان، فكان يصوم هو نفس ٦ ساعة او ٨ ساعات التي نصومها نحن، ولكن هناك فروق كبيرة بين صيامنا وصيامه، فما السبب؟ فإيمانه أصيل (آمنوا)، (آمنوا) ايماننا ليس وفق ارادة الله الرحمن، ايمانه صحيح (آمنوا) ولهذا فإن (عملوا الصالحات) يتحقق، ولكن ايماننا (آمنوا) وفق ارادتنا، ووفق رؤيتنا ولهذا فليس هناك (عملوا الصالحات)، وهو النوع الذي ترونه.

نعود الى القرآن (الإيمان بالله) بمفهوم الربوبية وهي النقطة الأصلية في الإيمان، وبعده (الإيمان باليوم الآخر) النقطة الأصلية الثانية في الإيمان، لنمعن

النظر من بداية سورة (العلق) لكي نرى توضيح الله الرحمن لهذه الحالة لنا: ذكرنا في الدرس السادس خمس محاور، الآية (١٥) من سورة (العلق)، أول سورة نزلت على الرسول (عليه السلام و البركات)، يذكر الله الرحمن فيها حوار نوعي مع الرسول ويريه نماذج نوعية، وكما ذكرنا فإن احد النماذج تشير الرؤية الى الشيطان بالأكثرية، لا الى ابو لهب التافه القزم، لأن ارادة الله الرحمن في القرآن لا تساير حالة ابو لهب بالذات، فابو لهب كان شخصاً ورحل، والقرآن باقي زماناً و مكاناً، وعليه مسايرة كل زمان و مكان، إذن السورة التي نزلت لا تقصد ابو لهب بالذات، وانما هناك جهة فوق ابو لهب، جهة تتفاعل وتتعامل مع ابو لهب، تدفع هذه الجهة ابو لهب الى جملة من الأمور، حتى إذا مات ابو لهب استقال ورحل، فإن بإمكان هذه الجهة من تنشئة نماذج وعناصر غير ابو لهب، وحيث هو انشأ ابو لهب، ولذلك كانت الإشارة الى تلك الجهة بالأكثرية لا الى ذات ابو لهب، ويشخص الرسول (عليه السلام و البركات) أصل القضية.

وبلا تشبيهه كالدمية المتحركة، والتي يضع الانسان يده فيها ويلعب بها يحركها، وغالباً تستخدم في التلفاز، بحيث تصنع من القماش، ابولهب و وليد وطواغيت الكرة الأرضية كلهم دمي والعباب في يد الشيطان، فلا يمكن ان ينزل الله الرحمن في كل مرة قائمة باسماء هذه المجاميع في زمان معين، وان يحذرهم منهم، فهذا غير معقول، انما تقوم هذه الجهة بتكوينهم وتواجههم مع الرسول (عليه السلام و البركات)، وبعد الرسول مع الأجيال المتعاقبة من المؤمنين، ويشخصه لهم الله الرحمن، ولهذا فإن تركيز الموضوع عليهم، ولقطة من هؤلاء (كَأَلَّا لَيْنٌ لَّمْ يَنْتَهُ لِنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ) (العلق ١٥)، تحدثنا عن الناصية وقلنا هي مجموعة من خلايا الكذب الموجودة في مقدمة رأس الأنسان، وأول أثم تم فعله باتجاه آدم كان الكذب، ومن فعله؟ الشيطان (وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ) (الأعراف ٢١) (هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى) (طه. ١٢٠) فالقاريء للقرآن منكم يرى كل هذا في سورة (البقرة) بمكشوفية.

خلايا الكذب

الأحتيال الأول جرى على الإنسان عن طريق الكذب، فإذا لم ينسحب الإنسان من بيئته ووسطه، وتابع بيئته، فيتركز خلايا الكذب ويبدأ بفعل الكذب، ومن الدافع له؟ الشيطان، إذن الأثر المباشر هو الشيطان وليس الإنسان، فالإنسان أصلاً ولد بالفطرة مسلم: (مَا مِنْ مَّوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ) (رواه بخارى)، ويشير لنا القرآن كيفية قطع امداد الشيطان في ذاتنا؟ كلام مباشرة مع ذات الرسول (عليه السلام و البركات) ومن ثم مع جمع المؤمنين، وهذه اشارة بأنه إذا جاء امثالهم يوم من الأيام ولم يتوبوا أساساً، (كَلَّا لَئِنْ لَّمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ * نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ * فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ * سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ) (العلق ١٥-١٨)، الزبانية مجموعة عناصر ومخلوقات معينة، يستخدمهم الله الرحمن لعمل خاص يوم القيامة، (سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ)، وبلا تشبيه كالشرطة لهم اعمالهم الخاصة، ويعملون هذا العمل في يوم القيامة فقط، واما بالنسبة لذات الرسول (عليه السلام و البركات) وجمع المؤمنين هو لتصفية هذا (يشير الأستاذ الى جبهته) من خلايا الكذب، لكي ينمحي اثر الشيطان عنه، (كَلَّا لَا تُطَعُّهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ) (العلق ١٩)، ويتم تصفيته (وَاقْتَرِبْ)، إذن يتم قطع العلاقة مع ذات تلك الجهة.

وذكرنا في الدروس السابقة بأن للشيطان وحي (حاشا لله)، وله تنزيل وعناصر على الأرض، للشيطان وحي وتنزيل على الأرض كالمطار ليتمكن التعامل مع الإنسان، وهناك هذا النوع من الأناسي فينا، إذن من المحتمل ان يكون هناك احتكاك بين هذا النوع من الأناسي وذات رسول الله (عليه السلام و البركات)، وقد يحتمل ان يحدث احتكاكهم مع جمع المؤمنين، حسناً فماذا يمكن ان يكون عمل الرسول هنا؟ (لَا تُطَعُّهُ) (وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ)، وبهذا تنجوا من الزبانية، وتنجوا من امساك الناصية، وامضي بهذا الشكل في سورة (القلم) ايضاً.

ففي بداية سورة (المزمل) (يَا أَيُّهَا الْمَزْمَلِ) (المزمل ١)، فمن البداية مجموعة من الآيات ويأتي بعده (وَاصْبِرْ)، فالرسول (عليه السلام و البركات) يحيا في وسط معين، وهو ليس من الملائكة، ينشأ أثر سلبي في داخله اثناء الاحتكاك السلبي، وليس لأنهم يعاكسونه، يقسم الله الرحمن للرسول ويقول: (فَأَنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ) (الأنعام ٣٣)، فيطمئن الله الرحمن الرسول، يواسيه ويقول له لا تحزن ولا تكن مهموماً فهم لا يكذبونك، فالله الرحمن بعظمته واقتداره يواسي الرسول، وهو كذلك فعلاً، فهم أقرؤا مئة بالمئة بصدق الرسول (عليه السلام و البركات) بعد ولادته وأيدوا ذلك.

كلنا يعلم بأن الرسول (عليه السلام و البركات) كان اسمه الصادق الأمين قبل النبوة والرسالة، فلقد كان الرسول (عليه السلام و البركات) بنكاً، بنكاً! بنك الجاهليين، فليس صدق الكلام فقط وحده وانما الصدق المادي ايضاً، فكانوا يعادونه في الصباح، ويبتعنوه على اموالهم في الليل، لأنهم كانوا لا يثقون باخوانهم واقاربهم.

واثناء اخراج الرسول من مكة الى المدينة أخذ علي بن ابي طالب مكانه ونام في مكانه، فكانت له عدة وظائف، من هذه الوظائف اداء الأمانة، فترك له الرسول (عليه السلام و البركات) قائمة بالأمانات واسماءهم، ليسلمها ويوزعها على اصحابها في الايام القادمة، إذن صدق الرسول كان ملموساً فيهم، وكان لهم احتكاك مع صدق الرسول (عليه السلام و البركات)، وصدقه كان بديهية يقينية فيهم، فإذا كان صادقاً معهم مادياً ومعنوياً فكيف يكذب على الله؟.

ما هو حق الله الرحمن على عباده؟

إذن عندما يأتون هم ويصارعون الرسول ويجادلونه، ويحتكون سلبياً مع الرسول، فالرسول (عليه السلام و البركات) متأذي داخلياً ويتأذى، فما العلاج؟ يقول الله

الرحمن هنا: (وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا) (المزمل، ١٠)، هذا حلك وليس بيدك غيره، ايمانك كذا وكذا هو مسؤوليتك وكذا عليك، فما المتبقي؟ وماذا قال الله الرحمن؟ (ذَرْنِي) اتركني لهم، (وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا) (المزمل، ١١)، إذن اعطاهم الله الرحمن مجالاً ومساحة زمنية، (وَمَهِّلْهُمْ) جاءت للزمن، إذن سيأتي زمن على هؤلاء يفتح الله الرحمن لهم حسابهم، هو يعرف ماذا يفعل بهم واين يأخذهم، (وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ)، ففي سورة (العلق) قال: (نَاصِيَةٌ كَاذِبَةٌ خَاطِئَةٌ) وهنا أصل الأثم هو الكذب، لا ان يكذب الإنسان مع الغير، وانما يكذب الإنسان مع ذاته، فخلايا الكذب هنا مع ذاته، فمثلاً" نحن حاول ان نخدع انفسنا، وهذه في الطبيعة البشرية.

مثلاً" لم يأتيني النعاس للنوم، وأقول لنفسي لأتمدد قليلاً لأنني نعسان لأنام، علماً بأنني غير ناعس للنوم، وقد اتمددت تحت البطانية لساعة، فهذه طبيعة الإنسان يكذب مع نفسه! ومن ثم اتيان الأثم، ويعلم الإنسان كذبه مع نفسه، وكأن الله لا يراه! وهو أصل الانحراف.

ف فعل الكذب ليس مع الرسول، وانما كانت مع آيات الله الرحمن، وتأتي المراحل التي بعدها، فعندما كذب الإنسان مع نفسه، يسهل الكذب بين نفسه وبين الله، والأسهل ان يكذب بين نفسه وبين آيات الله، وبهذا التسلسل، (أُولِي النَّعْمَةِ) يتحدث عن النعمة، وقلنا هناك فرق بين النعمة والنعمة، قرأنا مقاطع من سورة (المزمل)، لنأتي على سورة (المدثر) وهو نفس الشيء، وفيه مجرد تبيان أكثر من الله الرحمن، وهذا ما قصدت من القراءة حسب صيغة ترتيب القرآن، قراءة القرآن حسب هذا الترتيب، فأن الله الرحمن يضع الكلمة، كوضع حبة تحت الأرض، ومن ثم ينمو ويكبر رويداً رويداً، ونحن نفهم القرآن بهذا الشكل.

يعطينا سورة (المزمل) لقطات ويأتي بعده سورة (المدثر) فيشرح لنا سورة (المزمل)، فهنا يقول: (وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا)،

وفي سورة (المدثر) (أُولِي النَّعْمَةِ) كيف يعرفه؟ (ذَرْنِي)، فكيف ذكره هنا وهناك: (وَذَرْنِي)، وهنا يقول: (ذَرْنِي) (المدثر ١١)، (ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً) (المدثر ١١) (أُولِي النَّعْمَةِ) وكيف يشرحه؟ (وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَمْدُوداً) (المدثر ١٢) (مَالاً مَمْدُوداً وَبَنِينَ شُهُوداً وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهيداً) (المدثر ١٤) (ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ) (المدثر ١٥) (كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيداً) (المدثر ١٦) وماذا يعني هذا؟ هنا قال الرحمن: (وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلاً) (المزمل ١١)، وهذا هو شرح الآية، وهذا هو القرآن.

ولهذا ف (الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ) (الرحمن ١-٤) فالبيان في ذات القرآن نفسه. فقط خذ القرآن بهذا الترتيب وأقرأه سيكشف نفسه بنفسه، هو سيعطيك نفسه، فإذا جاءت أمة ولم يكن لها (ابن كثير) وامة لا تملك (سيد قطب)، فهل ليس عليهم فهم القرآن؟ هذه وظيفة الله الرحمن ومن واجبه ان يفهمنا، (الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ)، فالقرآن معلم في دواخلنا.

ولهذا تحدثنا عن الفطرة في الدرس الأول والثاني، الفطرة في داخل الإنسان جاءت مطابقة للقرآن، ولهذا طُلب القرآن من الإنسان، بأن يطبق القرآن، فلا يستطيع الأداء إذا لم يكن مفاهيم القرآن مخلوقة أصلاً في داخله، فكيف تكلف انسان يستطيع حمل (١٠) كيلو فقط من ان يحمل (١٠٠) كيلو، ولذلك في كل القرآن مطلوب من الإنسان، لماذا؟ لأن القرآن جاءت لمستوى الإنسان، لا فوق الإنسان بمفهوم الفطرة، (فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ) (الروم ٣٠) خلق، فطرة، دين، والدين القيم.

هذا جيد (وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلاً) (المزمل ١١) ماهي النتيجة؟ (إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالاً وَجَحِيمًا) (المزمل ١٢)، وكل هذه كلمات جديدة يسمع بها الرسول (عليه السلام و البركات)، (أَنْكَالاً) يتوقف، (وَجَحِيمًا) يتوقف، (وَطَعَاماً ذَا غُصَّةٍ) ومن ثم (وَعَذَاباً أَلِيمًا) (المزمل ١٣)، فينشأ الله الرحمن هذه الحالة في داخل

الرسول (عليه السلام و البركات) على مهل، وبعدها (يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ)، إذن فهناك رجفان للأرض، ويشرح هذا في سورة (الطور) (وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا) (الطور، ١)، وينشأ السير بعد الرجفة.

صيغ قراءة الرسول (عليه السلام و البركات)

إذا أردنا فهم (يوم الآخر)، علينا ان نفهمه عن طريق ترتيب النزول مرة أخرى، ففي الأول ماذا يطراً على الأرض؟ وماذا يطراً على القمر؟ مثلاً يذكر الشمس، واللقطة من السورة التي تليها في سورة (التكوير)، ونزلت سورة (التكوير) بعد سورة (المدثر) ومن بعده سورة (الأعلى) حيث فيه ذكر الله الرحمن الجنة وجهنم، يذكر (جهنم) في سورة (التكوير)، كيف؟ أولاً يبدأ بالشمس، ومن ثم بالنجوم، (إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ) (التكوير ١) (وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ) (التكوير ٢) هذه لقطة، (يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ) قطع لقطة من الموضوع، سلط الأضواء والمجاهر عليه، أية لقطة؟ ففي فترة تكوير الشمس ينشأ إنكدار النجوم.

وعلى هذه الشاكلة كان يقرأ الرسول (عليه السلام و البركات) هذه الحالات، فنشأ الإيمان بذات الله الرحمن ك (رب)، وبعد ذلك نشأ عنده الإيمان باليوم الآخر، حيث يقام يوم القيامة بهذا النوع فعلاً، ولهذا كان الرسول (عليه السلام و البركات) في كل وقت يحيى في الآخرة، وعلى نفس المنوال قام ببناء الصحابة، كانوا في كل وقت يحسون بأحتمال موتهم فعلاً، والموت اعلان بدأ ساعتهم، قيام الساعة، (يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ) وكأنه تسير الجبال، وكأنه الأنكال، والجحيم وطعام الغصة والعذاب الأليم، كل ذلك نصب عينيه، وهذه صيغة الإيمان باليوم الآخر.

كان الرسول (عليه السلام و البركات) يقرأ الكلمة بهذه الطريقة، ولهذا ترون في سورة (المزمل) وسورة (المدثر) وسورة (الأعلى) وفي سورة (التكوير)، وفي سورة (الفجر) وسورة (الليل) و(الضحى)، في كل هؤلاء يصور الله الرحمن اللقطات بمكشوفية وبمجسمة لذات الرسول (عليه السلام و البركات).

هل كان الرسول يقرأ المخلوقات فقط؟ قلنا كان يقرأ المخلوقات، فيقرأ الشمس، والقمر والليل، والنهار والنجوم، فهل يؤخذ منه هذه اللقطات فقط؟ كلا، وإنما كان عليه أن يجلب التحويل النهائي لهم نصب عينيه، تشرق الشمس من المشرق وتغرب من المغرب، فالخالق والرب يفعل هذا بهم، يمنح كذا كم من الطاقة، فيحول في اليوم ٣٨ كيلو غرام من مادته الى طاقة، فيمنحنا كل هذه الحرارة والضوء، حسناً فهل هذا عمله فقط؟ وما النتيجة؟ يقول الرحمن: (إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ) (التكوير ١)، فالرسول (عليه السلام و البركات) قرأ كل هذا، والصحابة قرؤا كل هذا أيضاً.

ما هو الركن الرئيسي للإيمان؟

إذن فحالة الربوبية نشأت في داخلهم، وفي نفس الوقت نشأ الإيمان باليوم الآخر في دواخلهم، وبهذه الطريقة يتم اداء القراءة، وعندها يحيى الصحابي في الآخرة فعلاً، علماً هو لم يمُت بعد، ولهذا نشأ نماذج مثل (عبدالرحمن بن عوف و مصعب بن عمير و زبير بن عوام و عمر بن ابي طالب)، توفوا بعد وفاة الرسول بعدة سنين، وكان الله الرحمن راضياً عنهم قبل وفاتهم واثناء وجود الرسول (عليه السلام و البركات)، حسناً فكيف يقتربون معصية او فجور او فسوق او فاحشة بعد وفاة الرسول (عليه السلام و البركات)، العياذ بالله فلم يرصد منهم شيء، فكل قصة حياتهم كانت امام الله الرحمن، لقد كان نشوء إيمانهم بالله الرحمن واليوم

الآخر بهذا النوع فكيف يقتترف هؤلاء الأثم؟ وكيف يقتترفون العصيان والفسق والفجور؟ لا فلن ينشأ ذلك عندهم.

ولهذا كان هذا حال الأمام عثمان والأمام عمر، فالأمام عمر حكم في الخلافة لمدة (١٣) عام بعد وفاة الرسول (عليه السلام و البركات)، ولم يكن من العشرة المبشرين، وقرر الله الرحمن بعفوه، فهل يمكن ان يرجع الرحمن عن وعده؟ كلا، (وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا) (النساء ١٢٢)، (وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ) (التوبة ١١١)، وهذا أمر، ووعد الأمام عمر بالعفو، حسناً فهل سيعفوا الله الرحمن عن عمر إذا اقتترف الأثم؟ أ إذا كذب سيعفوا عنه؟ أو نظر الى غير محارمه سيعفوا عنه؟ أو خان او غش سيعفوا عنه؟ أو اغتاب سيعفوا عنه؟ حاش لله، لأن الله الرحمن لا يكسر قوائمه.

ويبقى هذا الاحتمال فقط، ولأن الله الرحمن وعد فسيوفي بوعدده، لأن الله الرحمن صادق، ولا مرونة لقوانين الله الرحمن، ولا بأس قد يستتر، نعود الى ذات الأمام عمر، فداخل الأمام عمر وداخله الأيماني نشأ بهذه الطريقة، فلن يرصد منه هذه الحالة فعلياً، ولا يمكن ايجاد هذه الحالة فيه فعلياً، وأيا منهم؟ الفسق والفجور والعصيان... الخ، علماً لانقول بأنهم كانوا معصومين، لأن مستوى الذنب سيبقى، فلقد قال الله الرحمن لرسول الله (عليه السلام و البركات): (إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا* لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا) (الفتح ٢-٣)، فالذنب باقي.

إذن (الأيمان بالله واليوم الآخر) هو البند الرئيسي للأيمان بذات الله الرحمن، هو البند الرئيسي للإيمان وانشاء علاقة مع هذا الدين، وبعدها الأيمان بالملائكة، والأيمان بالرسول تابع له.

ادعوا الله الرحمن وارجوه، ان ينشأ في دواخلنا اسباب ووسائل هذا النوع من الأيمان، ويرشدنا ويهدينا للصواب، ويكمل هدايتنا، ويزيد من تقوانا، وإن لم نكن كـ (ابو بكر) فلنكن اقل منه بقليل.

الجزء الثالث عشر

قيام الليل ليس بصلاة التهجد الزمن وتأثيره في بناء الإيمان

نستمر في دروس احياء الإيمان في داخل الإنسان، ونكمل حديثنا عن الإيمان باليوم الآخر، والأشكال المتكونة في قلوب جمع الذين آمنوا مع رسول الله (عليه السلام و البركات) في الفترة الأولى، والآن كأنه يريد ان يتكون في قلوب بعض شباب الصحوة المتابعين لهذا الموضوع، وسنتحدث بعون الله الرحمن عن وسائل دفع هذه الأشكال، بمطابقة حالهم آن ذاك مع وضع جمع شباب اليوم، وكيف دفع الرحمن اشكالاتهم عند نشوءها فيهم.

الأنسان والجن أحرار في الاختيار

نطرح مقدمة بسيطة للموضوع، كنا متفقين على مبادئ عدة، منها خلق الله الرحمن الأنسان مؤمناً أصلاً، وآدم كان أول نموذج في الوجود، خُلِقَ مؤمناً، ولهذا كان تأكيدنا على جانب الفطري البشري في كل الدروس، حيث كان أول بشر وأول نموذج خلقه الله الرحمن هو آدم (عليه السلام و البركات)، وكان مؤمناً، فقلب آدم (عليه السلام و البركات) وجهازه أو أرضية نشوء الأيمان عنده كان موجوداً أصلاً، والذي اطلقنا عليه اسم الفطرة، واثبتنا بوجود الفطرة الخاصة في كل المخلوقات، واستعمل كلمة التسخير في القرآن لجملة المقصود منها الفطرة، ويعمل الأنسان والجن بالفطرة اصلاً، ووضعنا الفطرة في داخل الأنسان، كالمخلوقات الأخرى من الحيوانات والنباتات والفايروسات وكذلك الكلاميدوموناس، يُفرق بين حسناته وسيئاته، ولكنهم سُخروا على هذه الحالة بمفهوم التسخير، اما نحن مع الجن مُخبرين بالاختيار، ولذلك عندنا القابلية بأن نصبح مؤمنين، ولدينا القابلية بأن نصبح كافرين وبارادتنا، وذكرنا قديماً بأن الفطرة موجودة في داخل الحيوانات ايضاً، تحدثنا عن القطة والفايروس والكلاميدوموناس...والخ، وقلنا يوجد الشيء بوجود الأصل والقاعدة لذلك الشيء، وقلنا بأن داخل الأنسان جغرافية نشوء الأيمان، صدر الأنسان هي المنطقة الجغرافية لنشوء الأيمان، والفطرة موجودة هناك، وذكرنا وسائل تحويل الفطرة، والمرحلة الأولى للأيمان هو ما يسمى بالفؤاد، سمع وبصر الأنسان هما من أولى الوسائل لتنشئة علاقة عمودية بين الأنسان وبين الله الرحمن، وذلك بتفعيل سمع وبصر الأنسان وفق إرادته، وذكرنا كل هذا في الدروس السابقة.

الزمن ونشوء الأيمان

النقطة التي سنركز عليها اليوم هو الزمان، الزمن ومقدار أثره على كيفية نشوء الإيمان، أو إيجاد الإيمان في قلب الإنسان، كما تعلمون بأن الله الرحمن يحدثنا في القرآن من سورة (البقرة) الى سورة (الناس) عن خلق الأرض والسماء والقمر والكون والوجود وعن اليوم، ففي عدة اماكن يتحدث عن ستة ايام، وفي مكان يتحدث عن اربع ايام و نضيف اليه يومان سماويان فيصبح ستة ايام، إذن الزمن والوقت كان جزءاً في كيفية خلق الله الرحمن لمخلوقاته في هذا الكون، يحدثنا عن الأرض وبعده ايام خلقه للأرض، ويحدثنا عن السماء وعن عدد أيام خلقه للسماء، فالمادة الأولية كانت موجودة، ولكن هناك عدة نقاط رئيسية أشار الله الرحمن اليها بعد المادة الأولية:

● النقطة الأولى: الزمن والذي جعله حق على نفسه.

نأتي الى المخلوقات، والمخلوقات بنفس المستوى والحجم، فالزمن مطلوب في عمل كل المخلوقات، فكل المخلوقات الموجودة منها على الكرة الأرضية وغير الكرة الأرضية لها زمن نوعي، نأتي على الكرة الأرضية، إذ يتكون الليل والنهار نتيجة دورانها حول نفسها ويتكون الفصول: الشتاء والربيع والصيف والخريف من دوران الأرض حول الشمس، وهذا الزمن له أثره على حياة الإنسان.

ولهذا أتخذ الله الرحمن هذا الزمن كجزء، ويجب الأخذ بالأعتبار للزمن اثناء نشوء الإيمان، فإذا جعل الله الرحمن الزمن على نفسه جزءاً حقاً وليس باطلاً، وكذلك يمضي الزمن على المخلوقات والكرة الأرضية ففيها الليل والنهار، وتكون طبيعة المخلوقات الحية وفق هذا الزمن، والزمن جزء في نشوءه، ثم ينمو رويداً رويداً المستوى الذي يريده الله الرحمن وحيث الزمن جزء فيه، والظاهر بأن الإيمان يتطلب زمناً للنشوء.

فرق الله الرحمن بين قيام الليل وصلاة الليل

وكما تعلمون بأن مراحل تطور ذات الأنسان وتكوينه تسعة أشهر في بطن امه، وهذا بالطبع زمن، بتسعة أشهر يصل الجنين الى المستوى الفعلي للخروج من بطن أمه ليتمكن من مواجهة الحياة، وعلماً بأن طاقة حياته واحتمال بقاءه يقل إذا كان أقل من تسعة أشهر، وكذلك الأكثر من تسعة أشهر يكون احتمالية بقاءه في الحياة أقل، والظاهر بأن الله الرحمن ارادة خاصة في التسعة أشهر هذه. وليس مقصدنا العدد هنا ولكن قصدنا الزمن، فكل المخلوقات الحية تحتاج الى الزمن لكي تنمو من الصفر حتى تصل الى القمة.

آمن الرسول (عليه السلام و البركات) بواسطة أول سورة أنزله الله الرحمن عليه، واصبح الرسول (عليه السلام و البركات) بواسطة سورة (العلق) مؤمناً، ولهذا بين الله الرحمن عن أهمية الزمن في ثاني سورة (يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ * قُمْ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا) (المزمل ١-٢)، يذكر الليل ويذكر القيام (قُمْ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا)، ويعني ذلك بأن يقوم في كل ليلة ويجب ان لا يكون قليلاً.

وبالطبع يصرف الرسول (عليه السلام و البركات) الزمن عند قيامه في الليل، ويصرف جهده مع هذا الزمن، إذن الجهد مع الزمن ينشؤن فيه حالة الأيمان، وليس الجهد لوحده وانما الجهد والزمن معاً ينشؤن حالة الأيمان، والله الرحمن أعلم وأحكم باصطفاء هذا الرسول النظيف، النقي صاحب الفطرة النظيفة، حيث اصطفاه الله الرحمن كما اصطفى سيدنا ابراهيم وآل عمران، فكم كان قلبه نقياً! إذن فالأرضية والفطرة كانا متوفران فيه، ولكن يجب أن يصرف الرسول (عليه السلام و البركات) جهداً لكي يكون الأيمان المنشأ في داخل قلبه كما يريد الله الرحمن، فيتحول الفطرة الى الأيمان النوعي الذي يريده الله الرحمن.

وعليه صرف الجهد مع صرف الزمن، إذن فالأثنان معاً الزمن والجهد ينتج عنهما الجهاد، فيحاول الرسول (عليه السلام و البركات) مع داخله بالزمن والجهد وعندها ينشأ هذا النوع وهذا الكم من الإيمان، وهذه نقطة مهمة، ولهذا فإن للقرآنة لذته بعد الجهد الزمني، (أَفْرَأُ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ) (العلق ١) ويكون ذلك بقيام الليل (قُمْ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا) (المزمل ٢).

وكما قلنا فإن الله الرحمن فصل بين (قيام الليل) و(صلاة الليل)، وفرض على الرسول (عليه السلام و البركات) صلاة الليل في الوقت الذي جاءه الأمر (وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدُ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا) (الإسراء ٧٩)، وما تبقى في الأوقات الأخرى في الفترة الأولى من السنوات الثلاث الأولى لفترة النبوة كان الرسول (عليه السلام و البركات) يقوم الليل، وكان قد نزل عليه آيات محدودة من القرآن، وحينها لم يكن سورة البقرة والأنعام والنساء وآل عمران. الخ قد نزل عليه بعد، إذن "يقوم الرسول بتحويل (أَفْرَأُ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ) (العلق ١) الى الليل، وهذه القراءة ذكرناها في الدروس الثامنة والتاسعة من هذه السلسلة.

أمثلة حية

وكما تعلمون فإن الأمثلة كثيرة في حياتنا على صيغة أو أثر الزمان على كيفية نشوء الإيمان في داخل الإنسان، فحياة الإنسان في العراق مثال عليه، وضعت وزارة التربية منهجاً للمرحلة الابتدائية في ست سنوات، وهذا نظام تعليمي عالمي، وأقر عليه منظمة اليونسيف للأمم المتحدة، ولماذا؟ الظاهر بأنه قد كُشف لهم ذلك عن طريق التجارب المخبرية التربوية للعلماء، بأن الإنسان في المرحلة الأولى وعمره ستة سنوات لا يستطيع أن يتعلم العلوم للمرحلة الأولى المتوسطة، وإنما يحتاج الى زمن وتدريب وممارسة، فيحتاج دماغ هذا الطفل الى ان يتفتح ليتمكن من بناء علوم الابتدائية وعلوم المتوسطة عليه، ومن

ثم يوضع في دماغه علوم الكيمياء والفيزياء، فإن أراد أن يصبح مختصاً في الكيمياء والفيزياء فعليه الاعتماد على الزمن والجهد المبذول عليه في الابتدائية.

نقطة رئيسية أخرى، تحدثنا في الدرس السابق عن اليوم الآخر، وقلنا بأن الله الرحمن أراد أن ينشأ الأيمان في ذات الرسول (عليه السلام و البركات) و(وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ) (التوبة ٨٨) عن طريق القراءة، فالقراءة للمخلوقات (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ) (العلق ١)، فقرأ الرسول (عليه السلام و البركات) كل المخلوقات بأنواعها وأساليبها ووظائفها. وهل هذا فقط عمل المخلوقات؟ أم يحل عليهم أمر آخر؟ سينشأ الله الرحمن حالة من التغيير النوعي على المخلوقات، إذ هي مرحلة نهاية المخلوقات والذي يحمل الرسول (عليه السلام و البركات) على قراءة ذلك، فبعد إيمانه الفعلي بالله الرحمن ك (رب) وك (خالق)، وفي نفس الوقت فأن الله الرحمن له القدرة على فناء هذه المخلوقات في يوم من الأيام، وعلى اراحة الكل وتغييرهم.

وعندما كان الرسول (عليه السلام و البركات) يقرأ الشمس، طاقة الشمس الهائلة وامكانياتها، فتبعد عنا ب (٩٣) مليون ميل، وفي الصيف تصل الحرارة في بعض الأماكن الى (٥٥) سيلزيوس على الكرة الأرضية حيث لا يستطيع الإنسان العيش فيها، فهل يبقى كل ذلك على هذا الحال أم له ساعة الانتهاء؟ يعلمنا الله الرحمن بساعة الانتهاء في سابع سورة حسب ترتيب النزول حيث يذكر فيها: (إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ * وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ * وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ) (التكوير ٣، ٢، ١)، وفي السورة السادسة يتحدث الله عن حركة الجبال وهنا يتحدث عن تسيير الجبال.

الشمس وماذا عنه؟

وكما ذكرنا في الدرس السابق، يقصد الله الرحمن بترتيب النزول وبلا تشبيهه، كانتقال طالب الصف الأول الابتدائي الى الصف الثاني، ولا ينقلوه الى الصف الثاني إذا لم يكمل الصف الأول، وإذا لم ينجح في الصف الثاني لا ينقلوه الى الصف الثالث، وبلا تشبيهه (ولله المثل الأعلى) هو نفس اسلوب الله الرحمن، فيطرح المفاهيم في نفس المستوى لذات الرسول (عليه السلام و البركات) في القرآن.

وعند ذكره للارض في يوم القيامة (اليوم الآخر)، يذكر الرحمن رجة الأرض اولاً، واهتزاز الجبال التي عليها ونشوء حركتها، وبعد الحركة يبدأ الجبال بالسير رويداً فرويداً، فتنشأ المفاهيم نقطة بنقطة في فؤاد الرسول (عليه السلام و البركات)، وعلى الرسول أن يجلس ليلاً ليؤمن بنفس هذه المفاهيم، وينشأها في داخله، فيحضر نصب عينيه جبال سفين وجبال همالياً فعلياً (وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ) (التكوير ٣)، فإذا تحركت جبال سفين وجبال همالياً، وجميعها كالأوتاد، كالأعمدة على الكرة الأرضية ليتم توازن الكرة الأرضية ويمنع اهتزازه، وعند نشوء الاهتزاز في هذه الأعمدة وتحركها، فما هو حال الأرض حين إذن؟ وبالطبع ينقل الرحمن كل هذه الحقائق في سورة التكوير لذات رسول الله (عليه السلام و البركات)، وكله من الحقائق وليس من التصور.

لو تصورنا شكل كوكب المريخ؟ ومدى مستوى الحقيقة في هذا التصور؟ مدى العلمية في هذا التصور؟ يعتمد على مدى احتمالية الصحة ومدى الخطأ، ولكن ما ينشأه الرحمن بهذا القرآن لداخل ذات الرسول كله من الحقائق، حقائق مطلقة، فعند ذكره للجبال (وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ) (التكوير ٣) تسير الجبال فعلاً، وهي معلومة في فؤاد الرسول (عليه السلام و البركات).

(إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ) (التكوير ١) فالتكوير كربط العمامة، فتصبح الشمس في يوم قيام الساعة طويلاً كالعمامة، فيدور حول نفسه ويتكور، يا ترى ما قوة الطاقة

الفاعلة؟ فينكدر كل اولئك النجوم، وينفجروا عند تكور الشمس، فالشمس في المرحلة الأولى ومن ثم النجوم.

وبالطبع كما قرأ الرسول (عليه السلام و البركات) الشمس والقمر، وقرأ بدنه، قام بقرآءة هذه الحالة في داخله ايضاً، لكي يصبح هذا التصور الذي ينشأه القرآن له حقيقة في فؤاده، وعندما يصبح حقيقة يعيش معه في كل وقت، ففي كل مرة ينظر فيها الى الشمس يرى مباشرة مكتوب عليها صنع الله وخلق الله.

وما عدا هذا فهل سيبقى الشمس على هذا الحال؟ كلا، تتغير الشمس امام عينيه وتتحرك، ويتحرك النجوم، وكذلك الجبال، فلقد نشأت هذه الحالة في داخله بالممارسة في قيام الليل، وكان مستسلماً، ونتيجة ذلك الأيمان والعيش فيه، والأحاساس في كل وقت بقيام الساعة، كل وقت معرض لقيام الساعة، واقتراب الساعة، ويبدأ علامات الساعة بهذه الأشياء، وعندها يعيش الرسول (عليه السلام و البركات) في كل لحظة في الآخرة وقيام الساعة، ولهذا لم يكن الأثم يأتي على خيال الرسول والنماذج التي انشأها، كانوا يعيشون في الآخرة في كل وقت.

جيل الصحابة (الرعي الأول)؟

يكرر الله الرحمن هذا الأسلوب في القرآن دائماً، ولهذا يتحدث القرآن في السور الأخيرة والنهائية عن اليوم الآخر بالرغم من وصول إيمان الرسول (عليه السلام و البركات) الى القمة والسقف النهائي، فيتحدث فيها عن ربوبية الله الرحمن مرة أخرى، لماذا؟ لكي يكون حالة الرسول (عليه السلام و البركات) الأيمانية في ترفع فعلي في كل وقت، وما عدا هذا لكي يترسخ أكثر في داخله، وبهذا الأسلوب ينشأ أرضية متينة في داخله، فهذان الركنان الرئيسيان المتمثلان بالأيمان في داخل الرسول (عليه السلام و البركات)، و يقربانه من الله الرحمن.

هذا الرب الخالق بهذا الأقتدار والعظمة، والهندسية والجمالية والهيمنة، خالق كل المخلوقات وكل الوجود، من شمس وسماء وماء وأرض وكذا... الخ، يخرج البشر من البعد الطبيعي الى البعد المخلوقى لهذا المخلوق، ليتذكر الرحمن في كل وقت ويفكر فيه، ويكون في حالة من القراءة للمخلوقات (٢٤) ساعة وباستمرار، ويفكر في نفس الوقت بان سيأتي يوم ويدمر وينهي الخالق كل هذه المخلوقات ويغيرهم (يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجْلِ لِلْكِتَابِ) (الأنبياء ١٠٤)، يغير السماء والأرض والقمر، وماذا عنك أنت أيها الإنسان؟ ماذا سيحل بك؟ حينها تكون ميتاً فتستيقظ، ولماذا ستستيقظ؟ للحساب والكتاب، فيترسخ كل هذا في فؤاد الرسول (عليه السلام و البركات)، وعند الترسيخ يعلم الرسول بأنه سيحاسب، وله صفحاته، والرحمن يصوره في كل وقت ليل نهار وباستمرار، فعندما يذهب الرسول الى سريره يعلم بانه يصور بكل لقطاته وباستمرار، ومادام ذلك فشعور الرسول (عليه السلام و البركات) مع (وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ) (التوبة ٨٨) يكون في كل لحظة وكأنه في قيام الساعة.

ولذلك هو في كل وقت يحاسب نفسه، لا لأنه آثم والعياذ بالله، وانما خشية التقصير في حق أمر من أوامر الله الرحمن، لأن هؤلاء كانوا قد تركوا المنهيات، وقطعوا مرحلة المنهيات، وكانوا يعيشون في دائرة حب الله ورضوان الله بدرجة عليا، ولهذا كان الرعيل الأول (٧٠) نموذجاً انشأهم الرسول بالقرآن في مكة، وكانهم لم يذنبوا، جعل الرحمن هذه الحالة من نصيبنا.

إذن يجب ان ينشأ هذا الشعور النوعي في داخل الإنسان بواسطة القراءة، ليصبح حقيقة كحقيقة وجودنا هنا في هذا المكان والزمان، فعلى الشاب المؤمن ان يدرّب نفسه ويعودها بحقيقة الإيمان بالله واليوم الآخر، كحقيقة وجودنا هنا، وحتماً هذا يتطلب الجهد والزمن.

تنشأ المشاكل من الانحراف عن الطريق الحقيقي للإيمان

لتكوين حالة الإيمان بالله واليوم الآخر يطرح الله الرحمن هذا الموضوع بعلم كبير وتقدير حكيم في كل وقت، يعيده ويكرره كل وقت في سمع جمع الذين آمنوا مع رسول الله والذين يؤمنون الآن، ولكن كل مرة بلقطة، ولهذا فأن ذكر الإيمان في كل القرآن اكثر بكثير من ذكر التكاليف، ويكثر فيه كيفية نشوء هذا الإيمان، وفيه كثرة ذكر كيفية نشوء أو صياغة العلاقة النوعية الرضوانية مع الله الرحمن.

وهذا مقصود القرآن من البداية الى النهاية، ولذلك يتكرر فيه ويعاد كلمة الإيمان، فلو فتحت القرآن من سورة الفاتحة لا ترى فيه أمر (إفعل كذا) إلا وقد سبق بكلمة الإيمان، فليس هناك قول يا أيها المسلم اعمل صالحاً، وانما قيل يا أيها المؤمن اعمل صالحاً، كل القرآن من سورة (البقرة) الى سورة (الناس)، فيه يا أيها الذين آمنوا افعلوا كذا وكذا وكذا، ويا أيها الذين آمنوا لا تفعلوا كذا وكذا وكذا، وليس فيه يا أيها المسلم افعل كذا ويا أيها المسلم لا تفعل كذا.

كلمة مسلم وردت بقلة في القرآن، وهي حالة قلق، على الإنسان الانتقال السريع من مستوى البشر الى المسلم، وينتقل بسرعة من المسلم الى الإيمان، وإلا فمن المحتمل ان ينحرف، فذكر حالة العمل الصالح في القرآن قد سبقت بـ آمنوا، ويجب نشوء آمنوا فعلاً، وكيف ينشأ؟ فيجب ان لا يكون وفق هوانا، وانما يجب أن يكون وفق ارادة الله الرحمن الذي أمر ذات الرسول (عليه السلام و البركات) في القرآن، ويجب أن يكون بنفس الطريقة التي آمن به الرسول (عليه السلام و البركات) بالله واليوم الآخر، ولو كان الله الرحمن طريقة افضل من هذا الأسلوب لعلمه للرسول، ولكن الظاهر بأن افضل طريقة هو اسلوب القراءة (اقرأ بأسم ربك الذي خلق)، ان يقوم في الليل (قم الليل إلا قليلاً) وبهذا النوع ينشأ الإيمان، وكل ما تبقى رتوش وطلاء، ولذلك اعيد واكرر في كل مرة،

الصلاة التي نصليها صلاها ابوبكر (رضي الله عنه)، ولكن صلاتنا تختلف عن صلاته، وتلك الساعات التي صامها ابوبكر نصومها نحن، ولكن الفرق بين صيامه وصيامنا هو اننا مسلمين وهو كان مؤمناً، وكيف اصبح مؤمناً؟ بطريقة الرسول الذي علمه القرآن، والذي نقل الرسول اليه.

وأما نحن تعلينها على مجموعة من الكتب، فتحنا اعيننا والمسجد موجود وهناك من يعلمنا القرآن، ويكون معنا من سورة (البقرة) أو من (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ) (الناس 1)، فيمر عليه الى الأخير، فختمنا القرآن، وعند ختمنا للقرآن نحاول أن نعلم غيرنا، وأن نصلي بالجماعة كما يصلون، ونصوم كما يصومون، ونتعلم بعض المصطلحات الموجودة في القرآن، ليستوعبنا الاتجاهات الموجودة ونصبح من جماعة فلان وفلتان.

علماً لا يزال في دواخلنا الباطل والأثم والشرك ومنه الشرك الخفي، ومليء بالكبائر والذي سلط الله الرحمن الأضواء عليه في القرآن، وما عدا ذلك ففي ظاهره من الكبرياء الظاهر، حسناً فلماذا هم لم يكونوا هكذا؟ السبب كان إيمانهم بطريقة الله الرحمن الذي يرضى عنه، ويعيده الرحمن بكثرة، فلا تملوا انتم من تكراري وأعادتي.

التكرار هنا كحبة القمح، الذي يدسه المزارع في التراب ويسقيه كمرحلة اولى، حيث يحتاج الى الماء، ولا ينمو من غير سقاء، وعند سقايته كمرحلة اولى تنشأ حالة في داخل حبة القمح، فيقطع مرحلة، يلين فينبت البادرة، فيريد ان يخرج الى فوق الأرض ورويدا فرويدا، وإذا لم يسق بالماء سيموت جفافاً، فينزل الله الرحمن عليه الماء، ويأخذ كمية أخرى من الماء فينمو اكثر، ويحصل مرحلة جديدة في داخل حبة القمحة، وإذا لم يسقى بالماء مرة أخرى سيتعرض الى الجفاف، ولذلك يجب سقيه وهو نفس الماء الذي انزله الرحمن، وبنفس الماء يسقى فينمو بعد وهلة، ويحصل مرحلة جديدة اخرى في داخل القمحة، وإذا لم

يسقى بالماء سيتعرض للجفاف مرة أخرى، فيجب سقايته مرة أخرى، إذن فهذا التكرار والأعادة لا يوجد حالة من الأشمئزاز والسئم، والأنزعا ج عند حبة القمح، على العكس فحبة القمح مشتاقه للماء. وهكذا يكون قلب الإنسان المؤمن الحقيقي الصحيح مستعداً، ومشتاقاً لتكرار واعادة سور مفاهيم الربوبية ليتم تثبيتها في داخله، وكذلك لتثبيت مفاهيم (اليوم الآخر) في داخله، وهذا هو الأصل، ولذلك (وبلا تشبيهه) فعندما يتحدث الله الرحمن عن الربوبية فيقدمه مرة بهذا الوجه، ومن ثم يغيره على الوجه الآخر، فالآخر ومن ثم يقدمه على الوجه الذي يليه، وذلك و(بلا تشبيهه) ليتم دخول مفهوم الربوبية إن كانت مجسمة الى قلب الشخص المؤمن بمجسمة فعلية، ليحيا حقيقة مع مفهوم الربوبية و بلا مجاملات.

كلمة (آمنوا) لم ترد في ذكر الصحابة لمرة واحدة فقط

إذا أراد الله الرحمن ان يقدم (اليوم الآخر)، فسيقدمها بنفس اسلوب الأعادة للذبات، إذن فالحالة ليست مكررة، ويجب علينا ان نحيا بهذه الحالة معه بترتيب نزول القرآن وبنفس الأسلوب، ولا نقفز من سورة ولا نرتقي الى المرحلة التي تليها حتى نعلم وعلى الأقل بأنه نشأ ارضيته في داخلنا، وهذه صيغة نشوء الأيمان في داخل الإنسان.

فكان احساس الذين آمنوا مع رسول الله رضي الله عنهم وارضاهم بحالة من الضيق لأن الذي طُلبَ منهم ضخم وصعب فعلاً، وكأنه يتطلب منهم التفرغ، ف شخص كسهيب صاحب محل وكاسب، وعلى عاتقه عائلته، فهل يستطيع ان يغلق محله ويذهب الى البيت ويجلس للقراءة؟ وإذا قام الليل كله عليه ان ينام

ويرتاح في النهار، فكيف يستطيع العمل للكسب في النهار! وذلك صعب لأن هذا ليس ليوم أو يومين ولا لشهر وشهرين، وحينها سيفشل في حياته الاقتصادية، فيأكل رأس ماله ويعلن افلاسه، وبالرغم من أن صهيب انقذ نفسه بماله من ذلك الكافر عند هجرته من مكة الى المدينة، حيث تبعه الكفرة ومسكوه، وصهيب اوروبي غريب صاحب مال وغني يعيش معهم فقالوا له "جننتنا فقيراً فكسبت الأموال وتريد الآن ان تذهب انت ومالك لتدعم (محمدأ) هناك؟ كلا سوف لن ندعك تفعل ذلك، فقال لهم وهو شخص ذكي " أ تتركوني لو اعطيتكم مالي؟ فقالوا نعم، فقال اذهبوا الى المكان الفلاني وضعت فيه كل مالي فخذوه، وقبل أن يصل صهيب عند رسول الله (عليه السلام و البركات) قطع الله الرحمن تصوير هذه الأحداث ووضعها امام عيني الرسول، وكان الرسول (عليه السلام و البركات) اول من استقبله في المدينة، وقبل ان يجيب سلامه قال له الرسول: (ربح البيع يا أبا يحيى) (ربح البيع).

نعود على صيغة نشوء الإيمان، لو أكل صهيب راس ماله باستمرار لأتى عليه يوم واعلن افلاسه، وعليه ان يتسول، فهل يترك الرحمن عبده الذي يحبه بهذا الحال؟ فكيف هو لم يتركه ليجن ويمسه الجن، وكذلك فلن يتركه يفلس.

ماذا قال الرحمن لمحبه؟

حسناً فالمطلوب منه ضخم جداً، وإن لم يقم كل الليل فعليه ان يقوم قسم من ثلاثة اقسام الليل وينشغل بنفسه، لقد قيل للرسول (عليه السلام و البركات): (قُمْ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا) (المزمل ٢)، قم كل الليل إلا قليلاً منه، ففي نهاية سورة (المزمل) (إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ) والقضية موجهة للرسول (إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ) (المزمل ٢٠) يا محمد (تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ) (المزمل ٢٠) اثنان من ثلاث (وَتُؤْتُهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ) (المزمل ٢٠)، فلست وحدك من تقوم يا محمد، فهناك طائفة تقوم مثلك، فلم يستعمل القرآن كلمة

(آمنوا) هنا، وفي كل الاماكن ورد (الذين آمنوا معك) للصحابة، ولماذا هنا لم يقل (الذين آمنوا)؟ لأن ايمانهم لم يصل الى المستوى الذي يقر به الرحمن، (وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَن لَّنْ نُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ) (المزمل ٢٠)، ويعني ذلك بأن عدم قيامهم كان من الذنب، ولهذا عقبه الأمر بالتوبة، (عَلِمَ أَن لَّنْ نُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ) (المزمل ٢٠)، فعدم قيامه كان ذنباً، وهذا كان اسلوب نشوء الإيمان في قلوبهم. فماذا فعل الرحمن لهم مقابل هذا الجهد الضخم؟ الجواب: يوجز الرحمن أسلوب القراءة لذات رسول الله (عليه السلام و البركات) في سورة تاسعة (الأعلى) في ترتيب النزول، كموجز الانباء، ومرة أخرى يوجز الرحمن له القراءة ويقول: (سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى) (الأعلى ١)، وفي سورة (المزمل) (قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا) (المزمل ٢) وبعدها ماذا يفعل في النهار؟ (إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا) (المزمل ٧) ولقد ذكرنا كل هذا.

وهنا يعيد عليه التسبيح، بأي شيء؟ (سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى) (الأعلى ١) وكله (الرب)، لكي يتم تثبيته في داخله؟ وما عمله؟ (الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى) (الأعلى ٢)، (خَلَقَ فَسَوَّى) عملان بواو واحدة (وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى) (الأعلى ٣)، وهذه قاعدة الله الرحمن على كل مخلوقاته، (يخلق، فيسوي)، (يقدر، فيهدي)، فهنا (الخالق، البارئ، المصور) هو التسلسل للمخلوقات.

ويعني هذا بأنه على الرسول (عليه السلام و البركات) عند القراءة معرفة مبدأ خلق المخلوقات؟، ويعلم كيف جاء مبدأ قانون الخلق، وذلك لكي يقرأ الرسول (عليه السلام و البركات) في الليل بعلمية وموضوعية واكاديمية كالمختبر، ويسبحه في النهار (سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى * الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى * وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى) (الأعلى ٣، ٢، ١).

وبالطبع هذا فيه شروح كثيرة، وبتوفيق من الرحمن قوموا بمراجعة التفاسير وخاصة الكشاف إن شاء الله.

العلوم معرضة للنسيان

يذكر لنا القرآن مثلاً هو مبدأ وقاعدة خلق الله الرحمن لمخلوقاته، وتطبق هذه القاعدة على جميع مخلوقاته، فيضرب الرحمن له عليه مثلاً " (وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى * فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى) (الأعلى ٥، ٤)، انظر الى المرعى، وهو أقرب حركة للحياة، وهونصب عينيك ومن الخلق، أعد النظر فيه، وقم بمدارسته وقرأته، (وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى * فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى) (الأعلى ٥، ٤)، هل انتهى الموضوع؟ (سَنْقَرُوكَ فَلَا تَنْسَى) (الأعلى ٦) (افراً بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ) (العلق ١) وهنا (سَنْقَرُوكَ فَلَا تَنْسَى) (الأعلى ٦)، سنزريح النسيان من هذه القراءة إن وجد وإن كان من عمل الشيطان، (سَنْقَرُوكَ فَلَا تَنْسَى) (الأعلى ٦).

والقراءة ينشأ حالة الذكر، التذكر ويعني بأن الشخص المؤمن يتذكر الرحمن في كل وقت، وبواسطة القراءة يتم ازاحة النسيان، فالنسيان حالة انسانية (فَنَسِيٍّ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً) (طه ١١٥)، ويجب ازاحة هذه الحالة الانسانية، كيف؟ بواسطة القراءة، ومن يعلم الرسول هذه القراءة؟ الله الرحمن، فلا يقول (سنعلمك)، وانما يقول (سنقرؤك)، هل لاحظتم؟ (سَنْقَرُوكَ فَلَا تَنْسَى) (الأعلى ٦) علماً بأن العلم فيه نسيان.

مثلاً: حفظ ابيات من الشعر، وبتصورنا هو تعلم هذه الأبيات، وانشأ له علم في هذه الأبيات الشعرية، علماً بأن هذا ليس بعلم، وليس بقراءة، وانما هو مدارس وتلقين، مبدأ معلوماتي مادي ومختبري او معنوي، انساني بشري، والذي يستوعبه الأنسان، وهو ليس بتعلم وانما نشوء معرفي في دماغه.

فهنا الرسول (عليه السلام و البركات) لا يتم تعليمه وانما يتم قراءته، (سنقرؤك) ولا يقول نلقنك أو سنعلمك، سنعرفك أو سنلقنك، وانما (سَنْقَرُوكَ فَلَا تَنْسَى) (الأعلى ٦)، جبريل (عليه السلام) علم الرسول القراءة وليس التعليم، وليس التعريف ولا التلقين، فما يفعله المدرس في المدارس هو تلقين، ففي يديه كتاب الكيمياء ينقل منه

ويضرب امثلة خارجية لدماغ المقابل، ففي لغة القرآن هذا تلقين وليس بتعليم، فهنا نتحدث عن لغة القرآن، فالشخص الذي يلقي يزداد معرفة دماغه، فالتعليم في الصدر وهو عائد لله الرحمن، ورأس الإنسان هو للمعرفة، فالتعليم يكون في الصدر (الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ

* خَلَقَ الْإِنْسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ) (الرحمن ١-٤) وهذا العلم يظهر بالقرآنة، (سَنُقْرِؤُكَ فَلَا تَنسَى * إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى) (الأعلى ٦-٧).

وهي حالة صعبة (وَنُيْسِرُكَ لِلْيُسْرَى) (الأعلى ٨)، فمن الذي يبسره ويسهله؟ الله الرحمن، وينظر الى داخل قلب الرسول (عليه السلام و البركات)، وينظر الى قلب المؤمن فإذا كان فيه شوق ولهفة للوصول الى الله الرحمن، وهنا يستعمل كلمة الأرادة لهذه الحالة، فسيمنح الرحمن التوفيقات عند رؤية هذه الحالة فيهم، فكلمة (وَنُيْسِرُكَ) تعني سننشأ حالة من التسهيل، (وَنُيْسِرُكَ لِلْيُسْرَى) (الأعلى ٨)، ومن ثم (فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَى) (الأعلى ٩).

مراحل الدعوة

ذكرنا المراحل الثلاث لدعوة الرسول (عليه السلام و البركات) في دروس السيرة، وسنذكر هنا مرحلتين منها:

- الأولى المرحلة: (وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ) (الضحى ١١)، أي نعمة؟ ورد في سورة (القلم) للرسول (مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ) (القلم ٢)، إذن المرحلة الأولى هي النبوة وليست الرسالة، فالنبوة تحدث بالنعمة (وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ) (الضحى ١١) وما هي النعمة؟ (مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ) (القلم ٢)، وها نحن نطلب في سورة (الفاحة) (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ) (الفاحة ٧، ٦) وهذه المرحلة الأولى من النبوة (وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ) (الضحى ١١).

- المرحلة الثانية للنبوة: (فَذَكَرْ إِن نَّفَعْتَ الذُّكْرَى) (الأعلى ٩) لمن؟ (سَيَذَكَّرُ مَنْ يَخْشَى * وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى * الَّذِي يَصَلَّى النَّارَ الْكُبْرَى) (الأعلى ١٠-١١-١٢) ففي السور الرابعة والخامسة من ترتيب نزول القرآن يذكر فيهن الشقي، ويذكر (يَصَلَّى النَّارَ) ايضاً، كما ذكرناه سابقاً.

(ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى * قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى) (الأعلى ١٣-١٤)، فالفطرة ارضية الإيمان وهي موجودة، وذكرنا كلمة تزكى في الدرس الخامس، (هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ) (الجمعة ٢)، فالمرحلة الأولى (يتلوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ) فعندما قام الرسول بالتلاوة بدأ ابو بكر بالقراءة، فواجب الرسل والأنبياء هو التلاوة فقط، فالرسول يتلوا والاشخاص المقابلين لهم يبدؤن بالقراءة، وهنا يقول سيدنا ابراهيم: (رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ) (البقرة ١٢٩)، فهناك تقديم وتأخير في دعاءه، فعده له الرحمن.

وهذا عمل الأنبياء كآدم ونوح وابراهيم الذي يطلب في دعاءه من الله الرحمن ان يبعث لهم رسولا يتلوا عليهم، ويعطي الرحمن نفس الصفة لرسولنا (هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ) (الجمعة ٢)، وعند تلاوته على الشخص المقابل يبدأ المقابل بالقراءة، (يتلوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ) (الجمعة ٢)، وبعد القراءة تتحول الفؤاد الى الفطرة، الإيمان هو ارضية داخل الفطرة، فعندما يتحول ارضية الفؤاد وهو الإيمان الى الفطرة ينشأ به الدرجة الأولى من الإيمان، وهذه هي الدرجة التي يقر بها الله الرحمن ويجب ان يترقى رويداً فرويداً.

الأختيار يكون بالحرية لا بالاكراه

كلمة التزكية تعني النمو، ولقد ذكرناه بالتفصيل في الدرس الخامس، هنا يقول الرحمن: (قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى) (الأعلى ١٤)، فالكلمة ليست زكا وانما (تَزَكَّى) ويعني يجب ان يكون عليه ارادة نفسه، هو من يؤديه ويصرف عليه الجهد الكبير، (قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى * وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى) (الأعلى ١٤-١٥)، وهذه المرحلة للرسول (عليه السلام و البركات)، أقصد ضع خطأ تحت (وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى) (الأعلى ٨)، حسنا فإذا كان هذا للرسول، فماذا عن ابي بكر؟ فالذي قرأناه كانت السورة التاسعة في ترتيب النزول كانت للرسول (عليه السلام و البركات) والسورة العاشرة المنزلة من عند الرحمن حيث يقول: (والليل إذا يغشى، والنهار إذا تجلّى، وما خلق الذكر والأنثى) فهنا للزمن وضوح مرة أخرى، وهذه الحالة مطلوبة من الذكر والأنثى، فكل الذكر والأنثى مسؤولين بهذه الحالة، ولا يتحدث هنا عن المخلوقات الأخرى، (وما خلق الذكر والأنثى) فكل البشر مسؤولين عن هذه الحالة، (ان سعيكم لشتى، فأما من أعطى واتقى، وصدق بالحسنى، فسنيسره لليسرى) ومرة أخرى ضع خطأ تحت (فسنيسره لليسرى، وأما من بخل واستغنى)، وهنا في سورة (العلق) (إن الإنسان ليطغى، أن رآه استغنى) هل تتذكرون؟ (إن الإنسان ليطغى، أن رآه استغنى) وهنا (وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى) (الليل ٨) الاستغناء ليس بالمال، الاستغناء من ذات الله الرحمن (وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى) (الليل ٩-١٠).

الجبرية والقدرية هما مفهومان خاطئان منشأان في فكر اهل السنة والجماعة، جماعات قديمة كانت تقول بأن الله قد كتب علينا الجبر والأختيار، وهذا موجود في فكر الفلسفة الإسلامية، فليس للرحمن قدرى وجبرى في القرآن.

ولكن عنده التيسير والتعسير، فالتيسير مربوط بذات الإنسان (وأما من أعطى واتقى * وصدق بالحسنى * فسنيسره لليسرى * وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى * وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى * وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى) (الليل ١١)

حسناً فما هي كلمة اليسرى هنا؟ الرحمن دفع الرسول (عليه السلام و البركات)
(سَنُقْرِؤُكَ فَلَا تَنْسَى * إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ) (الأعلى ٦-٧) (وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى) (الأعلى ٨)

فهذا لذات الرسول، واما جمع المؤمنين فهذا لهم: (وَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَ
صدق) (الليله)، حسنا فماذا يمكن ان يكون اليسرى هنا؟ ففي سورة القمر اعاده
الرحمن لأربع مرات في سورة واحدة (وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ
مُدْكِرٍ) (القمر ١٧) وهذا هو اليسرى.

إذن فإذا كانت الأرادة الموجودة في داخل هذه المجموعة فعلاً من نوع
الأرادة الموجودة في داخل قلب ابو بكر للوصول الى الله الرحمن، فسيسهل عليه
وييسر له ذلك، فكلمة تيسير اسهل من السهل، ولا ساعة له، وهناك ملائكة
مختصين يوقظونهم في الليل، وهذا موجود في البخاري وهو حديث صحيح،
هناك ملائكة معينين خصوصاً ولهم اسماءهم الخاصة، يوقظون الشاب الذي
يريد ان يقوم الليل، قيام الليل وليس التهجد، يقوم الليل ليقراً، صدقوني سيوقظه
في ساعتها، ولكن فقط يكون له الأرادة، لا ان يوقظه فيسحب الغطاء ويقول لم
يحن الوقت بعد، إذن فالتوفيق والتيسير من الله الرحمن، لأي شيء؟ لكي
يستوعب الأيمان فعلاً وفق القرآن، فعند تحول القرآن الى ذكر، فسيُدفع هذا
الأنسان فعلاً الى الخير المطلق باستمرار، فينشأ له الأيمان الحق بالله الرحمن
والأيمان الحق باليوم الآخر.

دعاء

يا ربي بلطفك وكرمك وبأفعالك وبأسمائك الحسنى وخالقتك وكبرياءك
وعظمتك، وبقدرتك وفعلك الرشيد أرنا وسائل الأيمان الحق، ويسره لنا وادفعنا
نحوه، واجعل من نصيبنا ايماناً كإيمان ابو بكر، لكي يكون من نصيبنا آخرة

كآخرة ابي بكر، وثقوا لو لم ينشأ مثل هذه النماذج، سوف لن ننجوا في الدنيا، ويستمر هذا العيش، ولا يكون في ايدينا الورقة البيضاء النظيفة في الآخرة.

الجزء الرابع عشر

الركن الثالث

صيغة الإيمان بالملائكة

نستمر في نهاية دروس احياء الإيمان في داخل الأنسان، وسنتحدث عن الملائكة، وكيفية الإيمان بالملائكة، وهو جزء من الأجزاء المكملة للإيمان، وبالصيغة التي ذكرها الله الرحمن في القرآن.

في الحديث عن الإيمان واسسه قلنا بأنه ذو بعدين: (الإيمان بالله واليوم الآخر)، والثلاث الباقية مكملة لهما:

أولاً: الإيمان بالملائكة.

ثانياً: الإيمان بالكتب.

ثالثاً: الإيمان بالرسل.

مجموعة من المراتب والتصانيف الموجودة بين المؤمن والكافر

أكدنا على حالة خلق وإيجاد الله الرحمن الكون والوجود بنظم وقوانين معينة، وحتماً أن هذه المخلوقات قد خلقت وفقاً لهذه النظم وهذه المعيارية، ووفق هذا الميزان، والعلاقات التي بينهما وحيث تنشأ الترابط بهذه القانونية، ولقد جعلها الله الرحمن من السنن على نفسه، ويتعامل مع المخلوقات وفق هذه القانونية والمعيارية ما دامت وجود البشر والكون.

كل شيء له نظامه وقانونه في هذا الوجود، ولقد خلق الرحمن كل الوجود للبشرية وللإنسان، وخلق الإنسان للعبادة، وبالطبع سوف لن يترك صيغة نشوء العلاقة بين ذات الله الرحمن مع البشر الذي خلقهم للعبادة لأعتبارات فوضوية، وأصل مفهوم العبادة يبدأ من الإيمان، فحتماً يجب أن ينشأ هذا الإيمان حسب قانون ونظام في داخل الإنسان من جديد.

لا يعد الله الرحمن آية اعتبار لصيغة نشوء إيمان بالكتب وحتى كتب الصحاح، ماعدا الطريقة والصيغة التي مر بها رسولنا (عليه السلام و البركات) في نشوء الإيمان، وذلك لأن الإيمان يجب أن ينشأ وفق إرادة الرحمن، وعندها يتم قبول الأعمال الصالحة من الإنسان، ويطبع على العمل بطابع العمل الصالح.

وإذا لم يتم استيعاب الإيمان بهذه المرحلية والنظامية، ولم يؤخذ ويتشرب في داخل الإنسان، ولم يحول إلى الواقع، فهذا تمسلم وليس بإيمان، هو التسليم لجملة من القوانين والأنظمة، علماً لا يوجد اعتبار ولا مصداقية لذلك في داخل ذات الإنسان، فلم يذكر الرحمن ربط العمل بالمسلم في القرآن، ولم يقل في كل القرآن: الذين أسلموا وعملوا الصالحات، لأن القرآن يعتبر من يسلم (المسلم) حالة قلق، فيجب أن يستسلم لذات الرحمن، وينتقل تلقائياً من دائرة الإسلام إلى دائرة الإيمان، وإذا لم يصبح مؤمناً فلا اعتبار لأي من أعماله في ميزان القرآن

والسنة، وبالطبع لا نقصد تكفير هذا الإنسان، لأن هناك تصانيف بين المؤمن والكافر في القرآن.

أنت لا تستطيع ان تكفر أي إنسان، فهذا أثر تاريخي تراثي موضوع في ادمغتنا، الإنسان اما ان يكون مؤمناً أو كافراً، وعلماً هناك تصنيفات ومراتب أخرى بين (المؤمن) والكافر في القرآن، مثلاً هناك ك (الأنعام)، و يصبح بعدها (انسان) ف(ناس) ف(بني آدم) ف(بشر) ف(مسلم) ف(مؤمن)، وكلها تصنيفات للذات وموجودة في القرآن.

الحكم بالتكفير هو من حق الله الرحمن فقط

فما وضع في ادمغتنا الآن (فمنكم كافر ومنكم مؤمن) هو من حكم وتقييم الله الرحمن في يوم الآخرة، ولا يبقى الحال على ما هو عليه، ويفصل البشر الى صنفين في يوم القيامة، مجموعة من (المؤمنين) فقط ومجموعة من (الكافرين) فقط، ولا يبقى هناك حالة وسطية حيثما يدعون، إذن يجب ان يكون أخذ الأيمان بالقانونية التي وضعها الله الرحمن، فكل ما للرحمن في هذا الوجود هو بالقانون، من أصغر مخلوقاته الى أكبرها تعقيداً، وكلها مرتبطة مع بعض.

فإذا كانت كل مأمورات ذات الله الرحمن وفق القانون، وكل شيء كان بهذا الشكل، فإن الأيمان بذات الرحمن أولى بأن يكون له قانون.

ولهذا يجب ان يكون اخذ الايمان بالقانون ووفق ترتيب نزول القرآن، وبهذا النوع آمن الرسول (عليه السلام و البركات) بالله الرحمن، وبهذه القانونية اعطاه لصاحبه، وبهذه القانونية آمنوا بالرحمن.

نزلت سورة (العلق) ومن ثم سورة (القلم، المزل، المدثر) وهكذا الى آخر سورة، فهذا ترتيب نشوء الأيمان في ذات قلب الرسول (عليه السلام و البركات)، وهذا ما

قدمه الرسول لجمع صحابته، وبنفس القانونية، و إذا لم ننشأ الإيمان في قلوبنا ودواخلنا بنفس القانونية فسينشأ الفوضى.

ولهذا كان العمل نتيجة الإيمان، (آمنوا وعملوا)، فإذا قمنا بمقايسة ومعايرة عملنا مع نتيجة عمل السابقين لرأينا بيننا فواصل وفروقات كبيرة، قبل قليل صلينا أربع ركعات صلاة العصر، وكان ابو بكر ومصعب يصلون نفس الأربع ركعات للعصر، فلماذا كان صلاتهم بهذا النوع؟ وصلاتنا بهذا النوع؟ ولماذا الخلل موجود في عملنا؟ لأن ايماننا غير صحيح.

تحدثنا عن هندسة كلمات القرآن، ف(الله) الرحمن هندسية نوعية دقيقة في القرآن، ووفق هذه الهندسة النوعية القرآنية، تأتي كلماته الى الوجود ويتم الاعتبار لهذه الكلمات، ولا يمكن الفصل بين هذه الكلمات اثناء التطبيق، و في أدنى تقديم وتأخير في هندسية كلمات القرآن سينشأ الخلل في ارادة الله الرحمن، ولقد ضربنا هذا المثل سابقاً، حيث لا يجوز للمصلي ان يركع قبل قرآته لسورة الفاتحة، ولا يجوز له ان يسجد قبل الركوع، وإن فعل ذلك فصلاته باطلة باجماع العلماء، وكما هو ظاهر فإن للصلاة ترتيب وقانون، ولا يأخذ بالأعتبار لصلاته لو كان هناك أدنى خلل في اداء هذه القانونية، فكيف يمكن ان ينشأ صيغة العلاقة مع ذات الرحمن بفوضوية؟ ووفق اعتبارات البشر، وكيفما يشاء يتصور الله الرحمن في دماغه، ويتصور الآخرة والرسول كيفما يشاء، ويتعامل مع القرآن كيفما يشاء، ويتعامل مع الملائكة وفق ارادته.

ولذلك فعندما لا يكون داخل الإنسان وفق هذه القانونية الحقة، فإن الفوضى يعم في تصوره، فيبدأ الفوضى مع ذات الله الرحمن الى ان يصل الى الملائكة، وأدنى خلل في صيغة نشوء اعتبار الإيمان بينه وبين ذات الله الرحمن، فالفوضى موجودة في داخله، ويتم كشف الفوضى من اعماله، (آمنوا وعملوا)، فالخلل في

العمل، وهو أصلاً دليل على وجود خلل في ايمانه الفعلي، لأن الإيمان عاكس العمل، والعمل تحقيق للإيمان.

الإيمان بالجن صحيح ولكن يجب ان يصرف الى الملائكة

وهذا تأكيد للرؤية أوصيغة رؤيتنا للملائكة، لماذا؟ لأنه لا يوجد رؤية صحيحة وصائبة عند الشباب بالنسبة للملائكة، ووجود الجن كبديل له في ادمغتنا، فلقد تم سحب الإيمان بالملائكة من ادمغتنا، فنحن لا نؤمن بالملائكة بالنوع الذي أقره القرآن.

إن الإيمان بالجن موجود، ولكن يجب صرف كل ذلك الإيمان للملائكة، من حيث صرفناه نحن للجن، علماً بأن هناك اعتبار للإيمان بالجن في القرآن، ولكن هذا الإيمان من نوع معين، ليس كالأيمان بالملائكة، ولهذا فإن الله الرحمن يذكر الرؤية المجسمة للملائكة في القرآن، وذلك لكي يتم فعلاً نشوء الحالة الأيمانية الحقيقية القانونية القرآنية والسنية في داخل الإنسان، وعندئذ لا يكون هناك مجال للخلل، ولا ينشأ الأختراقات للشياطين، وبلا تشبيه كأن نقول الكأس الفارغ لا يوجد فيه ماء وإنما فيه هواء، فإن استطعنا ان نملء الكأس بحصة الإيمان بالملائكة، فلا يصبح هناك مجال للجن والشياطين ليخترقوه، لأنه مليء وكثافة الماء اكبر من كثافة الهواء، فإذا وضع الماء وهو الحق فسيدفع الهواء.

لهذا فنحن متأثرين بهذه الأجواء، لأن حقيقة علاقة ايماننا بالملائكة ليست برؤية قرآنية، ولذلك فمن الحق ان ينشأ الخلل في الداخل، وينشأ الفوضى ويحول الى الواقع.

الملائكة مخلوقات معينة، خلقهم الله الرحمن من مادة معينة، ولهم مواصفاتهم واعمالهم الخاصة بهم، وفي الأخير عندهم علاقة معينة مع

المؤمنين، وعلاقة معينة مع الكفرة، وعلاقة معينة مع الناس، ومع بني آدم، وعلاقة معينة مع الأنبياء والرسل، وكلٌّ حسب ترتيب وجوده في الكون.

فلقد ورد في صحيح الإمام أحمد: عن أم المؤمنين عائشة تروي عن الرسول (عليه السلام و البركات) قال " (خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ) (مسند أحمد)، وهذه مادة خلقهم، فالملائكة من نور، وهم مخلوقات لا بدن ولا صلابة ولا كثافة ولا سيولة لهم، فهم من نور، وكيف هذا النور؟ لا نعلم، ولكننا نعلم بأن النور مخلوق، وحتى الألوان التي ان يصل الي تحت الحمراء من النور، وكذلك اشعة x الذي يصور به صدر وجسم الإنسان من النور، ولكن كيف هم الملائكة؟ لا نعلم.

ولكن في حديث يذكر لنا الرسول (عليه السلام و البركات) بانهم من نور، ويذكرهم الله الرحمن في القرآن بأن لهم أجنحة، (مَّثْنَى وَ ثَلَاثَ وَ رُبَاعًا) (فاطر ١).

الملائكة يؤدون المهمات فقط (مأمورون)

مرة واحدة رأى الرسول (عليه السلام و البركات) جبريل على حقيقته، فذكر أن له أكثر من (٦٠٠) جناح، فأحجام الملائكة تختلف عن أحجام البشر، وفيهم الأقوياء حيث يحملون عرش الرحمن، ومنهم من حمل قرية لوط من تحتها بهذه القوة وقلبها عاليها سافلها، (فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَابًا مِّنْ سَجِيلٍ مِّنْ نُورٍ) (هود ٨٢).

وفيهم ذو صوت قوي ومعين، إذ يموت البشر إثر صوته فقط، كهلاك قوم صالح (على نبينا وعليهم السلام)، ومن الملائكة من يحمل جهازاً اسمه (الصور) ينفخ فيه قبل يوم القيامة، يصعق به كل من في الأرض والسماء، وكلمة الصعق غير كلمة الموت، فالصعق كحالة الإنسان عند تكهربه بالكهرباء، بالصوت فقط، وهذا

من الطبع الملائكي، كان هذا جزءاً من اوصافهم الخلقية، ويذكر الله الرحمن جزء آخر من طبيعتهم في القرآن: (وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ* لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ) (الأنبياء ٢٧-٢٦)، هم عباد الله الرحمن مكرمون ومحترمون، (لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ) لا يتكلمون قبل الرحمن، (وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ) يعملون بأوامر الرحمن، (يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ) (الأنبياء ٢٨)، الرحمن على علم بهم، (وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى) (الأنبياء ٢٨)، وهذا عملهم، (وَهُمْ مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ) (الأنبياء ٢٨) (يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ) (الأنبياء ٢٠).

ولهم صفات فعلية وعملية كثيرة في القرآن، اخترنا هذا في تعريف القرآن لهم، (وبلا تشبيهه) الملائكة كالجهاز مخلوق معين، (هذه الأمثلة اضربها لكم لتقريبها الى الذهن فقط، فالملائكة ليسوا كذلك فهذا مثال ليس إلا).

هذه الأعمال من حق الله فقط

بالطبع الملائكة خلقوا وفق ارادة الله الرحمن، لكي يتمكنوا من تطبيق ارادة الله الرحمن مئة بالمئة في كل ما يطلب، وهكذا خلقهم الله الرحمن لكي يطبقوا ارادة الرحمن قاطبةً وبشكل مباشر وتلقائي، وهم منضبطين ومستعدين دائماً، ينفذون اوامر الرحمن عند اصدارها، (يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ) (الأنبياء ٢٨)، ويعني لا يوجد في داخلهم ما يقدمونه، لا بالقبول ولا بالفعل ولا بالأرادة، لا يملكون شيء، الا ما وضعه لهم الرحمن.

ونقول مثلاً " لنعمل في حدود ما وضع في دماغنا اصلاً، كل واحد من جملة الملائكة له تعليماته الخاصة به في العمل، فمثلاً هناك مجموعة فقط في جهنم تقوم بتعذيب الأنسان، (وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً) (المدثر ٣١)، وتقويم وجوده يكون بواسطة التعذيب، فكلما قام بالتعذيب على أتم وجه شعر بأرتياح

أكثر، هكذا وضعه وخلقه الرحمن، له مجاميع من التعليمات، بهذا النوع وبالدرجات.

ففيهم الوسيط بين الرحمن وبين البشر، سفراء، يأمرهم الرحمن بأن يقولوا كذا للرسول الفلاني، فينزلون وينقلون ما أمر الرحمن مطابقةً، فمنهم من ينزل الكتب خاصة، كجبريل مسؤل الوحي بين الرحمن وبين الأنبياء والرسل، فكلُّ له عمله الخاص به، ويعملون بين الكرة الأرضية والسماء.

ولنا علاقة معهم في مفهوم الإيمان، ولا علاقة لنا بغيرهم، ولا علاقة لنا بما هو موجود في خارج الكرة الأرضية، وعلاقتنا بما هو موجود في حياتنا ومعيشتنا اليومية، بيننا وبين الرحمن على الكرة الأرضية، فالذي يطلبه الله الرحمن هم يؤدونه، وهذا الأفق مهم، وأقصد أخذ الإيمان، فهناك جملة من الأمور يؤديها الرحمن بهم، فأغلب الكلمات أو الأفعال والتي استعمل الرحمن فيها حرفاً (نا) في القرآن فالملائكة داخله فيها، على سبيل المثال " (أنزلنا، أمطرنا، أخرجنا، خلقنا) كل كلمة استعملت معها حرفي النون والألف (نا) فالملائكة جزء في الموضوع.

ويعني ان الله الرحمن بواسطة الملائكة يعمل هذا العمل، وهذه وظيفة الملائكة، مثلاً: خلق الله الرحمن أول انسان بيديه، (مَامَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي) (ص ٧٥)، فاستعمل (خَلَقْتُ) لآدم فقط، وما تبقى استعمل النون والألف معه، لماذا؟ لأن الله الرحمن خلق المواد الأولية في الأصل، فيأتي الملائكة من بعده ليكملوا الأجزاء الأخرى، وليس خلقاً وأضافة وأحتواء.

مثلاً: التنزيل، فعند تنزيل مقررات الرحمن وتقديراته من السماء الى الأرض، ففي أول فصل عمله الله الرحمن ومن ثم اعطاه بيد الملائكة، مثلاً: التصوير، تصوير الإنسان في داخل الرحم، فأن الله الرحمن وضع الخريطة كلها، فتأتي الملائكة وتؤدي العمل، وكل ذلك يعود للملائكة، ويجب علينا الإيمان بجملة

الأعمال التي يؤديه الملائكة، فهؤلاء بالفعل منفذين مطلقين لأوامر الله الرحمن، وحتى فعل الأخراج.

ولكن هناك افعال وردت في القرآن لله فقط، كالحكم مثلاً، فلم يُقَلَّ حكمنا، فمثلاً لم يذكر العلم للملائكة لأنه خاص بالرحمن، وهذا هو الفارق، فجملة من الأمور له علاقة بذات الرحمن وذكره كفعل لنفسه، فمثلاً لا يوجد في كل القرآن كلمة حكمنا، وبالطبع هناك افعال اخرى كثيرة.

إن يتم اداء كل ما يأمره هو وفق خريطته ووفق مشيئته وارادته على الكرة الأرضية والكون، بواسطة الملائكة ايضاً، فاستعمل حرفا النون والألف في الكلمة، وبالطبع هذا كثير في القرآن، ولهم اعمال اخرى، وهناك اعمال لملائكة خاصة ومأمورة به كحمل العرش، أمرهم الله الرحمن بحمل العرش فقط، والى آخره من الأعمال.

وقوف الملائكة عند المؤمنين

اما علاقتهم معنا نحن المؤمن فهي الشفاعة، اعطي للملائكة حق الشفاعة لأنه مكرم عند الله، ولكن ضمن الدائرة التي وضعها لهم الرحمن، وبالطريقة التي وضعه لهم الرحمن، وبأذن الله الرحمن للأشخاص المحددة من قبل الرحمن.

إن فالكل مأمور ولكن كمقام تكريمي للملائكة بأن يشفعوا بأمر من الله الرحمن للشخص الفلاني، وجاءه حق الشفاعة في هذا فقط، ولا يستطيع ان يشفع فجأة من نفسه حيثما شاء ولمن شاء، وهذا غير موجود في القرآن، فيجب ان يكون الأذن من عند الله الرحمن، ولمفهوم الشفاعة يحدد الرحمن الأشخاص

ونوعية الشفاعة، إذن فالحالة تكريمية فقط، فليس بيد الملائكة أي شيء وحتى الأنبياء والرسل.

ولهم بعض العلاقات مع جمع المؤمنين، منها مع الأنبياء والرسل ومنها مع الصالحين، مثلاً: بالنسبة للأنبياء والرسل فما عدا تنزيل الكتاب والحفظ والحماية فعندهم المناجاة كقوله: (فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي) (ال عمران ٣٩) وللمريم: (وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ) (ال عمران ٤٢)، فهو قولٌ لمريم ومناداة للنبي الفلاني، فكل منه مقامه الخاص به، فان مريم كانت نبيه، وفي موقع آخر يقول الرحمن: (فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا) (مريم ١٧) وبالنسبة لجمع المؤمنين فيحتمل ان يتمثل الملائكة لهم وينصحونهم ويوجهونهم على شكل بشر فقط بدليل: (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ) (فصلت ٣٠)، وماذا يقولوا لهم: (أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ * نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ) (فصلت ٣١)، ضع خطأ تحت (نحن) (أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) و (وَفِي الْآخِرَةِ)، ومن ثم في الآخرة (وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ)، فكلمة ولي في القرآن وردت بأربع معاني (معين، نصير، صاحب، صديق)، إذن هناك علاقة مباشرة بمفهوم الولاية في القرآن بالنسبة للإنسان المؤمن صاحب الاستقامة، وعلاقة الولاية بين الإنسان المستقيم والملائكة مبنية على مفهوم الولاية، تولى وتعني صاحب والصديق والمعين الذي يعاونه، والنصير الذي ينصره، فبهذه المعاني الأربع للملائكة علاقة مباشرة مع المؤمنين في الدنيا والآخرة، (نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ)، (وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ) (الشورى ٥).

كيفية الإيمان بالملائكة؟

وكل ما ذكرناه هو من اوصاف الملائكة، فكيف نؤمن بالملائكة؟ يأخذ الإيمان بالملائكة العمق والحيوية من الإيمان بذات الله الرحمن، وكما قلنا فإن للإيمان ركنان رئيسيان، (الإيمان بالله الرحمن والإيمان باليوم الآخر)، ويتبعهما ثلاث اركان، الإيمان (بالرسل والكتب والملائكة)، ويأخذ التوابع الثلاث قوتهم من ذات الرحمن.

إذا فهم الإنسان حقيقة مفهوم الربوبية كمعرفة، وانشأ في داخله مفهوم الربوبية بواسطة القراءة ليلاً، وأعاد وأحياه في داخله، فيحس بأن العلاقة بين ذات الرحمن وبين هذا الإنسان المؤمن غير مقطوعة، وهي علاقة صميمية وجذرية وحيوية، ففي تلك اللحظة هو مؤمن بالله الرحمن، وعندها يبدأ العلاقة مع الملائكة، وهي غير مقطوعة حتى بعد الجنة، وينشأ العلاقة من لحظة الإيمان بذات الله الرحمن، ويحس بأن الله الرحمن لم يهمل هذا الكون.

فيأتي مثلاً يتصور الشمس، تشرق من المشرق وتغرب من المغرب، فحركتها ليست اعتباطية وإنما هناك ملائكة تحركها بهذا الشكل، لأنها غير عاقلة، وكذلك القمر وارتباطه بالأرض، فالملائكة تمسكه بالجاذبية، وكذلك الماء المنزل من السماء، ينزله الملائكة بالكم والمقدار اللازم، وكله من الآيات، وترعى الملائكة كل ما يخرج من الأرض، وبالطبع تُخرجه وفق خريطة الله الرحمن.

إذن عندما يأتي المؤمن ويمارس القراءة لذات ربوبية الرحمن، فيحس المؤمن عندها بحالة شفافية الملائكة، فيمارس حالة قراءة الملائكة لمدة شهر، ستة اشهر، سنة، فيحس فعلاً بأن الملائكة جزء من ايمانه، وهناك علاقة مباشرة

وصميمية بينهم، لهم علاقة صداقة وولاية مع الملائكة، ومادام لم تكن مريم نبية وتعرضت للحالة الموجودة في القرآن وهي آيات، آيات شرعية، فمثلما الآيات الكونية قابلة للتكرار فإن الآيات الشرعية قابلة للتكرار ايضاً، فليس من البعيد أن ينصح ويبين الملائكة للإنسان المؤمن عند احتياجه للتبيين في الدين.

فيروى في البخاري ومسلم بأربع روايات بأنه: كان جمع من الأعراب جالسين عند الرسول (عليه السلام و البركات) يؤمنون بالله ورسوله، ولكن مفاهيمهم في الدين قليلة، ينتظرون حديث الرسول والرسول ينتظر حديثهم: (كنا جلوساً عند النبي (عليه السلام و البركات) فجاء رجل شديد بياض الثياب شديد سواد شعر الرأس لا يرى عليه أثر سفر ولا يعرفه منا أحد فجلس إلى النبي (عليه السلام و البركات) فأسند ركبته إلى ركبته و وضع يديه على فخذه ثم قال: (يا محمد ما الإسلام) (صحيح ابن ماجه)، فاجابه الرسول، فسأله: (يا محمد ما الإيمان)، فاجابه الرسول، فسأله (يا محمد ما الأحسان) فاجابه الرسول، فسأله: (فمتى الساعة)، فاجابه، ومن ثم نهض ورحل.

فقال الرسول (عليه السلام و البركات) (ذاك جبريل اناكم يعلمكم دينكم)، أليس كذلك، فمن كان ذلك؟ جبريل، فمن المحتمل ان لا ينزل جبريل للاح الفلاني والفلتاني، ولكن قد ينزل له ملائكة بقدره، وإن كان من البشر فهل هناك مانع في القرآن!، لا يوجد دليل في آية ولا نص حديث بأن كلمة الهداية هي فعلاً فقط لزمان الرسول (عليه السلام و البركات) وللصحابية، وهي مقطوعة الآن، وهناك عشرات الأدلة في حياة (الذين آمنوا مع رسول الله) بأن كانت لهم علاقة صميمية مع الملائكة.

فإن للمؤمنين حفظة بدليل نص حديث روي في البخاري ومسلم والصحاح الأخرى، فكل المؤمنين عليهم حفظة، ولقد جاءت بكلمة حفظة، يحفظونه، وهذا

لذات الرسول (عليه السلام و البركات) ولجمع المؤمنين حفظة، يتعاقبون في صلاة العصر و صلاة الفجر، ينزلون مجموعات، طائفة تنزل و طائفة تصعد.

وهناك حديث صحيح بأن للمؤمن ملائكة خاصة تأتي اثناء النوم، يأتي احدهم ويقف عند قدميه، وواحد عند رأسه، وماعدا هؤلاء فإن هناك ملائكة كتبة (عند كتفيه) في حين ممارسة المؤمن للحالة الأيمانية الحقبة بالماديات، وللملائكة تدخل ايجابي في هذه المواضيع، تنشأ في داخله الشفافية والأستعداد في جهازه الداخلي للتفعيل، وعندها يمتلئ هذا البعد وهذا الفراغ بالإيمان بالملائكة، كما ذكرنا سابقاً كملء الكأس، وعند امتلاءه بالإيمان بالملائكة لا يبقى مجال للشياطين وينقصوا ويصبحوا محدودين، ولهذا فينشأ عند المؤمن جملة من الأمور، مثلاً (لا يأمره إلا بالخير)، فالملائكة يعطيه الصور الصحيحة فقط، لماذا؟ لأن الولي جاءت بهذه المعاني، فالرحمن ذكر هذه الكلمة، وليس زيداً أو عبداً، فإذا كان الإيمان بالملائكة بهذا النوع فعلاً، و قل الفراغ للشياطين فإن الفراغ يقل للجن أيضاً، وعندها لا يستطيع الجن ان يسكن في داخلنا، علماً لا يوجد دليل قرآني ولا دليل بالحديث، ان يدخل الجن داخل البشر.

كيفية نشوء الإيمان بالملائكة؟

لا يأتي الجن الى داخل ابداننا فكل هذا مئة بالمئة من الظنون، ولأن ايماننا بالملائكة محدودة، فاستطاع الشياطين فعلاً من ايجاد الفرص ليوحوا الينا فعلاً، بإمكانهم التشكل بالبشر والدخول الى داخلهم، وسلب ارادتهم وتمكنه من تشغيلهم لنفسه.

ولهذا ترى هذه الفكرة قوية جدا بين الشباب، وأثره السلبي قوي جداً، فله الأثر السلبي الواقعي، والإيمان بالملائكة الآن هو الحصن، لكي لا تصبح

قناعاتنا ومعارفنا بالنسبة للجن فعلاً بديلاً للإيمان بالملائكة، وإذا ترقى إيماننا فعلاً، فمن المحتمل عندئذٍ أن تتمثل الملائكة على شكل بشر وتقوم بنصحنا وتوجيهنا وتنويرنا، ودفعا للخير، فلا يبقى مجال للشياطين، وهذا النوع من الممارسة ينشأ في داخل الإنسان المؤمن هذه الحالة الأيمانية.

وفعلاً الملائكة موجودين في كل وقت، فقط في الحمامات ودور المياه لا تدخل معه الملائكة، وحتى اثناء العلاقة الزوجية تستأذن الملائكة وتخرج، و فقط في هذه الحالات وما تبقى فالملائكة موجودة مع الإنسان في كل وقت.

وينشأ هذا الأحساس بالقراءة، يقوم في الليل ويمارس هذه الحالة بأن الملائكة مخلوقة فعلاً وليست بخالقة، لكي يتم الأحساس بوجوده والتعايش معهم، فمثلاً: هذه من اعمالهم وايجابياتهم، والتفاعل والحيوية معهم في الحياة، في حياة الإنسان المؤمن، فإذا نشأة هذه القناعات عندها سيصبح إيماناً، حتى يصل فعلاً الى مستوى نشوء العلاقات الايجابية بين نفسه وبين الملائكة.

وبالنسبة للآيات في القرآن كثيرة تذكر اعمال الملائكة واوصافهم وكيفية حركتهم، فلهم نشاط على الكرة الأرضية، ولهم حركة ونشاط مع الأنبياء والرسل، وحتى على الذوات، وحتى على الكفرة، مثلاً: كيفية إماتة الكافر، ويقول الرحمن لعامة البشرية: (قُلْ يَتَوَفَّكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ) (السجده ١١)، أما الكافر فيختلف في موته مع المؤمن، كقوله: (وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ) (الانفال ٥٠)، قربوا الحالة مجسمة صوب اعينكم، فكيف يمكن ان يكون ايدي الملائكة حين يضرب به وجه الإنسان، فيضرب وجهه و ظهره في نفس الوقت، ماذا سيحدث لهذا البشر؟ تصورا هذه الحالة نصب اعينكم، ضربة الملائكة، (يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ)، وفي نفس الوقت يضربون ظهورهم، ليتصور هذا الإنسان ويعلم ماذا يجري لانحرافاته، فلماذا (وُجُوهَهُمْ) و(وَأَدْبَارَهُمْ)؟

يصور علم النفس اروع تصوير له، فلماذا الوجه والدبر معاً؟ ولم يقل الرأس، أو الأيدي والأرجل، وكل هذه الحالة موجودة في القرآن بصورة مجسمة، وعند قرأتك له اقطعه وضعه نصب عينيك، وتصور الحالة وكيفيتها؟ وكيف تنشأ؟ وماذا يحصل لهذا الأنسان؟ واثناء خروج روحه.

في سورة (آل عمران والأنفال) وفي سور اخرى من القرآن، نرى كيف يمد الرحمن الرسول (عليه السلام و البركات) وصحابته بالملائكة، فكل اعمال الملائكة وفق خريطة ومبرمجة، ولكنهم لا يعرفون القتال، ولهذا فإن الرحمن وضع لهم معسكراً ودرّبهم في المعركة، وأمرهم بأن يضربوا موضعين بالسيف الذي بأيديهم: (فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ) (الأنفال ١٢)، وكانت عند الملائكة قائمة لضرب الأعناق فمن كان فيها كانت الملائكة تضرب عنقه مباشرة، ومن كان في قائمة احتمال ايمانه مستقبلاً كانت الملائكة تضرب اصبعه، وكان هذا من المد النوعي ولحالة معينة، أمرهم الرحمن فنزلوا مباشرة، تدرّبوا وأدوا المهمة هناك، ومتى هذا؟ عندما يصل علاقة المؤمن الى السقف الذي يؤدي فيه الملائكة ما ليس من ضمن مهمته، وما الذي يفعل ذلك؟ نوع ايمان المؤمنين، وذلك يعني علاقة المؤمنين تفرض على الملائكة التعامل معهم على ذلك النحو.

للصحابة تسع طبقات

المؤمنين على الأرض بايمانهم واعمالهم الصالحة يفرضون على الملائكة هذا التعامل، وليس في هذه الحالات فقط، ولكن في هذه الحالة تدخل الرحمن بعظمته وقوته واقتداره، فيقول الرحمن للملائكة (إني معكم) (إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَتَبَتُّوا الَّذِينَ آمَنُوا) يثبتكم الرحمن بالملائكة ومن ثم (سَأَلْتَنِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ) وبعدها (فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ

كُلَّ بَنَانٍ) (الأنفال ١٢)، فما الذي استدعى الرحمن وهو في أعظم مستوى ان يأمر كل تلك الأمور لعباده المكرمين؟ الحالة الأيمانية للمؤمنين.

علماً نقص ايمان اشخاص منهم في أحد وخذق وغزوات أخرى، ولم يصلوا الى ذلك المستوى؟ لماذا؟ لأنهم لم يأخذوا الأيمان بقانون الأيمان بذات الله الرحمن، إذ كانوا ممن دخل الأيمان حديثاً، و كان المسجد موجوداً في المدينة، وكذلك الصلاة والزكاة والحج والشهادة، فكانوا يبدؤن بالشهادة والصلاة والزكاة والحج عند اول دخولهم للمسجد، مثلنا نحن من دون يمرروا بمراحل نشوء الأيمان ولذلك ظهر الخلل في داخلهم.

ولم يكن لايمانهم مستوى لأنهم لم يأخذوه بالقانونية كعمار ومصعب وغيرهم، فكان الخلل ظاهر عند تعاملهم في واقع معين، واما هيتهم فكانوا مثلهم ملتحين ويستعملون السواك ويحملون السيوف، ولكن لأن داخلهم لم يكن بمستواهم، ولم يستطيعوا الأداء مثلهم فجاء الخلل من هناك، وذكرهم الله الرحمن في القرآن: (الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ) (الأنفال ٤٩).

وسورة (التوبة) يقوم بذكر تعريف حالة الصحابة بشكل مجسم، وهناك تسع طبقات للصحابة وليس طبقة واحدة، ويعرفهم القرآن بتسع طبقات، فما هي الحالة التي تفعل ذلك؟ الأيمان الحق بذات الله الرحمن، وبالآخرة والكتب والرسل، وخاصة الملائكة حيث تقوم بأعادة الحيوية.

الجزء الخامس عشر

الركن الرابع في الإيمان كيفية الإيمان بالكتب

تحدثنا في الدروس السابقة عن الإيمان بالله الرحمن وملائكته، وفي هذا الدرس سنتحدث عن الإيمان بالكتاب والقرآن، وهذا بند فرعي وجزئي من اجزاء الإيمان، لأننا قمنا بتقسيم الإيمان الى قسمين رئيسيين، الإيمان بذات الله الرحمن والإيمان باليوم الآخر، أما الأقسام الأخرى فيتبعون هذين القسمين.

للإيمان خمسة أركان

وبالطبع الله الرحمن لا يهمل ولا يترك هذا الكائن وهذا الذات، فحتماً ولا بد من وجود علاقة واتصال بين هذا الكائن وبين الله الرحمن، ويتم ذلك بثلاث أبعاد:

- الأول: قلنا بان الله الرحمن يصطفي ذاتاً من بين الذوات واسميناه بـ (الرسول)، ويرسل له الرسالة والمنهج واسميناه بـ (الكتب)، ويوجد رسول آخر بين (الكتاب) والأنسان المصطفى (الرسول) وهو من الملائكة، والأيمان في القرآن يشمل هذه الخمسة فقط.

- الثاني: القينا الضوء على خروج الأنسان من الباب المعرفي للإيمان الى باب الأيمان الحق، لكي يأخذ فعلاً أحقية هذا الأيمان من ذات الله الرحمن، وكما قلنا بأن الأصل هما: الأيمان (بالله واليوم الآخر)، ويؤخذ حقيقة الأيمان بـ (الكتب) وحقيقة الأيمان بـ (الملائكة) من حيوية وحقيقة الأيمان بذات الله الرحمن واليوم الآخر وليس منفصلاً.

وإذا لم يكن للرسول كتاباً فيعني انه منقطع، ويبقى بينه وبين الله الرحمن فقط، ولا يستطيع ان ينقل المادة التي عنده للبشرية، (النبى) هي العلاقة المباشرة بين ذات الأنسان وذات الله الرحمن، والعلاقة الخصوصية بين الأناسي وبين ذات النبى، خصوصية هذا الذات، ولهذا فعند ذكر القرآن للانبيا يتحدث عن حساسية شخصهم، ويسميهم بالانبيا في هذا المجال حتى ذات رسولنا، لكي يرتبط علاقته الخاصة بحياته وذاته ويكون بُعدُه الديني متصلاً، فأسماه بـ (نبى)، وهذا ما يقصده بـ (يا أيها النبى)، وأما الرسالة فهي بالعكس، فالرسول بواسطة المنهج والبروتوكول و الكتاب وبواسطة القرآن يربط ذات الله الرحمن بعلاقة أفقية مع البشرية.

الفرق بين النبي والرسول

وكما ذكرنا سابقاً النبي هو أن ما يؤديه البشر هو حق ذاته على البشرية، وأما الرسول هو أن ما يؤديه حق البشر على الرسول، وهذا هو الفرق بين النبي والرسول.

النبي علاقة خاصة لذاته بعلاقة عمودية بين ذات الله الرحمن وبين ذات ذلك البشر، وحق هذا البشر على الغير، وهذه نبوة.

ولكن الرسالة معكوسة، يأتي كتاب فيه حق البشرية، والرسول يبين للمقابلين ما فيه، ويبلغهم بواسطة هذا الكتاب، وهذا مفهوم الرسالة.

إن الرسالة يجب أن يكون فيه مادة ملموسة، ويجب ان يلمسه البشر حقيقة ليؤمنوا به عند حضورهم، ويحسوا بوجوده، ذو حيوية وحقيقة، و ذو وجود بحيث يمكن التعامل معه مادةً ومعنى، بحيث يمكن تطبيقه في الوجود كحد أدنى أو أقصى، ويتمكن أي أنسان أخذ الرسالة بيده من تطبيقه وكانت في داخله ارادة ومشئئة، من الحد الأدنى (الصر) من الكفر الى الحد الأقصى الذي يتمكن فيه ترضية الله الرحمن، وهذه مواصفات الرسالة، ويجب توفر هذه المواصفات النوعية في الرسالة.

والقرآن آخر كتاب ينزل على الأرض من السماء، ويتكلم الرحمن معنا في هذا القرآن بمصطلحين، فالمصطلحات هي كثيرة ولكننا اخترنا اثنان منهما هنا: أسم الأول (الكتاب) وأسم الثاني (القرآن).

مرة أسماء الرحمن كتاب ومرة أخرى القرآن، ففي (٥٨) موقع اسماء (القرآن)، ولكن في عشرة مواقع اسماء (قرآناً)، وإذا جمعنا الكل اصبح (٦٨)

موقع تكرر فيه كلمة القرآن، وفي (٢٣٠) موقع جاء ذكر أسم الكتاب، فلنعرف ما معنى مفهوم كلمة الكتاب؟

كل الكتب محفوظة في اللوح المحفوظ

ماذا كان يعني كلمة الكتاب في لغة العرب في زمان الرسول (عليه السلام و البركات)؟ يقول اللغويون بأن أصل كلمة الكتاب هي امتلاك الرجل العربي لقطعة جلد، وخياطة هذه القطعة بقطعة أخرى، (ضم الأديم الى الأديم بالخياطة) وهذا اسمه الكتاب، أما كَتَبَ فهو خياطة او طبق شفتي الحيوان بقطعة سلك او حديد، وكان الكتاب في زمن الرسول (عليه السلام و البركات) بهذا المعنى، ومن ثم في زمن الصحابة، وعند نزول القرآن بترتيب النزول، ولقد كررنا هذا كثيراً، حيث نزلت سورة (العلق) فسورة (القلم) فسورة (المزمل) فسورة (المدثر)، و يأتي بعده سورة (الفاتحة) وبهذا الترتيب، فعند نزول السورة الأولى فالثانية والثالثة وضعوها في ادماغهم وليس في الواقع والحال.

ففي البداية لم يأمرهم الرسول (عليه السلام و البركات) بكتابة (المصحف)، فاصبح الكتاب أسم حالة التجميع هذه، ولكن عندما تنظر الى القرآن ترى بانه جزء من الكتاب، لأن لوح المحفوظ كتاب ايضاً، الذي تحدثنا به لحد الآن هو جزء من الكتاب، في القرآن سمى الله الرحمن (اللوحة المحفوظ) ب (أم الكتاب).

وكل هذه (الصحف) موجودة في (اللوحة المحفوظ)، نزل جبريل مجموعة من الصحف من اللوح المحفوظ على سيدنا آدم، ونزل مجموعة من الصحف على سيدنا إبراهيم، وكذلك نزل جبريل مجموعة من الصحف على سيدنا موسى، فكله موجود في اللوح المحفوظ، وأنزل قطعة قطعة بترتيب النزول للبشرية ووفق حالهم، وكان لكل مقطع اسم كتابه، لماذا؟ لأنه متطابق مع كتاب

اللوح المحفوظ مباشرةً، وكيف؟ أُمر جبريل بأن ينزل قطعة لآدم، فنزله، فالذي نزل على آدم مع القطعة الموجودة في اللوح المحفوظ واحد، ومن ثم نزل قطعة على سيدنا إبراهيم، فالقطعة التي نزلت على سيدنا إبراهيم والموجود في اللوح المحفوظ واحد، متطابقين بنفس المادة ونفس الحروف ونفس الصوت، ومن ثم هذا الذي ينزله جبريل على سيدنا موسى مع مقطع توراة اللوح المحفوظ واحد مطابق، ونفس الحالة مع سيدنا عيسى، نزله جبريل، وعند تكملة عليه النزول كاملاً يسمى كتاب، ولهذا سماه الله الرحمن بالكتاب.

متى يصبح الكتاب قرآناً؟

فكل المأمورات والمنهيات الموجودة هي العلاقة من اول عبد مؤمن، إذ هو سيدنا آدم حيث نزل عليه الكتاب الى آخر بشر، العلاقة مع البشرية على الكرة الأرضية، من اول انسان (آدم) الى آخر بشر هي بالمأمورات والمنهيات والكتب، هذا هو ولا يوجد اكثر منه.

إن الكتاب مطابق لما هو موجود في اللوح المحفوظ، فأى مقطع نزل على أي من الرسل اسمه كتاب، لماذا؟ لأنه مطابقةً يمثل ما موجود هناك، وكلمة الكتاب أخذ احقية اسمه من كتاب (اللوح المحفوظ).

ولهذا أسمى الله الرحمن مجموعة المسيحيين واليهود الباقيين بالميراث في زمن الرسول (عليه السلام و البركات) ب (أهل الكتاب) في هذا الكتاب، (يا أهل الكتاب) ولم يقل اصحاب الكتاب، لماذا قال (أهل الكتاب)، لأن الكتب المنزلة للرسل في أي مجموعة كانت خاصة لتلك المجموعة، فأنشأة علاقة تآلف وتجاذب بين مجموعة البشر وذلك الكتاب، انشؤا علاقة ألفة وأنس مع ذلك الكتاب بصيغة الأرتياح ومن ثم تحويله الى الواقع، ولهذا اسماهم بأهل الكتاب، وهذا من

التخصص، كأن نقول (أهل البيت) لصاحب البيت، ولصاحب الأسرة نقول أهل المرأة، فهو أخص شخص لزوجته، فهذا الرجل أخص شخص في ذلك البيت، فالأهل يعني الخاصة، ومن ثم يتكون نوع من الأنس ونوع من الحق بينهما، ولهذا اسماهم الرحمن بالأهل، ويعني كان للجمع في البداية معرفة بالكتاب وروا الرسول، ومن ثم قاموا بممارسة هذه المعرفة فأصبحوا من الأهل، وكيف تمت الممارسة؟ فحتماً بالإيمان.

ولهذا آمن هؤلاء بكتابتهم، واصبحوا من أهل الكتاب و من أهل التوراة وأهل الأنجيل، كله بالممارسة، ولهذا اسماهم الله الرحمن في القرآن بأهل الكتاب، أي كتاب؟ جزء من الكتاب الذي أُنزل لهم، وطبعاً البعد الحقي من الكتاب قبل التحريف، ففي بعض الأماكن يقول الرحمن: (أوتوا الكتاب) (المدثر ٣١)، منحوا الكتاب، ولو تابعتم القرآن لوجدتم بأن هذه الكلمة تكررت كثيراً، وينكشف لنا ضمن طيات القرآن والكلمات في الآيات بأنهم فعلاً أوتوا الكتاب، ولكنهم لم يمشوا مطابقةً مع الكتاب، ولهذا أهملهم الرحمن فيقول: (أوتوا الكتاب) (المدثر ٣١)، وهذا معنى اوتوا الكتاب.

وفي بعض المواقع يقول: (آتَيْنَاهُمْ الْكِتَابَ) (القصص ٥٢)، يربط الموضوع بذاته، ففي هذه المواقع كان التزامهم فعلياً بالكتاب، وهؤلاء هم المؤمنون، (الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ) (القصص ٥٢)، ويقول هناك: (أوتوا الكتاب) (المدثر ٣١)، ويقول هنا: (الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ) فيربط هذا بذاته، اين؟ في المناطق التي فيها تطابق فعلي مع الكتاب وانسجام تام مع الكتاب، البشر الذين هم من الأهل دخلوا الى عمق الكتاب، الرحمن يصور لنا هذه الحالة ويذكره لنا، وكيفية نشوء هذا البعد والقرب والتوحد بين الكتاب وبينهم، ولهذا يقول: (الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ).

فهذا الأسلوب والنمط كثير في القرآن، فلماذا لم يقل اصحاب الكتاب؟ لأن كلمة اصحاب يشمل البعد السلبي ايضاً، (اصحاب النار) (المدثر ٣١) أو يقول:

(أصحاب الجنة) (القلم ١٧) أو يقول: (وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ) (التكوير ٢٢)، (أصحاب النار) فهنا هو مع الكفرة، ولهذا لم يستخدم كلمة صاحب، فمن المحتمل ان يصاحب شخص القرآن، بأن يضع القرآن في جيبه أو في صدره، ولكن عندما لم يكن مطابقاً مع القرآن فهو مرفوض، فلماذا لم يرد كلمة صاحب لذات الكتاب، فمن المحتمل ان يظهر اناس في آخر الزمان يحفظون القرآن، أو يحسب بانه يتمشى مع القرآن، ولكنه معكوس، فمشيئته فوق ارادة القرآن، فهو حينها ليس بآتينا ولا بأهل، ولا بصاحب قرآن، فهناك فاصل بينه وبين الكتاب.

قلنا بأن كلمة المصحف تكررت لـ (٥٨) مرة وهو القرآن، فالذي يقوم بمتابعة القرآن يحس بأن كل شيء في اللوح المحفوظ الى ان يصل الى جبريل هو كتاب، وكذلك من سيدنا جبريل الى ذات الرسول (عليه السلام و البركات) هو كتاب، ويصبح الكتاب قرآناً عندما يأخذ الرسول الكتاب في داخله ويحوله الى دنيا الواقع.

ولهذا يأتي بعد كل كلمات القرآن في ذات المصحف حركة وحيوية ونشاط، حركة وحيوية وفعالية وجود وحقيقة و واقع ونشاط، مع كل كلمة قرآن ورد كل ذلك في القرآن، النقطة الفارقة بين الكتاب والقرآن هو أن كل ما في اللوح المحفوظ لجبريل هو كتاب، ومن جبريل الى الرسول (عليه السلام و البركات) هو كتاب، ولكن يصبح هذا الكتاب قرآناً عند تحويل الرسول للكتاب في داخله الى الواقع.

هل تصبح مؤمناً بقرآنة القرآن؟

إذا تصفحنا القرآن بترتيب النزول مرة أخرى، (وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا) (المزمل ٤)، (فَأَقْرَأُوا مَا تَيْسَّرَ) (المزمل ٢٠)، حركة، (إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ) (القيامة ١٧) (فَإِذَا قُرْآنُهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ) (القيامة ١٨) (ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ) (ق ٢) (بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ

فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ (٢٠)، وكل ذلك من الحركة والنشاط، ووردت هذه الحالة للقرآن، فالقرآن صوت وكلمة وواقع، قلنا وردت (٥٨) مرة و قرآنا (١٠) مرات، (وَلَوْ أَنَّ قِرَاءَنَا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُتِّمَ بِهِ الْمَوْتَى) (الرعد ٣١)، وهذا في ذكر القرآن والكتاب.

نأتي الى البعد الثاني، فالمهم كيف نؤمن نحن بهذا الكتاب؟ (فلوجيل) مستشرق الماني ضيع (٣٧) سنة من عمره بالبحث، وهو يهودي ومؤلف كتاب (نجوم الفرقان في اطراف القرآن) خلال (٣٧) عام، فهذا المستشرق واضع القاعدة لـ (المعجم المفهرس)، حسناً فهذا الشخص عايش القرآن لمدة (٣٧) سنة فلماذا لم ينشأ الأيمان فيه؟ فهو أذكى منا ومن المحتمل أن نختم نحن القرآن في رمضان ثلاث او أربع مرات من الفاتحة الى (قل اعوذ برب الناس)، (هذا إذا كان جائزاً أن نطلق عليه اسم الختم!)، فنحن قد نختمه في السنة مرتين أو ثلاث مرات الى (١٠) مرات، مرة أخرى هو كان أذكى منا، ولو انه كان يهودياً، مع ذلك بقي على يهوديته، فلماذا؟ لأنه المعرفة في القرآن زادت عنده فقط وليس الايمان، فلماذا فإن هذا القرآن يتحدث عن اهل الكتاب بالنسبة للرسول فيقول: (الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ) (الانعام ٢٠)، ويعني الذين آتيناهم الكتاب يعرفون الرسول كما يعرفون اولادهم، ولكنهم لا يؤمنون به، ولهذا فإذا أمعنا فيه لظهر لنا بأن المعرفة شيء والايمان شيء آخر.

كطبيب الباطنية ينصح بترك التدخين والسيكارة بين اصبعيه، ويقول لا تدخن فالتدخين مضر و يلتهب صدرك، وإذا سألته: يا حضرة الطبيب هل السيكارة تضر صدر الإنسان؟ فسيقول لك نعم، حسناً فلماذا حضرتك تدخن؟ ذلك لأنه لا يملك القناعة بعلمه، فإذا كان هذا العلم قد دخل من دماغه الى قلبه، لقلنا

بأن الطبيب له إيمان بمبدأ الطب، ولكن ليس له إيمان به، وهذا هو الفصل بين المعرفة والإيمان.

هل الإيمان ينشأ بالمعارف؟

الكثير منا لديه المعارف عن القرآن والرسول (عليه السلام و البركات)، وعن الأسلام والصلاة والزكاة، وأشياء كثيرة، ولكن إيماننا ضعيف، فمشكلتنا يكمن في كيفية تنشأتنا للإيمان، هذه هذ مشكلتنا، فنحن لا نقدر أن نصل الى ما وصل اليه المستشرق (فلو جيل) فهو كان متفرغاً لمهمته هذه، حيث ترك كل شيء لمدة (٣٧) سنة لهذا العمل، حسناً فبعد كل هذا الجهد الذي صرفه، فلماذا لم يصبح مؤمناً ومات على يهوديته؟ وحتى إذا صرفنا نحن نفس الجهد فسوف لن نصل، فما هو الحل إذن؟ الجواب هو يجب أن ننشأ الإيمان، الإيمان بماذا؟ بهذا الكتاب، ولهذا نلاحظ أنه لم يذكر من سورة (الفاحة) الى سورة (الناس) بأن القرآن معرفة، ولم يذكر الأستسلام للقرآن، وانما ذكر الإيمان بالقرآن، القرآن ذاك الكتاب الذي يجب الإيمان به.

فالشخص الذي يدعي الأسلام عليه ان ينتقل من مرحلة الأسلام الى مرحلة الإيمان وان يصبح مؤمناً، إذن فإذا كان للإيمان بالقرآن بهذه الأهمية! اعيده مرة أخرى، فكيف نؤمن به؟ الجواب: في بدايات دروس احياء الإيمان ذكرنا: بأن الإيمان الأصلي والرئيسي ركنان، ركن الإيمان بذات الله الرحمن والركن الثاني الإيمان باليوم الآخرة.

نذكر ذات الرحمن، ولكن بعين الهندسة كما ذكرنا سابقاً، فللمهندس عينه الخاص به، ويختلف عن عين الخياط والرسام، فلو نظرنا الى الوجود بعين مخلوقيتنا في الوسط الذي نحن فيه، وكلّ مخلوق، فهذا الخالق لم يهمله، نأتي

ونمارس هذه الحالة ليلاً في داخلنا، ليلاً نقوم بقراءة هذه الحالة في داخلنا، نقوم لساعة وساعتين و ننشأ هذه الحالة في داخلنا، ونحن لا نقول كما قال افلاطون و كوبرنيكوس بأن هذا الخالق اهمل الكون، كلا فالخالق لم يهمل الكون، ولا يزال اتصال خالق الكون موجود معنا مباشراً، ويد الله الرحمن موجود في هذا الكون بأطالفة ورحماته وهداياته، بالخلق المستمر والتوسيع للكون، وهو يعمل ولا يستقيل ولا يأخذ اجازة، فهو يعمل بالحيوية التي عمل بها منذ اللحظة الأولى من عمله في هذا الكون، وفي نفس الوقت الأنسان محب له، كلهم، المؤمن منهم والكافر، ويأمل الله الرحمن بكلهم، فلقد خلقهم ليؤمنوا به وليعبدوه، ولهذا أرسل الآلاف من الأنبياء والرسل، و لكي يؤمن هذا الذات وهذا الكائن الذي اسمه الأنسان بالله الرحمن، و فقط هذا، لكن هذا الأنسان لم يعطي الله الرحمن في أي وقت، وانما يسحب منه باستمرار، وقال له الرحمن بأن يذبح الذبيحة لله الرحمن، فهل يقدم الأنسان اللحم والدم الى الله الرحمن؟ (لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَائُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ) (الحج ٣٧)، فهذا ما يريده، الذبح لله الرحمن، فهل يأكل الرحمن لحومها؟ هل يقدم له المشويات والدماء؟ كلا، فالأنسان يسحب رحمة ولطائف الرحمن باستمرار، فإن الله الرحمن يتصل بالأنسان ليس مادة فقط وانما يتصل به نوعاً وعمودياً، فيختار ذات الله الرحمن هذا الأنسان بواسطة الأنبياء والرسل، فيبعث الآلاف من الأنبياء فقط ليقر الأنسان بوجود الله الرحمن ويعبده.

كيف ينشأ الإيمان بالله والأيمان بالقرآن؟

لا شك في أن الإيمان بالله الرحمن ينشأ عن طريق توالي الآيات والسور حسب ترتيب نزول القرآن، وعند نشوء الأيمان بالله الرحمن ينشأ الأيمان بالقرآن، وهذه هي صيغة وطريقة أخذ الأيمان، ولكن عند سماعنا القرآن من

بدايته الى آخره بصوت القراء كالمشاوي وعبد الباسط، فسيعجبنا اصواتهم فقط، وهذا ما نستفاد منهم فقط، ولكن عند تناولنا الكلمات، الكلمات المجسمة، كلها خرائط وكله مواضيع مجسدة، تقف على كلمة مدة شهر لكي تفهمه وتستوعبه، فما الذي ينشأ هذه الحالة؟ الإيمان بذات الله الرحمن فقط، إذن هذه الكلمات للرحمن، وعندما تحس بأن هذه الكلمات له فستخرج من أن هذه ورقة وطبعت في المانيا وسعودية، فتصبح الكلمات كلمات الله الرحمن، فعندما يأتون بالقرآن فأنا لا أنهض من أجل طبعة القرآن كالرجل العجوز، لا وانما للكلمات الموجودة فيه، فمن البعد الأيماني بذات الله الرحمن ينشأ حيوية الإيمان بهذه الكلمات، ولهذا نختلف عندها أنا والمستشرق في تعاملنا مع القرآن، فيتعامل هو بيهوديته مع القرآن الذي يمثل سياجاً كبيراً حيث لا يستطيع اختراقه.

فإذا آمنت أنا النوعي بذات الله الرحمن، عندها سأقف عند الكلمات بحقيقة فعلية، وكأنه نزل الآن على ذات رسول الله (عليه السلام و البركات)، فستكون بتلك الحرارة والحيوية، وحين إذ يرتفع الإيمان عمودياً بذات الله الرحمن، ويتم استيعاب حقيقة القرآن رويداً فرويداً، فيدخل هذا القرآن الى داخل القلب رويداً رويداً، وعند دخوله الى القلب فسيصبح ذلك فعلاً ايماناً، وعندها يأتي مأمورات القرآن تلقائياً الى حياة الواقع، فلا يبقى على هذه الحالة، إذ يذهب فيها لأخذ الفتوى في أمر قد حرمه القرآن، ويأمل ان يحلله له المفتي، كلا لا يبقى على هذا الحال.

(أنس ابن مالك) (رضي الله عنه) كان صحابياً وكان عمره اكثر من (٨٠) عاماً، ولكنه كان مدمن خمر، وأما ايمانه بذات الله الرحمن فكبير، وعند تعامله كان يتعامل باستقامة وحقيقة مع ذات الله الرحمن، ولهذا كان تعامله مع القرآن ككلمات الله، لا كمصحف للامام عثمان، ولا كصفحة، لا، وانما كلام الله، وعند نزول أمر: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ

مَنْ عَمَلَ الشَّيْطَانَ فَاجْتَنِبُوهُ (المائدة: ٩٠)، وفي آخر الآية التالية قال الرحمن (فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ)، إذ هو جالس على المائدة مع الصحابة وكأس الخمر بيده وفي فمه جرعة خمر ولم يبلعها بعد، فسمع بأن الله قد أنزل في الخمر آية وأمر بتحريمها، ودون مناقشة سكب ما في فمه مباشرة، ورمى كأسه على الأرض، ومن ثم ذهب الى البيت وسكب قراري الخمر وكسرها، هذا هو التعامل مع القرآن، لماذا؟ لأنه كان يعلم بأن ذات الله الرحمن يراه ويسمعه، ويملك البلاجكتورات وادوات التصوير، فهو يرى أنس وزيد و فارس وكاوة وسفين، فهو يرى الجميع في كل لحظة.

ولهذا وصل أنس الى هذا الأيمان وهذه القناعة الذي يجب فيه ان يتعامل بحيوية مع القرآن ومع النص، و عند احضار احد الصحابة هذا الأمر له، ويعني هذا تطبيق أمر الله الرحمن عليه مباشرة، ولم يكن يملك هذا المصحف ولا المصحف السعودي، ولكنه أخذ حيوية الأيمان بالكتب من حيوية الأيمان بالله واليوم الآخر، ويحيا دائماً مع الرحمن، ويحس في لحظة بالآخرة و الموت، فكيف يهمله الله الرحمن؟ وكيف يتركه؟ وكيف لا يبعث له كلامه؟ وكيف لا يبعث له اوامره ونواهيته؟ وكيف لا ينور له باب السعادة؟ وكيف لا يبعده عن السيئات وعن جهنم؟ وبهذه الأسباب وصلوا الى هذا المستوى، وكان عندهم القرآن قرآناً حياً وحقاً، ولم يكن عندهم القرآن على هذا النحو، بأن يكتب على قطعة خضراء ويعلق على الحائط، أو أن يوضع تحت رأس الطفل لكي لا يمسه الجن!، وليس كمثل شبابنا يضعونه في جيوبهم ومتى سنحت لهم الفرصة بأن يقرأوا منها عدة آيات، كلا فالقرآن لم ينزل لهذا، ويعتبر هذا تعدياً على حق القرآن، أو أن يأتي شخص ويكتب كتاباً يصفط فيه الآيات التي يعجبه هو ويقول القرآن يقول كذا، وفي هذا تنقيص من شأن القرآن، وهنا جعلوا القرآن عضي، (الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ) (الحجر: ٩١)، وفي هذا تحويل القرآن من ارادة الله الرحمن الى مشيئة الإنسان.

وبممارسة هذه الحالة في داخل الإنسان ينشأ الإيمان بذات القرآن، كيف؟ بترتيب النزول، يحضر ويأخذ الآية الفلانية ويطبقة، بحيث يمارسها مع ذات الله الرحمن فينشأ الإيمان في داخله، فيحس بأن هذه الكلمات للرحمن فعلاً، وتختلف هذه الكلمات عن كلمات زيد وعبيد... وغيرهم، وهذا ليس بقانون ولا بدستور، هذا قرآن وكتاب، وننقص من مقامه عندما نقول بأنه قانون، هي آيات ومن ثم مأمورات، وبهذا النوع يمارس الشاب هذا في داخله ويقرأ وخاصة في الليل، (فَأَقْرُؤُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْ) (المزمل ٢٠)، وهذا التيسر يكون في الليل وكميات قليلة، (قم الليل) ينشأ هذه الحالة في داخل الإنسان المؤمن، وعندما يأتي على مقطع من مقاطع القرآن، ليتعامل مع القرآن بنفس مقام القرآن وقدره، وليس ذلك القرآن المكون من مجموعة كلمات طبعت في المطابع الفلانية.

تجربة مع السويد

يردنا سؤال هنا، كيف يجب التعامل مع القرآن؟ وهل يجوز ان نسميه دستور؟ فبالطبع استطاع الإنسان بذكاء من ارضاء الدستور عنه، وأن يحتال على الدستور اثناء ارضاءه له، على سبيل المثال " عند توقيفك لشخص ما على مخالفته في الشارع، فيحاول من اقناعك بشتى الطرق والحيل، لكي ينجي نفسه من هذا المأزق، ويقنع منفذ القانون ليسهل عليه أمره، وهذه صيغ البشر مع الدساتير والمناهج، ولكن الله الرحمن لا يريد هذا الأسلوب، لأنه لو استطعنا ذلك في السقف الأعلى للحالة النوعية في بيئة كالسويد، حيث نسمع كثيراً عن تطبيق كل انواع القوانين في ذلك البلد، وأخذنا لهم القرآن، وقلنا لهم "انتم أمة السويد أمة راقية عاقلة ونجيبة، وللتجربة طبقوا القرآن، ولننظر هل تستفيدون منه أم لا، فقاموا بتطبيق القرآن فعلاً، ورأوا بأنه يمنحهم الراحة والسعادة والسكون في الدنيا، فهل يحسب هذا التطبيق الكلي للقرآن في ميزان الله الرحمن؟ في الجواب:

كلا، فتطبيق الدستور بذاته فقط غير مهم بقدر أهمية الإيمان بصاحب الدستور، فالإيمان هو الأهم.

على سبيل المثال "الذين خدموا في الجيش، كثيراً ما يقف الجندي امام الضابط بالتحية والأنضباط، ففي الظاهر ترى الاستجابة والخشوع والخضوع والاحترام والتقدير، أما في داخله فهناك كره حتى لأجداد الضابط، وفي هذا تطبيق للقانون ولكن في داخله فلا.

وكثيراً ما نرى اشخاص يقفون عند اضواء المرور، ويسيرون في الضوء الأحمر ويدعون الرحمن أن لا يراهم شرطي المرور، وحتى إذا انتظر (٣٠) ثانية، فلا يعجبه ذلك في داخله، لأنه سيتأخر على لعب الطاولة في (٣٠) ثانية هذه، وحيث يجلس للعب لمدة خمس ساعات، ولكن (٣٠) ثانية تؤخره، فهذا الكره وعدم الحب ليس بدليل على تطبيق القانون، الله الرحمن يرفض هذا، ففي القرآن من سورة الفاتحة الى سورة الناس يقول: (أمنوا) ومن ثم (عملوا الصالحات)، تطبيق قوانين المرور عمل صالح، ولكن إذا لم يقتنع به الشخص فسيجد له الأعذار، كما هو معروف ومكشوف ماذا يُفعل في القوانين الأرضية وفي كثير من المحاكم، وماذا يعملون بالدساتير حاضراً وقديماً، فإن الله الرحمن لا يريد هذا، فالرحمن يريد ان يتم الأقرار به أصلاً، وأن يؤمنوا به، فالشخص يطبق القرار تلقائياً وحباً وشوقاً وخشوعاً وخضوعاً لصاحب القرار، وتري في يوم الجمعة خمسة آلاف مصلي يصلي في مساجد بلدنا هذا، ويشاركوا في الخطب، ونسأل هنا إذا كان المصلين ذو خمسة آلاف صالحين ألم يكن ذلك كاف لأربيل؟ فقط دعاء خمسة آلاف رجل صالح كاف لهطول المطر؟ وبالطبع يكونوا ممن اراد الله الرحمن، وهم صالحون مقياساً مع واقع يومنا هذا، وأما مقياساً مع القرآن، فكلا، نوعياتنا مختلفة، صلاتنا هي نفس صلاة الصحابة ولكن نختلف في ذواتنا، وصيامنا هو نفس الصيام، إذن تطبيق القوانين بحذافيرها لا

يدل على وجود حب صاحب القانون في داخل الأنسان، وهذا مرفوض لأنه ليس بإيمان، وإنما اسلمة، فالله الرحمن يطلب منه مرحلة أخرى بعد هذا، فيجب ان يؤمن به الأنسان، ويأتي بعده العمل، ويصبح ذلك العمل صالحاً.

الجزء السادس عشر

الركن الخامس والنهائي للإيمان

كيفية نشوء الإيمان بالرسول (عليه السلام و البركات)

كيفية نشوء الإيمان بالرسول في داخل الإنسان؟ وأجزاء كيفية الإيمان بالله الرحمن واليوم الآخر؟ قلنا هذان أصلان أساسيان في مفهوم الإيمان، وما تبقى من الأركان الأخرى تابعين لهذين الأصلين، فرع جديد في الموضوع هو كيفية نشوء الإيمان في دواخلنا بالنسبة للأنبياء والرسول، ومن ثم بالذات رسولنا (عليه السلام و البركات).

لأصل الإيمان بعدان "

- الأول: (الإيمان بالله)
 - الثاني: (الإيمان باليوم الآخر)
- والثلاث الباقية متممة لهما:

- الأول: الإيمان بالملائكة.
- ثانياً: الإيمان بالكتب.
- ثالثاً: الإيمان بالرسول.

أشار القرآن الى كل الحسنات

ذكرنا سابقاً بأن الفطرة مخلوقة في داخل الأنسان، والفطرة جهاز وضعه الله الرحمن في داخل الأنسان اصلاً، وقلنا بأن هذا الجهاز هو الأرضية والموقع الجغرافي لنشوء الأيمان فيه، ولا يقتصر على وجوده على داخل الأنسان فقط، وانما هذا الجهاز موجود في النبات والحيوان ايضاً، ولقد أعطاه الله الرحمن هذه النوع من الفطرة بأمانة، ليتمكن من أدامة حياته، وتحقيق الهدف الذي لأجله خلق الله الرحمن الحيوان والنبات والآنسان، وخلق الله الرحمن الفطرة في داخل كل المخلوقات وخاصة الحيوان والنبات والآنسان، وخلق الفطرة بشكل حيث يدفع هذا الكائن وهذا المخلوق لعمل كل الحسنات ويبعده عن كل السيئات، واستعمل القرآن مصطلحين آخرين لتطبيق الأنسان لهذه الحالة على ذاته وهما: الحلال والحرام، ووضح الله الرحمن له كل الحسنات بمفهوم كلمة الحلال في القرآن و حكمه الرسول (عليه السلام و البركات)، وأشار كذلك لكل السيئات بمفهوم الحرام لهذا الذات.

و ضربنا على ذلك مثلاً من ابسط كائن ومخلوق الى اعقد مخلوق الى ان يصل الى ذات الأنسان، إذن ارادة الله الرحمن موجودة بأمانة في داخل هذه المخلوقات، فإذا جاء واصبحت حركة ونشاط هذه المخلوقات وفق ارادة الله الرحمن، فعندها قاموا باداء مهمتهم ورسالتهم في الوجود، ولأنهم مسيرين بمفهوم المصطلح العامي، فهم مسخرون لأداء هذه الوظيفة، وبلا توقف وبلا تحدي وتصدي، و فقط الأنسان والجن منحوا الأختيار والتيسير، لكي يتمكنوا فعلاً من ايجاد ما خلق الله الرحمن في فطرتهم من الحسن والسيء بمفهوم الحلال والحرام وبمبدأ الحرية الأختيارية الى الواقع، ولكي يتمكن هذا الذات وهذا الأنسان الذي خلقه الرحمن بهذه الأرادة النوعية وبهذا المستوى العالي الوصول اليه فعلاً بإرادته وحرية.

الى ماذا يشير معالم الطفل؟

وقلنا بأن الفطرة ارادة الله الرحمن من هذا الذات ومن المخلوقات، وبالذات الإنسان فإن ارادة الله الرحمن موجودة في داخله بمفهوم الحلال والحرام ب (افعل ولا تفعل)، وذلك لو لم يكن الرسول والكتب موجودان لهذا الذات، فإن انساناً مثالياً يستطيع ارضاء الله الرحمن عنه وفق فطرته الداخلية، ولذلك نقول بأن ارادة الله الرحمن مخلوق في داخل الإنسان، ويستطيع ذلك الإنسان أن يميز بين الحسن والسيء، وان يميز بين الفرح والحزن والأحاساس بهما، نلاحظ مظاهر الفرح كثيراً على طفل الأسبوع الأول، في المهد أو على الأرض، فنراه يبتسم، وقد يتغير شكل وملامح وجهه وكأن به ألم وحزن، وعمره اسبوع واحد.

إن أحس هذا الطفل بالفرح والحزن والألم وعمره اسبوع واحد بفطرته الداخلية، وعلماً لم يفتح عينيه ولم يعمل سمعه بعد، وهذا مقصدنا من الفطرة التي خلقها الله الرحمن في مخلوقاته، وإذا جاء هذا المخلوق وبالذات الإنسان ولم يتغير فطرته، ولم يكن عليه اثر سلبي من البيئة والوسط الذي هو فيه، عندها ينمو وفق ارادة الله الرحمن، ولكن لتنوع الشياطين في الوجود، من الأناسي والجن، فيأتوا ويؤثروا على فطرة الإنسان ليغيروه، فينشأ الأثر والتأثر على ذات هذا الإنسان، وذلك لكي لايربحوا كل الجولات ولا يكونوا أصحاب الإدارة والريادة في الوجود، ومن جديد يصفى الله الرحمن فطرة هذا الإنسان ببعدين آخرين:

- الأول: بواسطة الكتب.
- الثاني: بواسطة الرسل.

الكتب ارادة الرحمن، بدأً من صحف آدم الى القرآن وكله موجود في اللوح المحفوظ، وفق زمن ومكان معينين، ومع تحضر البشر في ذلك الزمان والمكان، فنزلت مقطع من اللوح المحفوظ ومن تلك الصحف وفق ارادة الله الرحمن، لكي ترد الأنسان مرة أخرى الى فطرته بعد انحراف الأنسان عن فطرته، فبأرادة الله الرحمن تم تقطيع آياته وكلماته الشرعية من اللوح المحفوظ قطعة قطعة من آدم الى الخاتم، فقسم منه لآدم لكي يطبقها كمنهج في الحياة، ليتمكن من دفع البشر من حوله الى الفطرة مرة أخرى، ليتم تطبيق مفهوم الأمر والنهي عليه، بعد نشوء ارضية الأيمان فيه اصلاً، ومن ثم نوح وبعده وبالتسلسل ابراهيم وموسى وزكريا وعيسى الى أن يصل الى رسولنا (عليه السلام و البركات).

ولم يكن هذا الأتصال اعتباطياً هكذا، ولم يكن نزول الكتب بمحض مشيئتهم، فالرحمن اختار وسيطاً ملتزماً في ما بينه وبين البشرية في الزمان والمكان الذي عاشوا فيه، ولقد اختارهم وفق مواصفات معينة واسماهم بالرسول، فلهؤلاء الرسل جملة مواصفات، واصبح الرسل مجال وارضية نزول أمر الله الرحمن الشرعية وارادته وكلماته وهو القرآن، وكذلك الأنجيل والتوراة والزيور، وصحف ابراهيم وموسى، ليصبحوا ارضية لكيفية نزول هذه المجموعة من الآيات، ليتمكن هذا الأنسان وهذا الذات من اخذ وامتصاص هذا المنهج وهذه الآيات إذا نزلت عمودياً من كل اتجاهاته في داخله بحقيقة مطلقة، وليستطيع انشاء ارضية حقيقة في داخله ويحولها الى الواقع، وحين إذن تم أعتبره كرسول، لم يكتفي الله الرحمن بالكلمات، فلقد خلق فطرة الأنسان كشريط التسجيل، تنزل الكلمات على الشريط، ليتمكن الشريط من أداء عمله، وفي نفس الوقت اختار نموذجاً من صنف البشر وفق مواصفات معينة، وبعون الله الرحمن سنتحدث عنهم.

سيتم إقامة الحجّة على كل إنسان

الظاهر بأن هذا الاختيار نوعي لكي تنزل هذه الكلمات فعلاً على هذا الذات عمودياً، وليتمكن هذا الذات من تفهم و استيعاب ارادة الله الرحمن مئة مئة بالمئة، وكذلك ليتمكن من تحويله الى الواقع، وسمي كل من هذا الفهم والاستيعاب في الكتب بالإيمان، وليس التصديق ولا التفهم ولا الاعتقاد ولا القناعة، وسمي في الكتب بالإيمان، وعندما قام الرسول بتحويله الى الواقع اصبح اسمه عمل وحدد بالصالح، عمل وصالح، ويؤدي الصلاح بالنوع الذي هو يرضى ووفق ارادة الله الرحمن، و ارادة الله الرحمن مخلوق داخل فطرة الأنسان، وينزل الرحمن كلماته، مرة أخرى ارادته، وخلق ذاتاً واسماه بالرسول، فيأتي ارادة الله الرحمن عمودياً على هذا الذات، والفطرة موجودة في داخل الأنسان، فينظر الى هذا الذات، فينشأ التطابق بين داخل هذا الأنسان مع الرسول في الخارج، وعندها يتم اكمال تبيان وتفهم الله الرحمن، فلا يبقى لانسان في الوجود أية حجة يوم القيامة، بأن يقول لم أرى ولم أسمع، لم أعرف ماذا كنت تقول يا ربي، وماهو قصدك؟ فإذا كان ذلك الشخص أمياً وأصم وأبكم وأعمى وكان فيه قليل من الجنون، فيطبق عليه تبيين وتفهم الله الرحمن بهذا التسلسل.

إذن فالرسول نموذج فعلي وواقعي ومختبري وحياتي لأرادة الله الرحمن، وأفضل تعريف عرف به ذات الرسول (عليه السلام و البركات) في الوجود، هو تعريف السيدة عائشة للرسول، (سئلت عن خلق الرسول) فقالت: (كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنُ) (رواه الإمام أحمد)، (كان قرآنا يمشى بين الناس)، وماذا يعني هذا؟ هذا يعني بأن ارادة الله الرحمن تشعب وتشرب في ذات وداخل رسول الله (عليه السلام و البركات) بالتمام والكمال وبالمصطلح المفهوم الشرعي، وامتص داخل رسول الله (عليه السلام و البركات) كل هذا، وهو المؤمن الأول، (وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ) (الأعراف ١٤٣)، فهو المؤمن الأول والمسلم الأول بالدرجة القصوى، وفي نفس الوقت قام بتحويله الى الواقع، ولهذا

فأن الرسول (عليه السلام و البركات) هو الأول في قائمة البشرية وفي جمع المؤمنين، حيث استطاع من تفهم واستيعاب كل ارادة الله الرحمن، وقام بتحويله الى الواقع بالعمل الصالح بنماذج كأبو بكر وعمر وعثمان، وفي نفس الوقت نحن ايضاً الفطرة موجودة في داخلنا، وهو النموذج والممثل الحقيقي لأرادة الله الرحمن، وعلينا ان ننشأ ذلك التطابق والتجاذب في داخلنا، وهذا هو مفهوم الإيمان بالرسول، وهو الإيمان بذات رسول الله (عليه السلام و البركات).

وقلنا يجب ان يكون لهذا الذات وهذا الممثل صفاته الخاصة به، عندما يقدم الضابط الى الكلية العسكرية يجب أن يملك صفات خاصة به، كأن يكون عمره كذا سنة، وحصيله العلمي كذا، وطوله كذا سنتم، ومن ثم يمتحن امتحان اللياقة البدنية، لمعرفة كفاءة هذا الإنسان، ومن ثم هل يستطيع هذا الإنسان من تحصيل هذه المادة العلمية أم لا؟ وبلا تشبيه (ولله المثل الأعلى) فيجب ان يملك الأنبياء والرسول من تلك الصفات ولكن يجب ان يكون وفق اختيار الله الرحمن، إذن فالنماذج التي اختارهم الرحمن كوسيط بينه وبين البشر من الأناسي، يملكون مواصفاتهم الخاصة بهم، وجمل القرآن ذلك بنقطتين:

أ- الأمانة.

ب- الصدق.

ويجب توافر هاتين الصفتين في داخلهم، وبعد ذلك بدنياً يجب ان تكون اعينهم سليمة ولا يكونوا من ذوي الأحتياجات الخاصة، وفي العموم ان يكونوا اقوياء وبصحة، وماعدا ذلك فكان لأي رسول وأي نبي وفي أي زمن مواصفات شخصه عند اختياره، لكي يتمكن فعلياً ومئة بالمئة من تمثيل الرسالة.

انظروا الى شخصية سيدنا ابراهيم، اسماء الرحمن في القرآن بالأواب، وبالمنيب ذكره الرحمن في القرآن، لماذا؟ لأن رسالته كانت على ذلك الشكل،

فهكذا كانت طبيعة رسالة الرسول ابراهيم (عليه السلام و البركات)، سفير بين السماء والأرض ومع الرسل ايضاً، طبيعته هادئة ومرتنة، فمثلاً عليه ان يؤدي مهمة نوعية، منها بناء البيت، فيجب ان يكون مستقراً ومتوازناً داخلياً بنسبة كبيرة، فلا يؤثر عليه العواطف والمشاعر الجياشة، ولا يخطأ بسرعة، فعند اختيار الرحمن له وأمره بأن يبني البيت في مكة مع عائلته، فلا يأبه لوجود الماء من عدم وجوده، ولا يأبه لعدم وجود النباتات وتقدم الحضارة والعمران والحياة الطيبة في ذلك المكان، لماذا؟ لأن طبيعة رسالته على هذا النحو، فيجب ان يكون خلقته على هذا النحو، وذكر شخصية الرسول ابراهيم (عليه السلام و البركات) في القرآن على هذا النحو.

طبيعة الرسول موسى (عليه السلام و البركات)

مثال " نأخذ الرسول موسى، ففي بيئة سيدنا موسى ذبح الأبناء، وذكر الله الرحمن في القرآن بصفة اصطلاحية (يُذَّبِحُ)، وليس يذبح، (يُذَّبِحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ) (القصص:٤)، ضغوط معينة، اجتماعية وخلقية ومادية، ف (يُذَّبِحُ) كل رجل، ويجب ان تكون طبيعة سيدنا موسى وفق بيئته، بأن يكون ملائماً بدنياً وطبيعةً مع تلك الرسالة المنزلة عليه، ولكي يؤديه في المستوى الأفقي الذي يريده، ولذلك نرى سيدنا موسى كان ذو هيبة وقوة عضلات، ففي مقاطع لقطات حياة الرسول موسى في القرآن، رأى شخصان يتشاجران في مصر (فَاسْتَعَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَّرَهُ مُوسَى) (القصص:١٥) فبضربة واحدة فقط (فَقَضَى عَلَيْهِ)، فيجب تطابق بنية هذا الرسول مع طبيعة المجتمع الذي جاء ليكون ممثلهم، إذن هكذا هي ارادة الله الرحمن.

لطف الرسول عيسى (عليه السلام و البركات)

وكذلك الرسول عيسى، عليه أن ينشأ حالة نوعية وانقلاب في المجتمع الذي هو فيه، ولذلك ترى اللطف والهدوء والأستقرار والأتزان في حالة الرسول عيسى، لذلك فإن الله الرحمن يتابع ويهتم بهؤلاء الرسل منذ الخِلقَة الأولى لهم، وهذا ظاهر بمكشوفية في القرآن من حياة الرسول موسى وعيسى وآخرهم الرسول (عليه السلام و البركات)، إذن يجب نشوء التوحد والتطابق في بنية بدنهم وفطرتهم وطبيعة رسالتهم، كي لا يرى هذا الأنسان المتابع لهم اي نوع من الأزدواجية والفراغ النوعي بين قولهم وعملهم، لكي لا يكون له الحجة عليهم سلباً في المستقبل، يتابع ويراقب الله الرحمن بنية وطبيعة خِلقَة هذا الرسول مع الرسالة المنزلة عليه معاً، فيهتم به الرحمن من وهو جنين في بطن أمه الى ان يكبر.

ولهذا انظروا الى تاريخ حياة الرسول موسى، ومذكرات الرسول عيسى، وحتى رسولنا رسول الله (عليه السلام و البركات)، وكل ذلك سمي في القرآن بالأصطفاء قبل النبوة، (إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ) وهم سلسلة (وَالْآلِ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ * ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) (آل عمران ٣٣-٣٤)، وهذه خريطة عظمى عند الله الرحمن وبهذا النوع يعمل الله الرحمن مع تخصص الرسالة والرسول، ولهذا فمنذ مجيء الرسل من آدم الى خاتم الرسل (عليهم السلام و البركات)، لم نرى نشوء التمرد أو الانقلاب أو الأناحراف أو الإهمال اثناء أداء رسالتهم، فلم يكن هناك تمرد بالرغم من وجود الأفكار والتجمعات والأحزاب والتكتلات في زمانهم وفي هذا الزمان، لأنه من البداية عندما تم الأصطفاء في مستوى الرسالة تم بعده الأجتباء.

فالأجتباء في القرآن غير مصطلح الأصطفاء، وهو تجميع لخيوط الرسالية في هذا الذات، فكان لله الرحمن مخلوقات معينة ترشد وتصوب هذا الرسول

ودائماً، ولهذا فلو قلنا لا سامح الله بأنه هناك نوع من (التقصير)، فإذا كان هناك نوع من التقصير فهم عملوه من اذهانهم ووفق اجتهادهم وهم عملوه كعمل صالح ليتمكنوا به من ارضاء الله الرحمن، وهذا مطلوب منهم، ولهذا ترى العتاب للانبيا والرسل في القرآن ضمن هذا الباب.

سيدنا موسى يفعل ذلك، وسيدنا نوح ولوط ويونس يفعلون ذلك، وكله في القرآن في هذا الباب، فهو ليس بتمرد ولا انحراف ولا بإنشاء تجمع لولبي في فكره وفهمه هو، كلا ليس فيهم ذلك.

الصلة بين المؤمن والرسل

النقطة الرابعة: لماذا أكد الله الرحمن على الإيمان بهؤلاء الرسل؟ وقلنا طبعاً الإيمان بالله هو موضوع مقطوع ومختلف عن الإيمان باليوم الآخر، وهذا موضوع آخر، والإيمان بالرسل هو موضوع خاص، لماذا يطلب الله الرحمن ان تؤمن البشرية بالرسل؟ الجواب: ينقل ارادة الله الرحمن الفعلية للبشرية بواسطة الرسل، (وبلا تشبيهه) فالرسل وزراء للأعلام المسموعة والمقروءة والمرئية، ليتمكنوا فعلاً من نقل كل ما اراد الله الرحمن، ولقد قاموا بنقل رسالتهم حتى بملامح وتعابير وجوههم، وبأيديهم وبحركة ايديهم وبنومهم وقيامهم، فنقلوا رسالتهم بكل شيء، إذن فأرادة الله الرحمن في كل هذه الأشياء، فعندما يأتي الإنسان ويرى الرمز فيهم، يرى ارادة الله الرحمن فيهم، ولكي يؤمن بالله الرحمن يجب ان يؤمن تلقائياً بهؤلاء الرسل.

فكل ما يفعلونه هو من الحق المنزل من عند الله الرحمن، فإذا لم يكن هناك بعداً أفقياً بين الإنسان والرسل فسوف لم ولن ينشأ العلاقة العمودية بين الإنسان وبين الله الرحمن، ولهذا فإن الإيمان بالرسل أصل جعله الرحمن من حقه، حقه

هو وليس حق البشر، الرحمن جعل الإيمان بالرسول من حقه، فطلب من البشرية أن يؤمنوا بالرسول، ولا يأتي الرسول ليقول تعالوا وآمنوا بي وأنا ناقل موضوع من عند الله الرحمن، كلا فإن الرحمن يطلب ذلك من البشر، وعند نشوء العلاقة الأفقية بين ذلك البشر والرسول، فحينها يستطيع الرسول ان ينقل العلاقة العمودية التي بينه وبين الله الرحمن الى ذلك البشر.

(وبلا تشبيهه) نقول بأن الرسول كالمرآة، يشع الشمس اشعته على المرآة فتسحب المرآة كمية من الأشعة فتؤدي وتعطي كمية أخرى، فإذا كانت هناك مرآة أخرى في المقابل او اي شيء آخر يستطيع الأستيعاب، وعندما يؤمن هذا الذات وهذا الإنسان بالرسول، فيتمكن الرسول من نقل مفهوم الله الرحمن وعلاقاته الى ذلك الإنسان، ولذلك فإن العلاقة بين جمع المؤمنين مع الرسول مختلفة مع نشوء العلاقة بين الإنسان وأصحاب الأفكار، وبين الإنسان وبين أصحاب المبادئ والفلسفات.

ويعني أن صاحب الفلسفة والفكر يستطيع ان يجتهد في فكره وفلسفته، ورأينا على طول التاريخ نشوء الزعيم الفكري للمجموعة الفلانية وبإمكانه الأجتهد، ولكن الأديان ليست كذلك، فالأشخاص يؤمنون بالرسول والرسول ممثل إرادة الله الرحمن في الوجود فلا يحق له الأجتهد، إذن هو يجب ان يكون ملتزم بالرسول مئة بالمئة، ولذلك جاءت الأطاعة المطلقة للرسول، لماذا؟ لأنه لا يوجد شبهة في داخل نفس هذا البشر بأن الرسول ممثل ارادة الله الرحمن، ولذلك يجب ان ينشأ هذه العلاقة الأفقية، ولذلك فإن مفهوم الإيمان كما قلنا سابقاً هو ليس بتصديق ولا باعتراف.

كالطبيب الذي يقول للمريض لا تشرب السيكائر وعلماً بأن السيكارة في يده، وهذا تصديق وليس بإقرار في داخله، فالطبيب يعرف بأن السيكارة مضره ولكنه غير صادق مع نفسه صحياً، هو لديه الأعتقاد والقناعة، ولكن هل هو في

داخله كما الأسفنج في داخل الماء وكل خلاياه ملئت به، كلا هو ليس كذلك، فهو لم يقوم بالممارسة، فهي مجرد معارف في دماغه، ولذلك فإن الإيمان ليس بمعرفة وليس بتصديق، فالإيمان ليس بالأقرار فقط، وليس بالقول فقط، وليس الإيمان بالفعل فقط، فالإيمان أصلٌ في الداخل، بلا لباقة وبلا تفنن يتحول الى الواقع، فالإيمان أصلٌ ينشأ في الداخل ويعرض بعدها الى الخارج بالأعمال، ولهذا فالرسل ممثلوا إرادة الله الرحمن ليتمكنوا من نقل مفهوم إرادة الله الرحمن الى البشر بكل ذلك.

لا يوجد إلحاد في القرآن؟

النقطة الخامسة: كانت هناك جملة من المشاكل بين الرسل والبشر، وكان ذلك عدم استيعاب البشر على طول تاريخ الأديان والفلسفات والأفكار والحضارات بوجود علاقة بين الرسل والله الرحمن، فمشكلة البشرية في عدم تصور وجود نموذج مثله له عينيّن واذنين، ينام ويأكل ويحس بالفرح والحزن ويعيش مثله، وهي نفس مشكلة البشرية الأولى، فلم يستوعبوا الفكر الرسالي للرسل، ولهذا لا يوجد مفهوم الألحاد في القرآن، لعدم وجود الألحاد الفعلي الحقيقي في دماغ البشر، فمفهوم الألحاد عدم وجود الله الرحمن، وهو غير موجود في الفكر البشري بتاتاً، فهذه اكذوبة وجدت في السنوات القليلة من عمر البشرية، ثمانين سنة من عمر وجود الكون، فلم يكن هناك بشر في الوجود ينفي وجود الله الرحمن، فلا وجود لقوة عظمى ذو قابلية مهيمنة على الكون والوجود، وهذا غير موجود في ادمغة البشر، وهذا ما يتحدث عنه اصحاب الأديان منذ انسان نياندرتال.

إن هذا الكذب العالمي الموجود في هذه الفترة، والذي يكذب البشر هو مع نفسه، ولهذا لم يستطيع الأستمرار زمناً كبيراً، إذن فمفهوم الله الرحمن مخلوق

أصلاً في داخل الإنسان، كمفهوم، ولكن كانت مشكلته في عدم استيعابه وجود علاقة الله الرحمن مع البشر، ولهذا فالمشكلة كانت عند الفلاسفة أيضاً كأفلاطون وسقراط، فلقد كانوا يقرون بوجود الله الرحمن وانه الخالق، ولكنهم لم يقروا بالرسول، واشكالهم كان مع الرسل، وكيف يدفع هذا الأشكال؟ يدفع بهذا الترتيب: أن يؤمن الإنسان فعلياً بذات الله الرحمن بالقراءة وفق ترتيب نزول القرآن، وكما ذكرنا في الدرس السادس والسابع، أن يقوم للإنسان بالقراءة إزاحة وتصادم الكون باسم الساعة واليوم الآخر في القرآن، والكون يسير فعلاً وفق منهجه في ذلك الوقت والآن، وكل هذه المخلوقات لها مناهج، وتوجد بينهم علاقة و حلقة وصل، وترابط نوعي، وكلّ يؤدي حاجة الآخر، إذن لم يتم هذا عشوائياً، وإنما تم كله وفق ارادة معينة، ووفق ارادة الرحمن الخاصة، وبالنسبة للبشر فهذه الأرادة موجودة أيضاً، وبهذا المفهوم ينشأ الأيمان بالرسول.

الله الرحمن لا يهمل عباده

والوصول الى كل ذلك يتطلب المحاولة والتعب، ولذلك يجب على الإنسان المسلم أن يقوم الليل لكي يؤمن بالله الرحمن واليوم الآخر، ويؤمن بوجود علاقة بين هذه المخلوقات مع ذات الإنسان، ولكل رسالته، وكلهم ماضين الى اليوم الآخر، فلقد بدأت ساعة الصفر، وسيذهب هذا الإنسان أيضاً، إذن يجب أن يكون لله الرحمن علاقة مع هذا الإنسان، فكيفما يوضع الله الرحمن منهج لهذا الوجود، فحتماً لم يترك ولم يهمل هذا الإنسان، ويجب ان يوضع له منهج، فمن الذي ينزل هذا المنهج؟ الله الرحمن، بواسطة رسل السماء لرسول الأرض، إذن يجب على هذا الإنسان وهذا الذات الذي آمن بالله الرحمن والذي هو ممثل ارادة الله الرحمن، أن يؤمن أفقياً بهذا الشخص المتمثل بالرسول (عليه السلام و البركات)، الأيمان بالرسول ركن ثانوي أولي في مفهوم كيفية نشوء الأيمان في داخل الإنسان، وهذه

الممارسة التكرارية تخرج الإنسان فعلاً من التعامل القانوني مع الرسول (عليه السلام و البركات)، وبأن لا يتعامل مع الرسول (عليه السلام و البركات) متفناً قانونياً وبالقلم والورقة، وإنما يتعامل معه داخلياً وفطرياً، نحن الشباب تعرضنا لهذه الحالة، ووقتها تتغير هذه الحالة الى حالة حقيقية، حالة فعلية من السمع والطاعة، وليس التجنيد، لم يرد التجنيد للانسان المؤمن في القرآن بان يسمع ويطيع بدون وجود الارادة في داخله، وهذا غير مطلوب من البشرية اليوم، وإنما يجب عليه ان يسمع ويطيع بإرادته، بماذا؟ بانكشف الحسن من السيء أمام عينينه بوضوح، وان يحدد له الله الرحمن الحسن من السيء بوضوح، وعندها ينشأ العلاقة النوعية بين ذات الإنسان والرسول، ومثلاً نرى في البخاري مكتوب " أطلقوا اللحي و اتركوا منه كذا وقصروا من طوله كذا، فيطلق الشخص لحاه، كالتلميذ له جدول فينظر الى الجدول عند ذهابه الى المدرسة، ورأى قول الرسول (عليه السلام و البركات): (لَوْلَا أَنْ أَشَقَّ عَلَيَّ أُمَّتِي لِأَمْرَتُهُمْ بِالسَّوَالِكِ) (رواه الإمام أحمد)، فيضع سواكه ذو نصف المتر في جيبه، كلا، وحتى في وضوءه وصلاته، ويعني أن ايمانه بذات رسول الله يجعله يفعل ذلك، وعند جلوسه امام صنوبر الماء ليتوضأ، فيفتح الماء ويقول هكذا توضع الرسول (عليه السلام و البركات)، وهذا هو الإيمان، فيتذكر الرسول، هكذا تمضمض الرسول، وهكذا غسل وجهه بالماء، علاقة جذرية وقلبية، وليست بميكانيكية ووظيفية، وليس كالموظف المأمور الذي عليه ان يجلس على الطاولة من الساعة الثامنة الى الساعة الثانية، فعلاقة هذا الذات ايمانية وليست بنفسية، هي فوق النفس، فالنفس تخرج ولكن الايمان باقى، النفس مؤقت والايمان مستمر، وعند موت الإنسان يذهب النفس، ويصبح الايمان بطاقة دخول الجنة، إذن هذه الحالة بالاستمرارية والممارسة في داخل الانسان ينشأ علاقة نوعية مع ذات الرسول، وبالأخص رسولنا (عليه السلام و البركات) خاتم النبيين، ولهذا مثلاً ترى العلاقة بين مصعب وبين رسوله علاقة نوعية، وشفافة بالحد الذي لا

يتحملوه، (في الدرس القادم سنتحدث ان شاء الله الرحمن عن نشوء هذا النوع من الإيمان).

خصوصية الرسول (عليه السلام و البركات)

النقطة السادسة: من دون الرسل، رسولنا (عليه السلام و البركات) أُعطي تخصص كل الأنبياء والرسل في بُعد الكلمات، ومنح إمكانية كل الرسل بنيةً، ورسولنا (عليه السلام و البركات) هو الرسول الخاتم لجميع البشرية مادةً، وعند بعثه بقي له بالميراث، الكثير من اليهود، والكثير من المسيحيين، بما يقدرون بالمليارات، والملايين من اليهود، ومن عبدة النار، والبوذيين، انشأ الله الرحمن الرسول موسى (عليه السلام و البركات) لليهود فقط، إذن الطبيعة والبنية الداخلية للرسول موسى، والبنية البدنية له كانت في المستوى الذي يتمكن فيه الرسول موسى من استيعاب اليهود بكلامه وإرادة الله الرحمن بالتوراة وبموقفه البشري فعلاً، وليتمكن من التبيين والتبليغ التام لكلمات الله الرحمن لليهود، وأي تقصير من قبل الرسول موسى يصبح حجة في يد اليهود يوم القيامة، يستعملونه كورقة ضغط.

إذن لا يمكن ان يوجد أية تقصير في داخل الرسول موسى للتطبيق ولا في خارجه كأداء وعمل، وكذلك الرسول عيسى (عليه السلام و البركات)، ويأتي رسولنا (عليه السلام و البركات)، فينشأه الله الرحمن بالنوع الذي يجب ان يملك قابلية الرسول موسى، ليتمكن رسولنا (عليه السلام و البركات) كخاتم الرسل من التبيين والتبليغ وفي مستوى الرسول موسى لليهود من بني قينقاع أو يهود بني النضير وبني قريضة ويهود كل الكرة الأرضية، لكي لا تبقى حجتهم عليه ايضاً، إذن تكاليف وطاقة الرسول موسى موجودة عند رسولنا، كلمات وطاقة بدنية، وعند بعث الرسول عيسى لجمع اليهود، ومن ثم ليصبحوا مؤمنين ويصبحوا مسيحيين، فبقى الملايين من المسيحيين بالميراث لرسولنا، إذن يجب أن يكون طبيعة وكلمات

الرسول عيسى موجودة في داخل رسولنا (عليه السلام و البركات)، ليتمكن رسولنا من الأقتاع والتبليغ والتبيان في مستوى الرسول عيسى فعلاً عند مواجهته لجمع من المسيحيين، ومرة أخرى لكي لا يبقى حجة المسيحيين على رسولنا، إذن رسولنا (عليه السلام و البركات) جامع لوظيفة ومسؤولية وتكاليف كل الأنبياء والرسل، كل حسب حجمه، وكذلك القرآن في مستوى كل من التوراة والأنجيل والزيور وصحف ابراهيم وموسى، ويجب ان يكون امته في مستوى القرآن والرسول، ويجب ان يكون أمته في كل زمان ومكان في مستوى القرآن، في مستوى كل الكتب وحيث يستوعب كل القرآن، وفي نفس الوقت مستوعب لكتبهم وفي مستوى الرسل، ليتمكن امته كوكيل له من التبليغ والتبيين الفعلي على الأرض لكل المسيحيين وكل اليهود، ولكل الجاهلين وفي مستوى الرسول والقرآن، وليس في مستوى فهمهم هم وواقعهم فهذا مرفوض. إذن الإيمان بالله الرحمن والأيمان باليوم الآخر والأيمان بالرسل وبالذات رسول الله رسولنا (عليه السلام و البركات) ينشأ هذه النوعيات.

الجزء السابع عشر

وما مقامه بين الأنبياء والرسل؟

كيفية نشوء الإيمان بالرسول (عليه السلام و البركات)

كما نعلم أن الفطرة هو جهاز خلقه الله الرحمن في داخل الإنسان، لكي يتصل الإنسان بواسطة هذه الفطرة مع ذات الله الرحمن، واسمينا هذا الأتصال كمرحلة وسطية بالإيمان، ولقد خلقت هذه الفطرة على النحو الذي تتمكن فيه من تحقيق ارادة الله الرحمن في الوجود مئة بالمئة.

وأرسل الله الرحمن مؤيدات لهذه الفطرة في الخارج، وهما جهازان خارجيان " الأول: القرآن، والثاني: الرسول.

ورد في القرآن (آمنوا) ومن ثم (وعملوا) و (الصالحات) من بعده

أولاً: وكما قلنا فإن أحد هذان الجهازان هو من البشر، فالرحمن ذكر الأنبياء والرسل في القرآن بأسم البشر، ويعني في ترتيب وتصنيف هذا الكائن وهذا الذات، كإنسان وناس وبني آدم وبشر، والبشر كمرتبة عليا يتمكن فيها من تفهم حالة الرسالة، ويجب ان يكون طبيعة هذا الذات المنزل عليه الرسالة بالنحو الذي فيه يتمكن فعلاً من انشاء هذا التطابق المطلوب في فطرة الإنسان، فكيف ينشأ ذلك؟

لكي يتمكن هذا الرسول فعلاً، وهذا الذات وهذا البشر والنبى، من تطبيق الرسالة في ذاته تماماً مئة بالمئة، وليصبح هذا الذات وهذا النبي وهذا الرسول كلياً وسيلة تبيين ووسيلة تفهيم وتبليغ دين الله الرحمن وقرآنه، لجمع البشرية من حوله.

جبريل هو رسول الله الرحمن في السماء وسفيره، فيتصل سفير السماء مع سفير الأرض، ويتم اختيار سفير الأرض حسب مواصفات عدة، (وسنذكره في النقطة الثانية)، فيجب ان يكون هو حلقة الوصل والجسر والمسرح، ليتمكن من نقل ارادة الله الرحمن المنزل بواسطة جبريل الى كل البشرية.

فعليه أن يكون هذا الذات مسلماً في الأول، ومن ثم مؤمناً، وبعدها يقوم بتحويل هذا الأيمان النوعي الى خارجه، والى الغير، فرسولنا (عليه السلام و البركات) لم يستطع تقديم هذا الأيمان النوعي الى خديجة (رضي الله عنها) وعلي وابو بكر والصحابة الباقيين حتى اصبح هو مؤمناً نوعياً.

وكما تعلمون فاقد الشيء لا يعطيه، فيعطي الإنسان ما وجد في داخله، فالذي يطلب منك (٢٠) وانت لاتملك غير(١٠) فبالطبع لا تستطيع ان تعطيه (٢٠).

وفي الأصل هذا النوع من الإيمان الذي ذكره الله الرحمن في القرآن للأنبياء والرسل، هو نوع الإيمان الذي نشأ في داخل الرسول (عليه السلام و البركات) بنزول القرآن عليه سورة سورة وآية آية، وقام بتقديم هذا النوع من الإيمان للمقابل، فنقل الرسول (عليه السلام و البركات) هذه الحالة الحقيقية من داخله الى الخارج ببديهية، وبلا ركاكة وبلا تفنن، ومن دون دبلوماسية وتكلف، وورد في القرآن باسم العمل.

ولهذا ترى تكرار ذكر كلمة العمل في القرآن وقد سبقت بكلمة الإيمان، وردت الإيمان اولاً، ويعني في قاعدة القرآن وهندستها للكلمات، يأتي في الأول كلمة آمنوا ومن ثم عملوا ف الصالحات، وآمن الرسول (عليه السلام و البركات) بهذا النوع، فعند تحويله الإيمان الى الواقع، كان يُصبح عملاً وبسهولة، لأن الرسول (عليه السلام و البركات) كان كتلة من الإيمان.

الصفات الجسدية للرسول (عليه السلام و البركات)

النقطة الثانية: ذكرنا اختيار الله الرحمن البشر وفق صفات معينة للنبوة والرسالة، و ضربنا الكلية العسكرية مثلاً عليه، فيجب ان يملك الشخص الذي يقدم للكلية العسكرية صفات خاصة ومعينة، لكي يتم قبوله في الكلية، ومنذ ان خلق الله الرحمن الكون والبشرية الى آخر انسان على الكرة الأرضية ومن الأنس والجن كلهم امام عينيه، ولديه قائمة معينة بصفات الذين يقبلون كأنبياء ورسول، ولهذا وجد آدم ونوح و ابراهيم وموسى وعيسى ومحمد (عليهم السلام و البركات) وغيرهم من الأنبياء وفق تلك المواصفات، ولذلك اختارهم وفق تلك المواصفات، وهذا الاختيار ورد في القرآن باسم الأصطفاء، (إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ * ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) (ال عمران 33-34)، هو عالم بحال البشرية، وسميع لكل اختلاجات داخلهم،

وكما ذكرنا في الدرس السابق يجب ان يكون هذا الأختيار خُلقي و خُلقي، ويعني يجب ان يكونوا متكاملين مادةً بشرياً وجسدياً، فمثلاً لا يمكن ان يكون الرسول اعمى، لأنه هناك جملة من الأعتبارات يؤدي بواسطة العين، فلا يستطيع هو ان يتفهم ويمتص ويستوعب هذه الأعتبارات قبل الرسالة وبعدها إذا لم يكن له عينين، ولا يتمكن من نقلها إذا لم يفهمها، إذن " يتم نقل كل ما يفهم بالعين، وكل نقص في ذلك ينشأ خلافاً اثناء التبليغ والتبيين، إذن لا يتمكن من اداء الرسالة بالتمام، وينشأ النقص في أي شيء؟ في تبين كلام الله الرحمن وتبليغه، وفي حق الله الرحمن بالنسبة للمقابل، ولهذا يجب ان يكون للرسول والانبيا أعين أثناء وجودهم في وسط الحجة، في الوسط الذي هم حجة فيه، وكذلك الأذن والقدم، فيجب ان يكون كل جوارحهم وابدانهم متكاملًا.

وفي نفس الوقت يكون احساسهم الداخلي مثل الغير، في الفرح والحزن، وكغيره من الأناسي العاديين يحس بالألم، فيجب ان يكون الرسول ذو احساس، فالإنسان المقابل يحس باللذة مادياً فيجب ان يحس هو ايضاً بذلك، والإنسان العادي يحس بالفرح فيجب ان يحس هو ايضاً بذلك، وبنفس المعيار، وكل ذلك خُلقي، هكذا خلقهم الله الرحمن.

وينقسم الخُلقي الى بعدين:

الأول (أ): البعد الذاتي لهم كرسول، ويجب ان يملك عموم خط الرسل فعلياً صفتان رئيسيتان:

الأول: الصدق. الثاني: الأمانة.

وهذه الصفتان يجعل اصطفاء الله الرحمن عليهم فعلياً، الأول الصدق والثاني الأمانة، ولم يتحدث عن اية نفر من الرسل قاموا بخيانة الرسالة، او عن وجود خيانة مع المقابلين من البشرية.

ثانياً(ب): يجب ان تكون ذواتهم في مستوى الرسالة كأداء عند اصطفائهم.

القضاء على الحجج والتبريرات

قلنا مثلاً" الرسول موسى بعث لليهود، فيجب ان يكون الرسول موسى حجة لليهود في مستوى التوراة، في مستوى الحجج الذي جعلها الله الرحمن حجة على اليهود، لبني اسرائيل، ولفرعون يجب ان يكون في ذلك المستوى، فمثلاً عند القاء موسى العصي: (أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ) (الاعراف ١١٧)، ولكي لايتأثر به، فعند اخراج الرسول موسى يديه: (بِيضَاءَ لِلنَّظِيرِينَ) (الاعراف ١٠٨)، لا يكون على ذاته أثراً سلبياً.

وعند احياء الرسول عيسى الأموات: (وأحيى الموتى باذن الله) (ال عمران ٤٩) (وَأَنْبِئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ) (ال عمران ٤٩)، يقول لهم ويبلغهم، ويبين لهم ما وجد في جيوبهم وبيوتهم، من دون ان ينتقل الرسول عيسى، إذن يجب ان لايتأثر داخله سلبياً بهذه الحالات، ولكن يجب ان يكون في ذلك المستوى، ليرى الشخص المقابل حقيقة الرسالة في ذات الرسول مجسماً فعلياً، فأى خلل في ذوات الرسل في مستوى الرسالة، وإن لم يكن في مستوى خصوصية الرسالة فسينشأ الخلل اثناء التبیین والتبليغ، ولهذا هكذا خلقت طبيعتهم البشرية.

ولهذا فترى الصلابة والقوة والعنجهية، والعصبية والقسوة والجفاء موجوداً في طبع اليهود، إذن فيجب ان يتواجد جزء من هذا في طبع الرسول موسى، ليتمكن من التبیین في مستوى ذلك الجمع فعلاً، ولهذا فالرسول موسى يأخذ اجازة عند رؤيته للخلل (أَرْبَعِينَ لَيْلَةً) (البقرة ٥١)، للقاء معين واجتماع خاص مع ذات الله الرحمن، وعند عودته يرى الانحراف في مجتمعه، (وَأَلْقَى الْأَلْوَاخَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ) (الاعراف ١٥٠)، يمسك ويجر شعر ولحية اخيه، يمسك لحيته

بيد ويجر بيده الأخرى شعره اليه (يَجْرُهُ إِلَيْهِ)، حيث يقول هارون بهدوء (يَا ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي) (طه ٩٤).

فلو لم يكن يملك هذه القوة لما استطاع من تجسيد وتجسيم رسالته للمقابل، والظاهر ان جمعاً كبيراً من اليهود بقوا بالميراث اثناء بعثة رسولنا (عليه السلام و البركات)، انظر الى ذكر عقلهم وذكائهم في القرآن، يذكر مستوى تفكيرهم في القرآن، وهؤلاء من تعامل معهم الرسول موسى، ويأتي رسولنا (عليه السلام و البركات) بعد الرسول موسى الى الوجود بثلاث وعشرون قرناً، والى ذلك الوقت كانت الشياطين تعمل على عقول اليهود، إذن فعندما يأتي الرسول وقد بقي اليهود له بالميراث، فيجب عليه ان يبلغ اليهود في مستوى التوراة وفوق التوراة فعلاً، وان يكون في المستوى الذي يستطيع فيه التمثل لقوة الرسول موسى في بدنه، لأنهم آمنوا بالكلية بالرسول موسى، ويجب ان يتواجد هذه الكلية في ذات رسول الله (عليه السلام و البركات)، لكي يواجه اليهود على هذا النحو إذا حصلت معهم المواجهة، واثناء المواجهة مع اليهود خرج الرسول (عليه السلام و البركات) من المدينة، وأسلم جمعاً من اليهود لرؤيتهم قوة الرسول (عليه السلام و البركات)، والظاهر بأن قوة الرسول (عليه السلام و البركات) تلك كانت فعلاً مرحلة من مراحل التبليغ وتبيين الرسالة، وعلى هذا النحو يهتدي اليهود.

وفي نفس الوقت كان هناك عدد كبير من المسيحيين موجودين بالميراث للرسول (عليه السلام و البركات)، كان على الرسول (عليه السلام و البركات) ان يقوم بالتبيين وتبليغ الدين في مستوى رسالة الرسول عيسى، وذلك لكي لا يبقى لهؤلاء ايضاً حجة امام الله الرحمن يوم القيامة فعلياً.

ولذلك كان اصطفاء الرسول (عليه السلام و البركات) خُلُقياً و خُلُقياً في مستوى جميع الأنبياء والرسل، وطبعاً الخُلُقِي والخُلُقِي كل بذاته يقابل المقابل، ورسالته في مستوى رسالة كل الأنبياء والرسل، انما رسالة رسولنا هي رسالة كلية، وجاءت

لأولئك اجزاء من ذلك الكلي، القرآن كان موجوداً في اللوح المحفوظ، نزل جزء من هذا القرآن لآدم، وجزء من هذا القرآن نزل لأبراهيم، وجزء من هذا القرآن لعيسى وموسى، ويتم تكملته وينزل لذات رسول الله (عليه السلام و البركات)، وما مكتوب في القرآن موجود الآن في اللوح المحفوظ ومتطابق معه، إذن يجب ان يكون الرسول (عليه السلام و البركات) في هذا المستوى.

مقام الرسول (عليه السلام و البركات)

النقطة الثالثة: نأتي هنا الى مقام الرسول (عليه السلام و البركات) عند الأنبياء والرسول، الذي ذكرناهم آنفاً، يقول الرحمن في سورة آل عمران: (وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ) (ال عمران ٨١)، فماذا يريد الله الرحمن من الأنبياء والرسول؟ (جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَتَنْصُرُنَّهُ) (ال عمران ٨١)، يذكر الله الرحمن هذان الشرطان، فيذكر هنا كل الأنبياء ويعني شمول كلهم من آدم الى عيسى، وهذا مذكور في القرآن، والذي لم يذكر في القرآن هو أخذ الله الرحمن الميثاق منهم: (آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ) (ال عمران ٨١).

ذكرنا في الدروس السابقة بأنه الكتاب والحكمة في القرآن وليس الكتاب والسنة، وهو كذلك في كل القرآن، ولهذا يقول الرحمن: (وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ) (ال عمران ٨١) وبعدها قال: (وَلَتَنْصُرُنَّهُ) (قَالَ أَفَرَّرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي) (ال عمران ٨١)، وقال (إِصْرِي) وليس امري، وكلهم قالوا: (قَالُوا أَفَرَّرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا)، فيشهد معهم (وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ) (ال عمران ٨١)، وليس الأنبياء والرسول فقط.

إن كل الأنبياء يؤمنون برسولنا (عليهم السلام و البركات)، ويكون إيمانهم ناقصاً إذا لم يؤمنوا به، وطبعاً مقام النبوة هو حد أدنى من الرسالة، ويعني إذا أخذه من الأنبياء فحتماً قد أخذه من الرسل، لأن الرسل من ضمن الأنبياء، و(بلا تشبيهه) كالأمين العام والوزير، فالوزير يملك سلطة الأمين العام ايضاً، فيستطيع أن ينزل الى مستوى الأمين العام، ولكن الأمين العام لا يستطيع ان يصعد الى مستوى الوزير، وبلا تشبيهه فالنبي كالأمين العام، فإذا أخذ الأقرار والشهادة من الأمناء العامين فحتماً قد مر الوزير بذلك المستوى، وتعداه، فلقد أخذ من الوزراء تلقائياً، علماً الله الرحمن يوجل ويوقف كل هذا، وهم معهم متى؟ اثناء الأسراء والمعراج.

ولقد تحدثنا في دروس السيرة عن الأسراء والمعراج، وتحدثنا عن هذه الشهادة وهذا الأقرار، (وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ) (الاحزاب ٧)، وانظر كيف يقوم بترتيب الأنبياء وفق الزمن والنوع.

ذكرنا سابقاً هندسة كلمات القرآن، فهي اعجوبة نوعية، ويعني ان الله الرحمن حين يسبك الكلمة، يأتي كلمة وراء كلمة، فله هدفه الخاص في القرآن، ومن الضروري ان يستفيد الانسان المؤمن حسن الاستفادة من هذا السبك، وعندها يكشف له عجائب القرآن فعلاً، ولهذا يقول الرحمن: (وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ) (الاحزاب ٧)، من كل الأنبياء ومن ثم (وَمِنْكَ) ومن ثم يذهب الى الترتيب الزمني (وَمِنْ نُوحٍ)، حسنا فرسولنا (عليه السلام و البركات) كان آخرهم (وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقاً غَلِيظاً) (الاحزاب ٧)، وهذا مقام رسولنا (عليه السلام و البركات) بين الأنبياء والرسل، مقام نوعي.

لقد جاء رسولنا متأخراً من حيث الزمن، فيوجد الف سنة بين رسولنا وبين الرسول نوح (عليهم السلام و البركات)، حسنا فلماذا تم تقديم رسولنا هنا؟ بسبب مقامه،

(وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ) (الاحزاب ٧) والنقطة المهمة هنا ان يؤمن الرسول بنفسه كرسول.

فبعد ايمان الرسول (عليه السلام و البركات) بالله الرحمن وباليوم الآخر، كان عليه ان يؤمن بذاته كرسول، ومن ثم عليه ان يؤمن بالقرآن، وفي هذه الفترة أُخِذَ الميثاق من رسولنا (وَمِنْكَ) وبعده (وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا) (الاحزاب ٧)، وهذا مقام رسولنا بين الأنبياء والرسول.

وكما ذكرنا في الدرس السابق ففي وظيفة الرسل ولكل الأنبياء والرسول كتاب وحكمة، ويقومون بالتلاوة للبشرية، وكذلك كان عند رسولنا (عليه السلام و البركات)، وكذلك كان عنده تعليم الناس، يقول الرحمن في سورة البقرة: (كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ) (البقرة ١٥١)، أو في سورة آل عمران يقول: (لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) (آل عمران ١٦٤)، أو يقول: (هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) (الجمعة ٢)، وكلُّ بهذا الترتيب.

إذن فعمل هذا الرسول ومقامه التلاوة، تلاوة آيات الله الرحمن الكونية والشرعية للبشر، وعندها يقوم البشر بالقراءة، ويأتي بعدها الرسول (عليه السلام و البركات) مرة أخرى ويزكي ايمانهم بواسطة القراءة، ويقوم بتعليمهم الكتاب والحكمة.

لماذا تيتيم الرسول (عليه السلام و البركات) لثلاث مرات؟

وبالطبع كما قلنا التعليم ليس بالمدارسة، فكلنا متفقين مع علماء السلف بأن الرسول (عليه السلام و البركات) لم يؤسس معاهد وجامعات واعداديات لجمع الصحابة، ولم يعلم أحد حروف الهجاء (أ، ب، ت، ث) ولا ١+١، حسناً فماذا يعني التعليم؟ قلنا بأن التعليم موجود فطرةً في داخل الأنسان، ويبدأ بالعمل بواسطة القراءة، وعندما يبدأ بالعمل ينكشف لذلك البشر جملة من المفاهيم والمعارف البشرية المادية والمعنوية التي اراد الله الرحمن ان يكشفه للبشر، فالمعارف الشرعية والمادية والكونية موجودة في داخله، والعلم هو حينما يبدأ الفطرة بالعمل وبلا تشبيهه كالشفرة الموجودة في الآلة الحاسبة الصغيرة.

فهذه الشفرة وهذه الكلمات موجودة في داخله، ولكن لا تكتب هذه الأرقام على شاشته إذا لم تضغط على المفاتيح، لا تكتب الكلمات، وكذلك هو فطرة البشر، فعندما يأتي ويقرأ ومن ثم يسمع التلاوة، فيبدأ العلم بالأزدياد (وَيَعْلَمُهُمُ الْكِتَابَ)، وفوق هذا كتاب الكون كله، وبعد ذلك (وَ الْحِكْمَةَ) وعند تحويله الى الواقع فسيحوله فعلاً بحكمة الى الواقع، ويتعلم الشخص المقابل الدين عند رؤيته له، (يُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) (الجمعة ٢)، فكان هذا مقام الرسول (عليه السلام و البركات) بين الأنبياء والرسل، ولنأتي على مقامه في الوجود، ونقصد المخلوقات بالوجود، الرسول (عليه السلام و البركات) هو آخر رسول، وكتابه آخر كتاب، ويصف نفسه كما هو موجود في صحيح البخاري إذ يقول ان مقامي مع مقام الأنبياء والرسل، كمقام البيت، حيث يأتي مجموعة من الأشخاص فيضع كل واحد منهم حجره وفي النهاية يبقى مكان حجر واحد ناقص، ويتم ترتيب الحيطان، فهل سينطبق السقف عليه؟ كلا، سينشأ خلافاً فقال الرسول وكنت انا الحجر الذي كمل به الله الرحمن ذلك البيت، وكل من يدور حول ذلك البيت لا يرى فيه نقصاً ولا تقصيراً فعلاً، وحيث كان النقص فيه من قبل، فانظر الى حكمة الرسول (عليه السلام و البركات) في هذا الحديث، فيعني ان ذات الرسول (عليه السلام و البركات) مكمل لهذا الوجود، وإن لم يبعث الرسول (عليه السلام و

(البركات) الى الوجود لكان الوجود لا معنى له، وكان يظل كله ناقصاً، الكون كله وليس فقط الكرة الأرضية، وكذلك كل البشرية كان سيظل ناقصاً.

وبلا تشبيهه كأن تتابع فلماً سينمائياً لمدة ساعتين وفي نهايته تنهض، فلا تفهم ماذا كان الهدف من هذا الفيلم، وماذا اراد ان يقدم المخرج من هذا الفلم، وبلا تشبيهه هكذا هو عمل الرسول (عليه السلام و البركات)، فإن لم يكن هو موجوداً، وكذلك رسالته، فلم يكن للوجود معنى، ولهذا فان رسالة الله الرحمن ورسوله رحمة للعالمين، وليس للبشر فقط، وانما للجن ايضاً، فكما الله الرحمن هو رب العالمين فإن رسوله رحمة للعالمين، فالرب ليس فقط رب الكرة الأرضية والبشر، وليس فقط رب المسلمين والمؤمنين، وانما هو رب الكفرة واليهود ايضاً، ورب الشمس والقمر والنجوم، ورب السماء والأرض، وعندما يبعث الرسول (عليه السلام و البركات) رحمة للعالمين، ضع خطأ تحت للعالمين.

إن هو رحمة للشمس والقمر، ورحمة للمريخ، ورحمة للبشر، ورحمة لكل الموجودات، ويختتم الله الرحمن ارادته بواسطة الرسول (عليه السلام و البركات) ولهذا يقول خاتم الأنبياء والمرسلين، فإذا جاء ولم يكن هذا الذات على هذا النحو فإن الرسالة لم تكن لتأتي على هذا النحو.

إن قدرة الله الرحمن كانت في صياغة ذات الرسول (عليه السلام و البركات) وكيفية تنشأته على هذا النحو، ولا تتعجبوا من ان الله الرحمن يذكر للرسول (عليه السلام و البركات) حادثة حدثت قبل ولادته بأربعين عام، وفيه إشارة لذات الرسول (عليه السلام و البركات)، فإذا لاحظتم سورة الفيل وعدد آياته، وهل كل ما فيها هو فقط كشف قدرة الله الرحمن في حفظ البيت؟ في الجواب نقول كلا، هذا جزء من تأريخ حياة الرسول (عليه السلام و البركات) قبل ولادته.

فان الله الرحمن ينشأ هذه الأحداث للأناسي في الوسط الذي يعيشون من حول هذا الرجل، لجذب انظارهم واعلامهم وتبليغهم، ويقوم بالتبيان لهم بواسطة

الأحداث الكونية، انتبهوا ستأتي حادثة أكبر من هذه الحادثة فعلاً، فمقام الرسول (عليه السلام و البركات) بين الرسل والرسالات وفي القرآن أكبر من مقام البيت.

حادثة مشهورة ذكرت في صحيح البخاري ومسلم: وقف الأمام عمر (رضي الله عنه) امام الحجر الأسود أثناء الطواف وقبله فقال أعلم والله ايها الحجر الأسعد بأنك حجر وقيمتك لا تساوي الكثير عند الله الرحمن، ولكن لو لم يقبلك الرسول ما قبلتك، والحجر الأسعد أهم من البيت، والأنسان المؤمن أعز وأكرم من البيت. لم يقصد الله الرحمن من تنشئة تلك الحادثة قبل ولادة الرسول (عليه السلام و البركات) بالبيت؛ فالقدس كان موجوداً، وكانت قبلة جمع المؤمنين لذلك الزمان، وكان يمكن من اعادته، و تهدم البيت لعدة مرات وأخذته السيول، فقاموا ببناءه من جديد، وليس الحكمة لمجيء ابرهة في هدمه فعلاً، ولكن الحكمة في ما ينتظر البيت بعد ذلك، فالآتي وبلا تشبيهه كان سابقاً يعرض مقدمة الفيلم السينمائي قبل عرض الفيلم، وذلك لجلب انظار المقابلين فعلاً، فكان هذا مقام الرسول (عليه السلام و البركات).

ويقطع الله الرحمن لقطات من حياة الرسول (عليه السلام و البركات) قبل النبوة (أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى) (الضحى ٦)، (يَتِيمًا) حسناً فمن يتمه؟ تيتيم لثلاث مرات، في الأول من الأب، والثاني من الأم، ومن ثم من الجد والذي كان بإمكانه التعويض عن الأب والأم، فمن جعله يتيماً؟ لكي يأتي الى الوجود مفهوم الأصطفاء بالتمام في داخل الرسول (عليه السلام و البركات)، فيقال للأم في اللغة العربية (ربة الأسرة)، أو يقال للأب (رب العائلة)، لكي يتم تفريغ داخل الرسول ومسح القسم التي تسحبها الأم من مفهوم كلمة الرب، والقسم الذي يسحبه الأب من مفهوم كلمة الرب، أو ما يسحبه الجد، فلا يذهب كلمة رب لا للأم ولا للأب ولا للجد مادةً، وكله يذهب لذات الله الرحمن، فلا يقول أمي وأبي في أية وقت، وإنما يقول ربي ربي في كل وقت.

فيقول: (أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى) (الضحى ٦) من الذي آوى؟ الله، (وَ وَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى) (الضحى ٨) من وجدك عائلاً؟ الله، من الذي أغناه؟ الله، ويعني هذا بأن كل لقطات حياة هذا الرسول (عليه السلام و البركات) موجود في القرآن، لماذا؟ لكي يحس الوسط الذي يعيش فيه الرسول بالإضافة التي تطراً على هذه الخصوصية والتي هي شخصيته، لكي يؤمنوا ويقروا ويعترفوا به كما اقرؤا واعترفوا لمن سبقه.

ماذا روت عاتكة عن الرسول (عليه السلام و البركات)؟

ذكرنا في دروس السيرة سابقاً، فالرسول (عليه السلام و البركات) منذ ولادته الى مماته وقبل نبوته، لم يأكل لقمة من الحرام، ولم يطف ولا لمرّة لصنم، ولم يأكل ولا لمرّة من ذبيحة صنم، ولم يقف امام صنم ولا لمرّة.

حوادث غريبة موجودة في تأريخ حياة الرسول (عليه السلام و البركات) ذكرت في الصحاح، بوانة كان صنماً موجوداً بالقرب من البحر الأحمر، وكان هذا الصنم يخص قريش فقط، فكانوا يذهبون اليه في السنة مرة ويتعبدون بواسطة هذا الصنم، فأخذوا الرسول معهم وعمره خمس اعوام، لسنتين وهم يأخذونه معهم، عمته عاتكة أخت ابيه تتحدث عن لقطة من هذه اللقطات، وبالطبع آمنت به من بعد، وكنا نأخذه بالقوة لأنه لم يكن يريد ان يأتي معنا، في يوم من الأيام جبرنا أن نحضنه ونأخذه بالقوة، وهو بين احضاننا إذ كنا نقترّب من بوانة رويداً فرويداً، فبدأ الرسول (عليه السلام و البركات) يرجف عند اقترابنا، وكلما اقتربنا لسنتمر واحد كان رجفانه يزيد، نقترّب فيرجف اكثر، فجبرنا على تركه خشية ان نفقده.

جاء على بال الرسول (عليه السلام و البركات) يوماً لما هذا الصنم؟ لقد كان في البيت (٣٦٠) صنم، بعدد ايام السنة، هذا فقط، فرأى كائناً ابيضاً أمام عينيه

مباشرةً، فوضع يده على صدر الرسول (عليه السلام و البركات) وقال له (إرجع يا محمد)، وحدثنا الرسول عن ذكرياته إذ كان صغيراً ومراهقاً.

لقطة اخرى من لقطات حياته، عندما كان عمره (١٢-١٤) عاماً، في بداية سن البلوغ والمراهقة، كان راعياً خارج مكة، ومعه رفيقه الراعي الأكبر منه سناً وهو شاب بالغ، يرعيان الغنم معاً لشخص غني خارج مكة، فقال له رفيقه هناك حفلة زواج للشخص الفلاني في مكة، حيث الرقص والطعام الكثير، سبعة ايام من الفرح والمرح، فلننقاسم بيننا لكي لا نحرم منه لا انا ولا انت، ونشاركهم نحن الاثنان، وكان الرسول (عليه السلام و البركات) شاباً صغيراً فقال كيف؟ وماذا نفعل؟ فقال له اذهب أنا في ليلة وتبقى انت تحرس الحيوانات التي عندي، وفي الليلة القادمة تذهب انت وانا احرس الحيوانات التي عندك، فرضي الرسول (عليه السلام و البركات)، رمى الراعي قطعة النقود فخرجت للرسول، فاحتال الراعي على الرسول وقال هذه ليلتي وسأذهب انا وانت تبقى تحرس، فبقى الرسول يحرس حتى الصباح، ورجع الراعي عند الشروق. وفي الليلة القادمة قال للرسول انها ليلتك فاذهب انت، وذلك لكي يؤمن الليلة الثالثة لنفسه، فمضى الرسول (عليه السلام و البركات) وبالقرب من مكة نعس فنام مباشرة، وبالطبع النوم الذي ننامه نحن (اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا) (الزمر ٤٢)، فهناك ملائكة خاصة تنوم الأنسان، فارتقبت هذه الملائكة الرسول وقبل وصوله الى مكة نومته مباشرة، وأيقظته في حر الظهيرة، فاستيقظ وجسمه محتر ومتعرق، فنظر الى الحفلة وقد انتهت مراسيمها في التو، فرجع الرسول (عليه السلام و البركات). وفي الليلة القادمة ذهب رفيقه مرة اخرى، وبعدها أتى دور الرسول، ومرة اخرى وفي نفس المكان ارتقبت الملائكة فنام الرسول وهكذا تكررت الحالة لثلاث مرات، فنهض الرسول في الثالثة فقال: (والله لم أخلق لهذا) وما زال الرسول (عليه السلام و البركات) هنا مراهقاً.

حادثة موجودة في صحاح البخاري ومسلم: أجريت للرسول عمليتين جراحيتين في جسمه، ولكن لم يكن الأطباء من الأرض، فلقد كانوا أطباء من السماء وملائكة خاصة، ذكر الله الرحمن: (أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ) (الشرح)، وهذا التشريح مادي بدني خاص أجري لذات الرسول فقط، ليكون فعلاً في مستوى الوحي، وكما ذكرنا سابقاً الحالة التي مر به الرسول (عليه السلام و البركات) عند مجيء الوحي له، ليكون بذلك المستوى.

آيات كثيرة تذكر مقام الرسول (عليه السلام و البركات)، وأحبذ ان تقوموا بمراجعة القرآن بانفسكم، وتقريباً في ربع القرآن ذكر جزئية شخصية حياة الرسول (عليه السلام و البركات)، وحيث ان كله اسوة فعلاً لذات جمع المؤمنين.

وفي لقطة من اللقطات يقول الرحمن: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ) (الأنبياء ١٠٧) (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ) أو يقول: (وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا) (الطور ٤٨)، أو يقول: (وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ) (القلم ٤)، وهذه من صفاته، فتشخيص ذات الله الرحمن للرسول (عليه السلام و البركات) في القرآن كثيرة جداً، وبالطبع فالرسول كما وصفه الله الرحمن، ويعني عند ذكره للرحمة فهو رحمة مئة بالمئة فهو رحمة حتى للكافر ايضاً.

وهناك جملة من الأمور في هذه الآيات التي تذكر الرسول (عليه السلام و البركات)، ولقد خوطب الرسول ببعض المصطلحات، وقد يحتمل ورود شبيهه في القرآن لرسول آخر، ولكن الله الرحمن لم يقصد رسولنا (عليه السلام و البركات) بالذات، فهناك فاصل وفارق بين الأنبياء والرسل وبين ذات الرسول (عليه السلام و البركات) في القرآن، ولهذا استطيع أن أقول بأن كل الصفات الإيجابية الخلقية والخلقية المذكورة في القرآن والموجودة عند كل الأنبياء والرسل، هو موجود عند ذات الرسول (عليه السلام و البركات) بالتمام والكمال.

كيف آمن أبو بكر وعمر (رضي الله عنهما)؟

في الدرس القادم ان شاء الله سنتطرق مرة اخرى شخصية الرسول قرآنيًا، لكي يتم كشفه لنا ايضاً فعلاً، كما كشفت حقائق ذات الرسول لجمع الصحابة، فلم يؤمن أبو بكر بالرسول تلقائياً، فلقد كان يعرفه مسبقاً، وكذلك لم يؤمن عمر بالرسول تلقائياً، فلقد كانت عنده لقطات عن الرسول، وكذلك ابو لهب لم يكفر به، فلقد كانت عنده لقطات من قبل، ومن الضروري ان يكون ذلك امام اعيننا كخريطة، ونقوم بمعايشة حالة الرسول كأبو بكر وعمر، وهذا ما نقصده من هذا الدرس، فعند معايشتنا له سيكشف لنا حقيقة هذا الرسول كشخصية رسالية، وعند الممارسة يصبح ايماناً، في بُعد القدوة والقائد، والرمز والبطل، وسيصبح الرسول (عليه السلام و البركات) نجماً وكل ما ذكر آنفاً.

لأنه يجب أن نؤمن به، فحالة الرسول (عليه السلام و البركات) كانت نصب أعين أبو بكر ومصعب (رضي الله عنهما)، ويذكره لنا القرآن بمجسمة كاملة، ولكي نؤمن به كما آمنوا هم، علينا نحن ايضاً ان نقوم بتكرار واعادة هذه الحالات في انفسنا، فسينشأ نفس الحالة ونفس الأيمان في داخلنا لذات رسول الله (عليه السلام و البركات)، وهذا ما نقصده من هذه الدروس.

وإن وفقنا الله الرحمن سنستمر في الدرس القادم في هذا، جعل الله الرحمن كل الوسائل والأسباب من نصيبنا لأيجاد هذا النوع من الأيمان، وأن يهدينا لهذا النوع من الأيمان، وأن يدفعنا لهذه الحالة المعينة انه الرشيد.

ملاحظة

المدة بين موسى وعيسى عليهما السلام: قال القرطبي: واختلف في قدر مدة تلك الفترة فذكر محمد بن سعد في كتاب الطبقات عن ابن عباس قال كان بين موسى بن عمران وعيسى بن مريم عليهما السلام ألف سنة وسبعمائة سنة ولم يكن بينهما فترة وأنه أرسل بينهما ألف نبي من بني إسرائيل سوى من أرسل من

غيرهم وكان بين ميلاد عيسى والنبي صلى الله عليه وسلم خمسمائة سنة وتسع وتسعون سنة" تفسير القرطبي" (١١٢/٦). قال ابن حجر: وقد اتفق أهل النقل على أن مدة اليهود إلى بعثة النبي (عليه السلام و البركات) كانت أكثر من ألفي سنة ومدة النصارى من ذلك ستمائة. "فتح الباري" (٤٤٩/٤).

المدة بين عيسى ونبينا محمد عليهما الصلاة والسلام: روى البخاري (٣٧٣٢) عن سلمان الفارسي قال: فترة بين عيسى و محمد (عليهما السلام و البركات) ستمائة سنة.

الجزء الثامن عشر

حياة العرب قبل مجيء الرسول (عليه السلام و البركات)

المحاولات المستمرة لتتمة الإيمان بالرسول (عليه السلام و البركات)

نستمر في الجزء الثاني لكيفية نشوء الإيمان بذات رسول الله (عليه السلام و البركات)، ولعلمكم الإيمان يحتاج الى جهد وزمن معينين، وعلى الإنسان ان يصرفهما لايجاد هذه الحالة في داخله، والفترة الموجودة في الإنسان هي الأرضية لهذا الإيمان.

للإيمان ركنان أصليان

وضع الله الرحمن جهازان في خارج الإنسان لتفعيل فطرته:

الجهاز الأول: كلامه المتمثل في الكتب، وبالنسبة لجمع المؤمنين لهذا الزمان هو القرآن.

الجهاز الثاني: الرسول المخلوق الذي نزل عليه القرآن، فيؤمن بالقرآن، ويحوّله الى عمل في واقع الحال، العمل الصالح، لكي يصبح الممثل الأول لهذا النوع من الأيمان، وذكرنا نحن المسلمين كيف نصب مؤمنين بذات الله الرحمن عن طريق ترتيب نزول القرآن، بدأً من سورة العلق الى نهاية القرآن، وهذه مراحل ترتيب الأيمان في داخل الإنسان، ويتم نشوء الأيمان بهذه الطريقة ايضاً.

ركنا أصل الأيمان: الأيمان بالله الرحمن والايمن باليوم الآخر، وهكذا وضع الله خريطة نشوء الايمان في القرآن، وما تبقى هو من المكملات، واول جزء من المكملات هو الأيمان بالرسول، وبرسولنا (عليه السلام و البركات) بالذات من بين الرسل. ونحتاج لبعض الأمور لكي نؤمن بذات رسول الله (عليه السلام و البركات)، منها وجود المعرفة بذات الرسول (عليه السلام و البركات)، وهذه المعرفة بالنسبة لذات رسول الله تعمل على تحويل هذه المعلومات الموجودة في اذهاننا الى حالة الأيمان الفعلية به، ولها قواعدها الخاصة:

المرحلة الأولى: نشوء المعرفة في داخل الإنسان، وذلك يحتاج الى بعض المراحل، ومن ذلك هو حاجة الإنسان الى ذات رسول الله (عليه السلام و البركات)، وحيث أن الحاجة الأيمانية اصل فيه، فهل فعلاً البشرية او الكون والوجود بحاجة الى هذا الذات أم لا؟ فإذا نشأت هذه الحالة وهذا الأحتياج في داخل الانسان، فأن

قواعد او مراحل نشوء الإيمان بذات رسول الله (عليه السلام و البركات) قد بدأ، ولهذا فأن درسنا لهذا اليوم هو معرفي وتاريخي بشكل كبير.

ما لم يتمكن الملائكة من تأديته؟

يجب التعرف على ذات الرسول (عليه السلام و البركات) للحصول على معرفة شخصيته، ثوابت الحياة في فترة قبل ولادته، وفي فترة قبل النبوة وبعد النبوة، ومن ثم عندما يأتيه الوحي و زمن الرسالة وكيف يقوم بالتبليغ والتبيين؟ فكل ذلك هو تمهيد لكيفية نشوء الإيمان به.

ولهذا ترى البعد التاريخي والمعرفي ظاهر في درس اليوم، لهدف زيادة المعرفة بذات الرسول (عليه السلام و البركات)، حيث ذكرنا هذا الموضوع من قبل قرآنياً ومفصلاً في دروس السيرة، وهنا نشير بسرعة لهذا الموضوع، ومن يرغب ان يعرف اكثر عن ذات رسول الله (عليه السلام و البركات)، فلقد تحدثنا في ستة اجزاء عن سيرة الرسول (عليه السلام و البركات) كشخصية.

فإذا تصورنا انفسنا في ارض مكة قبل كم الف سنة، ارض صحراوية محاطة بالجبال من اطرافها الثلاث ولا يوجد فيه شيء، فصيفه حار وجاف قد يصل درجة حرارته الى (٤٠) مئوية، وشتاءه بارد وليله بارد ومثلج.

فلقد كان الله الرحمن سفير على الأرض، وأمره أن يبني بيتاً في المكان المغناطيسي الفلاني، وفق الخريطة التي اعطاه له جبريل، ابراهيم (عليه السلام) اسم سفير الأرض، ولقد خلقه الله الرحمن لهذه الحالة واعطاه الرسالة، وكانت له حركة ونشاط بينه وبين الله الرحمن ولذلك فإن أمته كانت محدودة، وكانت له أعمال مأمورية و سفارة بينه وبين بعض الأنبياء الموجودين في زمانه، وبلا

تشبيهه كالبريد على الأرض، فالأعمال المادية التي يريده الرحمن وليس بإمكان الملائكة من تأديتها، قام هذا الرسول بتأديته، ومن هذه الأعمال بناء البيت.

ينطلق الرسول ابراهيم من موقعه الى فلسطين، فيأتي هو وعائلته الى مكة فعلاً، وأثبت الآن علمياً بأن مكة من اكثر الأماكن تركيزاً للجذب المغناطيسي على الكرة الأرضية، فالبوصله التي نضعها لا تتوجه نحو مشرق ومغرب الكرة الأرضية وانما تتوجه نحو مكة فعلاً، فبنى هذا الذات البيت وفق خريطة الله الرحمن.

فكان لزاماً أن يبعث رسولنا من هذا المكان، وكان منبع الأيمان والتقسيم الجغرافي للإيمان بواسطة الأنبياء والرسل في فلسطين والشام وما حولهما، والآن يريد الله الرحمن ان ينقلها الى منطقة أخرى، ولهذا يصبح البيت (الكعبة) مثابة: (مَثَابَةً لِّلنَّاسِ) (البقرة ١٥٢)، وليس للمؤمنين وانما يقول سحب قلب كل الناس الى البيت.

ولهذا فلقد ذكر بعض المستشرقين وخاصة العلماء الأنكليز اثناء تجوالهم في نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر، فذكروا في كتبهم بأنهم احسوا فعلاً بجاذبية معينة حين قدومهم الى هذه المنطقة، فالإنسان يحس بالهدوء والاستقرار في هذه المنطقة وفي مكة خصوصاً، ولهذا كانت احدى طلبات كلادستون في مؤتمر لوراني البريطاني هو تدمير البيت الذي بواسطته يدمر الإسلام. فكل المسلمين والمؤمنين يتصلون لخمس مرات مغناطيسياً في صلاتهم مع البيت.

يقوم الله الرحمن بحماية بعض هذه العوائل والأشخاص، حيث يخرج الرسول من صلبهم فعلاً، وكما ذكرنا في الدرس السابق بأن الله الرحمن يحضر مقدمات لقدم الرسول (عليه السلام و البركات)، لكي ينشأ الأرضية لهؤلاء الجموع

والذي يتم ايجاد الرسول فيهم من بعد ويبعث فيهم كنبى وصاحب رسالة، حتى لا يصرفوا الجهود الكثيرة ليؤمنوا به ويعرفوه كرسول (عليه السلام و البركات).

فمثلاً" وكما ذكرنا سابقاً: وكأننا مسافرين الى بغداد في سيارة، وفي الطريق وقبل وصولنا الى كركوك، حدثت حادثة وكان هناك جسر يبنى، ووضعت علامات و اشارات مرورية على الطريق من قبل المرور والبلدية، يفهم بها السائق بأنه هناك جسر يبنى بعد (١٠) كم، ولذلك اوجدوا تحويلة مؤقتة يذهب السائق فيها على التراب.

وبلا تشبيهه يهيء الله الرحمن مجموعة من الأحداث لذات الرسول (عليه السلام و البركات)، ومنها حادثة هدم الكعبة على يد أبرهة، ذكره الله الرحمن في القرآن بسورة كاملة واسماه حادثة الفيل، والهدف منه هو جلب الأنظار فعلاً، لهذا المكان الذي له هذا المقام والمكانة في قلوب المؤمنين اثناء التعبد.

علماً بأن الله الرحمن كان عليماً ورقيباً وسميعاً وبصيراً بوجود (٣٦٥) صنم في البيت، وواجه ابرهة بالتمرد مباشرة عند بدأه بالحركة، ونشأت هذه الحادثة بواسطة طيور الأبايل، ولماذا نشأت هذه الحادثة؟ وعلماً كان الشرك موجوداً في البيت في زمن (عمر بن لحي)، واقتراب زمن ولادة الرسول وقدمه، إذ هناك (٥٠) يوم بين ولادة الرسول وبين حادثة الفيل باتفاق أغلب المؤرخين.

وهرب الكثير من الناس على أثر كل هذه الحركات والأنشطة خوفاً من الفيل ومن هدم الكعبة الى شعاب مكة، فاصبح ذلك تاريخاً عند العرب وحتى في زمن الرسول والصحابة، وكانوا يقيسون به حوادثهم بأن يقولوا كذا عام قبل عام الفيل أو كذا عام بعد عام الفيل، الى أن وضع المسلمين التاريخ الهجري.

فلماذا صنع الله الرحمن كل هذه الحوادث؟

لكي يجلب الأنظار فعلياً، ويسحبهم بالعلامات لحالة غير طبيعية ستأتي الى الوجود، فالحالة كانت غير طبيعية لانسان ذلك الزمن، بالنسبة لهم هم، وهي حالة عادية وصحيحة وايمانية عند الله الرحمن، ولكن بسبب تلاعب الكفر وشياطين الأنس والجن مع زمكان الفطرة البشرية، انشأ الرحمن كل هذه الأمور لكي ينشأ نوعاً من المقايسة والمقاربة الفعلية في أذهان العرب لذلك الزمان، وحيث كان ادعاء الرسول عيسى (عليه السلام و البركات) ايضاً بوجود علاقة بينه وبين السماء، وذلك ليكون لهم الأستعداد بالأيمان إذا جاء رسول وسفير السماء على الأرض بعده بعدة مئات من السنين.

الأثر البيئي

نأتي على مكة، كانت مكة منطقة صحراوية غير زراعية، وكانت منطقة تجارية وتجارته مع الحبشة (أثيوبيا اليوم) عن طريق البحر الأحمر، والذي يربط اليمن مع هذه المناطق، ولهذا استوطن العرب باعداد كبيرة هناك، وكان عدد سكان مكة التجارية حيث العمل والتجارة في زمن الرسول (عليه السلام و البركات) بين (٣٠٠٠-٥٠٠٠) شخص، لم يكن لهم علاقة مع الزراعة والأرض، فطبيعة الإنسان المزارع يختلف عن الشخص المتاجر، فالمزارع يتعامل مع المزروعات ومع الماء ومع الحيوانات، وله نوع من الألفة مع الأرض، فيكون هذا الإنسان أكثر هدوئاً وطبيعياً وعاطفياً.

ويصبح طبيعة الإنسان الذي يتعامل مع الشيء الجاف والقاسي طبيعة جافة، والى اليوم هذا طبع أهل مكة، وتعرف ذلك من الحجاج القادمون من الحج ولا يزال هذا طبعهم، لماذا؟ لأن البعد التجاري لهذه المنطقة يترك أثره في دماغ

الإنسان، فالشخص التاجر يحرك عقل المقابل، فمثلاً " هناك مجموعة من المحلات يملكون نفس المادة التجارية، يبيعون البهارات والبخور، وهم من نفس المنطقة، فيحاول اقناع المقابلين بعقله، فيحتاج إذن الى نوع من التجرد العقلي ومن الفكر والدهاء والشيطنة والحيل، لكي يتمكن من جذب المشتريين لبضاعته، وكان هذا من طبع البشر آنذاك.

ولهذا لم يكونوا مثلاً ليستوعبوا في ادغمتهم بسرعة حديثاً عن السماء، وعن الله الرحمن، وعن علاقة الله الرحمن مع البشر، واسماء الله الرحمن والذي كله رحمت ولطائف، وعن اليوم الآخر الغير مرئي، ولأن طبيعتهم كانت هكذا مادية، تمكنوا من استيعاب الشرك وبسرعة واستقروا على (٣٦٠) صنم، لأن طبيعتهم مادية وجافة، فوضعوا المادة (الحجر والصنم) بينهم وبين الله الرحمن، وكما قلنا كانوا يعملون في التجارة.

وكان وضعهم وحالهم الاجتماعي سلبي وسيء للغاية، لوجود الظلم مثلاً، وتحكم شريحة قليلة بما يقارب (١٠٠) شخص مليونير بالمجتمع والذي يقارب (٢٠٠٠-٣٠٠٠) شخص، تحكّموا بحياتهم واقتصادهم وبالاجتماع، وكان هناك عدد كبير من الناس مايقارب (٢٠٠٠-٣٠٠٠) من العبيد، وكان رجالهم عبيداً تحت سطوة الأغنياء، ونسائهم من الأماء، وكانت الحالة الاجتماعية لمجموعة الأغنياء المسيطرين وعددهم (٥٠٠) شخص في زيادة مالية دائمة وعلى حساب الفقراء، إذن كان الظلم الاقتصادي موجوداً، فانشأ الاقتصاد حالة من الظلم في ادغمة المقابلين، فيحس (٣٠٠٠) شخص بالظلم فعلاً، ويتمنى المظلوم ان يزاح عنه الظلم في داخله دائماً وفعالياً، ولذلك كانت حاجة هذه الأعداد الضخمة الى منقذ، ولكن يكون هذا المنقذ منهم ويخرج من صميمهم وليس من الخارج.

لأن الأستعمار البيزنطي لذلك الزمان حاول اظهار نفسه كمنقذ لهم بواسطة ابرهة، وحيث كان ابرهة من اصحاب الدين، ولكن لأنه لم يخرج من صميم

مجتمعهم، ولم يكن مع معاناتهم الاجتماعية ولهذا لم يقبلوا به، وبالرغم من حمله راية هدم البيت وانشاء كنيسة القليس في اليمن، لينقل اتجاه العرب الدينية من البيت (الكعبة) الى اليمن (الصنعاء)، وليستفاد كذلك من الأثر التجاري لهم، فإذا جاء هذا العدد الضخم من العرب في الأشهر الأربعة الحرم الى هناك بدلاً من البيت فسيستفادوا مادياً ايضاً، إذن هؤلاء الأشخاص بحاجة الى هذا الشخص المنقذ لحالتهم.

حياة أهل مكة

قبل مجيء الرسول (عليه السلام و البركات) كانت لأهل مكة حياتهم الخاصة المتوجة بالعار، وكانت هناك مجموعة من المؤثرات في مجالات الحياة الاجتماعية المختلفة مسيطرة عليهم.

الأطار الاجتماعي

كانت مكة في مستوى دوني كبير اجتماعياً ودينياً، فمثلاً " في البخاري رواية عائشة (رضي الله عنها) تقول: كانت هناك أربعة انواع من العلاقات الزوجية الجنسية، وكلها رسمية، ولماذا ضربت هذا المثال؟ لأن الشعوب والحضارات تقاس على العلاقات بين الرجل والمرأة، العلاقات العائلية الاجتماعية والأسرية، وليس بال عمران والتمدن، وهذا من الأثر والحضارة التكنولوجية وهو جزء.

بماذا تأثر الصحابة؟

تذكر لنا عائشة أم المؤمنين (رضي الله عنها) مستوى العرب المتردي آنذاك، فالزيجات الأربع كانت رسمية واحداهم الزواج الموجود اليوم، والذي كان موجوداً في زمن الرسول ابراهيم (عليه السلام و البركات) وأقره الله الرحمن، وهو جاري الى يومنا هذا على شريعة قائدنا، والنوع الآخر من الزواج هو اجتماع (١٠) رجال على امرأة واحدة وعمل الفاحشة معها، واثناء الولادة تقوم هذه المرأة بجمع العشرة رجال، وتنسب الولد او البنت الى الرجل الذي يقع عليه اختيارها، وكان يعين رسمياً ومباشرةً في الجنسية بأنه ابن الشخص الفلاني.

يذكر البخاري عدة احاديث عن خشية الصحابة من اصل والديهم، بان لا يكونوا والديهم الحقيقيين، فبعد اسلامهم جاؤا الى الرسول (عليه السلام و البركات)، فسألوه عن ابائهم، وبشكل من الأشكال تعرض الرسول (عليه السلام و البركات) الى الأحرار، وهنا سأله احد الصحابة (من أبي يا رسول الله)؟ فأخبره ابوك فلان، فسأله آخر فرد عليه الرسول ابوك فلان، فأحس الأمام عمر بالأحراج عند رؤيته وجه الرسول، فطلب التوبة من الرسول، وتاب الى الله الرحمن فقال سوف لن نسألك ما يزيد بعد الآن، فاحمر وجه الرسول (عليه السلام و البركات). والقصد من هذا بانهم كانوا ينتقصون انفسهم ويحسبون أن وصمة عار موجودة على جبينهم اجتماعياً، وارانوا معرفة سبب هذه الحالة، ولهذا أحس الصحابي بالأحراج لسؤاله عن ابوه.

ماذا فعلت الشهرة بهم؟

نوع آخر من الزواج كانت موجودة في الشريحة المتوسطة لمجتمع مكة، ولأنه لم يكن غنياً وصاحب وجهة في مجتمع مكة، كان يأمر زوجته بأن تذهب لمدة شهر الى الرجل الغني الفلاني فاستبضعي منه، (إذهبي الى فلان ابن فلان فاستبضعي منه)، كي تحمل منه، ومن المحتمل ان لا يكون الرجل غنياً، ولكنه

نو نسب ووجاهة، وذلك لكي يحصل هذا الطفل على الوجاهة، وكان هذا رسمياً ومعتبراً فيهم.

والنوع الآخر الذي كان رسمياً عندهم بشكل كبير، هو البغاء والفاجرات، وكانت توضع الاعلام فوق بيوتهن، كالكلافتة المعلقة فوق عيادة الطبيب، فهن كن فاجرات وكان من الطبيعي جداً أن يذهب الناس اليهن، وكان عندهم معتبراً، وهكذا كانت علاقاتهم الاجتماعية.

اطار العلاقات الاقتصادية

كانت للعلاقات الاقتصادية والتجارية أثرها على الاطار الاجتماعي والخطبة والزواج، كانت الجاليات اليهودية متحكمة على اقتصاد مكة، وكان عددهم ما يقارب (٥٠٠) شخص، حيث كانت البنوك تحت ايديهم، وحتى معامل الأسلحة العسكرية، وكذلك المعامل الأخرى التي ينتج فيها الأنسان من عمله، فعن طريق الاقتصاد حاول اليهود فعلياً من فرض سيطرتهم اجتماعياً، فمثلاً كانت الشريحة المتدنية جداً من ناحية الدخل والمال، ولم يكونوا من العبيد، بحاجة الى قرض فكانوا يذهبون عند الشخص العربي، فكان يعطيه الدينار بدرهم زيادة كربا، واما اليهودي فكان يعطيه الدينار بنصف دينار زيادة كربا، ولهذا كان العرب يذهبون عند اليهودي لأخذ القرض بالربا، فكان الربا يزداد على مهل، ولكن كان لليهودي مطلب آخر يفرضه على ذلك العربي، إذا جاء ولم يتمكن من التسديد في حينه، فتصبح ابنته أمةً عند هذا اليهودي، وليس فقط يزيد المال وانما يعرضه للمحاكمة والسجن، لوجود الشرطة والمحكمة ونادي قريش آن ذاك، فكان الزعماء ورجال السياسة والمفكرين والشعراء يجتمعون هناك، وإذا لم يستطع هذا العربي المسكين من دفع الربا، لأن الربا كان يزداد عليه يوماً بيوم وشهراً بشهر، ولذلك كان يسلم ابنته مجبوراً لليهودي، وماذا كان يفعل

اليهودي بهذه البنت؟ كان يضعها في بيت البغاء وبيت الا أخلاقي، ولذلك فبيت البغاء كان عائداً لليهود.

وكان على العربي الذي يذهب لعمل الفاحشة ان يدفع المال، فيعود المال الى اليهودي، يعرضه للفاحشة ويقبض منه ماله، وكذلك الخمارات معامل الخمر كانت تعود لليهود، اليهود مسيطرة عليه، كانت مكة تعيش في هذه الحالة، وكانت الأحزاب موجودة ايضاً، كما في يومنا هذا، القبيلة والعشيرة الفلانية ولكل واحد فيهم له بنود ومجموعة من المباديء.

خطط اليهود

ذكرنا في دروس السيرة القديمة ذهاب الرسول (عليه السلام و البركات) الى القبائل في عام الوفود، فالتقى زعماء القبائل مع الرسول (عليه السلام و البركات) عند حضورهم الى الحج، فتذكر كل قبيلة تلتقي مع الرسول (عليه السلام و البركات) مجموعة من مواصفات عشيرتها، مثلاً " قبيلة الغساسنة يذكرون انفسهم بكذا ونحن كذا وكذا، وهؤلاء من الأحزاب بالمفهوم الاجتماعي.

وفي نفس الوقت الدور السلبي ونشوب الحروب المصطنعة من قبل اليهود، فلقد كانت لليهود معامل للأسلحة، وكان يشعل نار الفتنة لأنه يريد المال، فمثلاً " سكبت الدماء لاكثر من ثلاثين عاماً بسبب حيوانين، حصانين اسمهما داحس وغبراء.

تجريد العقل وتصحيحه وابعاده عن الفكر والحضارة والعلم، وهذه كانت خريطة اليهود، وكان مجموع عددهم عدة مئات، ولم يكن لهم اختلاط مباشر مع المجتمع، فلقد كانت لهم قلاع يعيشون فيه لكي لا يتمكن احد من اختراقهم.

وكانت الجالية المسيحية موجودة في مكة ايضاً، وكان عددهم اكبر، وكان لهم احتكاك بالعرب وكانوا من الشريحة الوسطى للمجتمع، واعمالهم حرفية على الأكثر، كالنجارة والحدادة والبناء، وكان لهم الأثر السلبي الكبير ايضاً على المجتمع.

البعد المادي

هكذا عاش العرب قبل الأسلام، وهذا كان حالهم، ولهذا فعندما يبعث الله الرحمن الرسول (عليه السلام و البركات) للأناسي، فلا يبعثه لتأمين الحياة الأخرية فقط للإنسان، كلا وانما لسعادة دنياه ايضاً، فلا يقول فعلاً للإنسان بأن الآخرة موجودة فقط، وانما إذا كان له الألتزام النوعي الفعلي فعندها تصبح له الدنيا جنة، ولهذا قال الرحمن: (وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ) (الرحمن ٤٦)، ويعد الله الرحمن كل هذه الأعدادات بالزمكان، علماً بأن للبيت مكانة مرموقة جداً ديناً، وأكثر الأماكن قبولاً عند الله الرحمن ديناً، ولهذا تمكن الرسول ابراهيم من اتمام عمله، ويعد الله الرحمن كل تلك الأجواء ووجود البيت في سبيل التزام الناس فعلاً وتلقائياً بالرسول (عليه السلام و البركات) عند ادعائه للنبوته، وهذا من البعد المادي.

البعد الأيماني

في البعد الأيماني أو البعد الرباني قلنا بأن ابراهيم (عليه السلام و البركات) بنى البيت ليكون مثابة للناس، والبيت ارض ومكان يعود الى الله الرحمن، ينجذب اليه كل البشرية (الناس)، ويرتبطوا به مغناطيسياً، إذن المنطقة دينية ويملك بطاقة دينية، ولهذا فإن حرية الأديان كان موجوداً في مكة، ولذلك كان يجب ان يخرج كل أجتهد ديني و سطوة دينية وعلاقة دينية من مكة، ولا يتم الأعتبار

لهم إذا لم يكن زعماءهم من متدينين او من مكة، وبالذات من قريش، ولهذا فإن سقاية الحجاج وعمارة المسجد الحرام والطائفون والركع السجود، كل اولائك كان بيد قريش، إذن كانت لمكة بطاقة دينية ايضاً، فلم تكن الحالة مادية فقط وانما كانت قريش مسيطرة دينياً، واما عن صلاتهم فكان المشركين يصفقون ويصفرون عند البيت، وليس هذا فقط، وانما كانت كلمات الله ورسول الله وكتب الله والملائكة والعرش والرزق ورازقية الله متأصلاً في داخلهم، (وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مِّنْ خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) (الزمر ٣٨) فماذا كان جوابهم؟ (لَيَقُولَنَّ اللَّهُ) (الزمر ٣٨)، (قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ) (المؤمنون ٨٦)، (سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ) (المؤمنون ٨٧)، إذن مئة بالمئة كان لهم الاستعداد الديني لقبول اي مدعي حقيقي للنبوة.

فمن فعل كل ذلك؟ يعد الله الرحمن الأجواء لحالة مجيء الرسول (عليه السلام و البركات)، ليتم قبول دعوة الرسول عند مجيئه فعلاً، وكل ما ذكرناه من اجواء وبيئة وتاريخ وجغرافية ذلك العصر.

شخصية الرسول (عليه السلام و البركات)

نأتي على شخصية الرسول (عليه السلام و البركات)، قام الله الرحمن بحماية شخصية الرسول (عليه السلام و البركات) كذات بشكل كبير، ومثلاً" كما قلنا لا يوجد في الكتب ولا في التاريخ وبأي نوع كان بأن يسجد الرسول (عليه السلام و البركات) لصنم ولا لمرة واحدة بتاتاً، ولا بالتقرب الى صنم بذبح الحيوان وتقديمه لصنم من الأصنام بتاتاً.

فلم يشارك الرسول (عليه السلام و البركات) في واحدة من التقاليد لشعائر قريش او العرب ابداً، ولم يرى له سقطة بشرية انسانية ابداً ولا لمرة واحدة، مثلاً" وحاشا

مقامه بأن يكذب، وهذا أمر وحالة نادرة بالطبع في مثل تلك البيئة والأجواء، وكما ذكرنا فمن النادر ان لا يكذب الأنسان، ومن النادر ان لا يعمل فاحشة، ومن النادر ان لا يشرب الخمر، ولكن حتماً عبادة الصنم (حاشاكم) عند الأنسان العاقل هو عمل دنيء فلا يعمله.

فمن المحتمل ان يوجد مجموعة من الأناسي لا يحتسون الخمر، بأن يقول كيف يوصل الأنسان نفسه الى هذه الحالة بفلوسه، ولكن من النادر ان تجتمع كل هذه الصفات في ذات واحدة، وعلماً ذكرنا سابقاً عن شخصية الرسول (عليه السلام و البركات) فيقول الله الرحمن (أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى) (الضحى ٦)، فمن الذي أيتمه؟ تيتم لثلاث مرات من قبل الله الرحمن، ومن الذي يميمت؟ الله، من أمات والد رسول الله؟ الله، من أمات والدة رسول الله؟ الله، من أمات جد رسول الله؟ الله، إذن لثلاث مرات تيتم رسول الله (عليه السلام و البركات)، والله الرحمن فعل ذلك (أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى) (الضحى ٦)، فماذا كان الحل؟ فأواه، ومعنى كلمة الأيواء هو حالة الربوبية المباشرة من ذات الله الرحمن الى ذات الرسول (عليه السلام و البركات).

(بلا تشبيهه) وكأن للرسول (عليه السلام و البركات) مجموعة من الحماية والرعاة يمنعونه من ان يخطي خطوة سيئة بأي نوع من الأنواع، لماذا؟ لكي لا يتم طبع اي سيئة وخطوة والحركة والنشاط والفاعلية في دماغه، هذه نقطة واحدة، وفي النفس الوقت لكي لا يتم تصوير هذه الحالة السيئة عند الغير.

فمثلاً" لو أن ابوبكر رأى في صغره لقطة سيئة عن الرسول (حاشا الرسول) كأن يظلم، فعندما يدعى الرسول (عليه السلام و البركات) النبوة فإن لقطة الفيلم كانت لتعاد في دماغه، عند الأذعاء بالنبوة يأتي ذلك امام عينيه، ولهذا ترى الحوار بين فرعون وموسى بدقة: (قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ) (الشعراء ١٨) (وَفَعَلْتَ فَعَلْتِكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ) (الشعراء ١٩) فرعون يتهمه هنا، فكان للرسول موسى (عليه السلام و البركات) لقطات ومقدمات قبل النبوة،

ووصلت هذه التقارير عنه الى فرعون كرئيس دولة، وهو محاسب عليه، وأثناء الحوار يصل ورقة الأنداز الصفراء الى الرسول موسى، علماً كان كل ذلك قبل النبوة فلا يحاسب عليه.

واما رسولنا (عليه السلام و البركات) قد جرد من كل ذلك، فليس هناك بقعة ولا لقطة ولا صورة ولا لحظة على ذات الرسول (عليه السلام و البركات) سلباً بكل الأبعاد، لأن هذه الجاذبية الأيمانية الفعلية الذي يصبح الرسول (عليه السلام و البركات) فيه مصدرراً للوحي من عند الله الرحمن وينزل عليه عمودياً، وعندما يقدمه الرسول الى المقابل، يستلمه المقابل مباشرةً وبلا فلترات، ومن دون أن يخرج الشخص نفسه، وبالطبع لأن ذات الرسول (عليه السلام و البركات) موقع الألتقاء وموقع الشحن، ومضى على هذا النحو الى ان وصل الى مستوى النبوة.

والعجيب في الأمر بأن الآيات المنزلة عليه أو الأحاديث الجميلة الغالية التي تحدث هو بها بعد النبوة والرسالة، وصدقوني ففي الأغلب و ٩٠% قد طبقها على نفسه من قبل، ومثلاً كقوله: (عن أبي هريرة رضى الله عنه) عن النبي (عليه السلام و البركات) قال: (تُنكحُ المرأةُ لأربع)، قال هذا الحديث في المدينة بعد النبوة والرسالة، ولقد طبقها على نفسه من دون ان يعرف، لماذا؟، لأن هذا قانون ينزله الله الرحمن، وهكذا كانت فطرة الرسول (عليه السلام و البركات) ويجب مراعاته على نفس الشاكلة، إذن كل ما يقوله يجب ان يطبقه على نفسه مستقبلاً.

ولذلك نرى أن امرأة بعمر الأربعين تكون من نصيبه وهو في الخامسة والعشرين من عمره، ويترك فولانة وكل هذه البنات الجميلات، (فاظفر بذات الدين تربت يداك) وقس على ذلك.

ويعني انك لا ترى حاجزاً ولا فاصلاً بين أقوال وأفعال الرسول (عليه السلام و البركات) قبل النبوة وبين اقواله وافعاله بعد النبوة، ونفس الوسيلة ونفس الفيلم الى حين وفاته، إذن هذا دليل على وضع الله الرحمن هذه الرعاية المعينة والخاصة

لهذا الرسول (عليه السلام و البركات)، لجنة خاصة من الملائكة تقوم على رعاية هذا الرسول (عليه السلام و البركات)، ولهذا سأعيد عليكم وبسرعة لقطتان ذكرته في الدرس السابق:

الحوادث

الحادثة الأولى: عندما احتضنته عاتكة بالقرب من بوانة، الصنم الموجود على شاطئ البحر الأحمر، عاتكة هي عمه الرسول (عليه السلام و البركات)، فتذكر بعد إيمانها وكيف كان الرسول يرتجف في حضنها عند اقترابهما من الصنم، ولماذا؟ فالظاهر فعلياً هيمنة مجموعة من الملائكة على حياته.

الحادثة الثانية: في زمن مراهقته عندما كان يريد ان يذهب الى مكة، وكيف احتال عليه رفيقه الراعي، ليذهبوا معاً بهذا الأسم للمشاركة بحفل زواج الشخص الفلاني في مكة، ليأكلوا ويشربوا، وعند وصول الرسول (عليه السلام و البركات) حدود ابواب مكة، ومباشرةً يتعرض لكمين الملائكة فتنومه مباشرةً، فينام هناك حتى الصباح، ويستيقظ في الغد على حرارة الشمس، وتكرر هذا لثلاث مرات، فيحس مباشرةً ويقول لم أُخلق لهذا.

وهناك حديث غريب في البخاري ويرويه الأمام أحمد ايضاً، يقول " كانت الذبائح المذبوحة للنصب والأصنام تأتي للرسول (عليه السلام و البركات) قبل نبوته ب (١٥) عام، وروى عنه خادمه زيد بن حارثة فقال: قال رسول الله (عليه السلام و البركات) سبحان الله بدلاً من أن يذبحوه لله، يذبحون الحيوان الذي هو مخلوق الله الرحمن لهذا الحجر.

فداخل الرسول اصلاً مطبوع لهذا المستوى النبوي الذي سيصل اليه مستقبلاً، (وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى) (الضحى ٧) (وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى) (الضحى ٨)، ولدينا

مجموعة من الآيات تذكره، إذن كانت هذه الحالة من الرعاية النوعية موجودة لذات الرسول (عليه السلام و البركات) في أفق الكرة الأرضية، فكانت نوعية لذات الرسول (عليه السلام و البركات).

في الدرس القادم سنذكر كيفية نشوء علاقة الرسول مع ذات الله الرحمن؟ ان شاء الله، والمراحل التي يمر بها، وكيف يقوم الله الرحمن هذا الرسول؟ فكانت هذه حاجة مكة زمنياً وتاريخياً وجغرافياً وحالاً، لكي يتم تنويرنا بهذه الأمور، ومن ثم علاقة الرسول (عليه السلام و البركات) مع ذات الله الرحمن؟ ومن ثم عكس علاقة الرسول (عليه السلام و البركات) مع المجتمع بعد النبوة، وذلك كي نحس نحن البشر كم حاجتنا الفعلية الى هذا الرسول كشخص.

وذلك لكي نقلنا هذا الأحساس الفعلي بالحاجة الى مستوى الإيمان به، وعندها نحیی معه، سهل الله الرحمن لنا كل ما وجد من أسباب لهذه الحالة الأيمانية وجعله من نصيبنا ووفقنا لهذه الحالة ودفعنا اليه.

الجزء التاسع عشر

كيفية الإيمان بذات رسول الله (عليه السلام و البركات)

نستمر في سلسلة كيفية الإيمان بذات رسول الله (عليه السلام و البركات)، في الدرس السابق تحدثنا عن مقام ومكانة الرسول (عليه السلام و البركات) في بيئة العرب، ومقدار حاجة المجتمع والأنسان الى الرسول (عليه السلام و البركات)، وكذلك ألقينا الضوء على الحالة الاجتماعية والأقتصادية والأنسانية الذي انشأ المجتمع، وحيث كان موجوداً فيهم قبل ولادة الرسول (عليه السلام و البركات)، وتحدثنا عن المجتمع في ذلك الزمان واسميناه بالمجتمع المكي.

قانون نشوء الإيمان ثابت

كانت الفطرة الدينية موجودة ومستمرة عند المكيين، وكما قلنا كانت لمكة مقامها الديني، يبدأ من عند الرسول ابراهيم حتى يصل الى كل الأنبياء والرسول من بعده، وطراً العديد من التجديدات على المنطقة، حيث كان له طابعه الديني، وخلق الرسول (عليه السلام و البركات) وجاء الى الدنيا في هذا الجو وفي هذه البيئة، وعمل الله الرحمن كل هذه الأحداث لجلب انظار المقابلين لذات رسول الله (عليه السلام و البركات)، وليتم التعامل مع الرسول (عليه السلام و البركات) في مستوى هذا الواقع وهذا الحال فعلاً.

وقلنا في سلسلة الإيمان بذات الرسول (عليه السلام و البركات) كرسول بأنه يجب ان يؤمن الشخص بذات الله الرحمن مسبقاً مع إيمانه باليوم الآخر وبعد الإيمان بهذان الركنان: (الإيمان بالله وباليوم الآخر)، وبعده عليه ان يؤمن بذات رسول الله محمد (عليه السلام و البركات) كرسول لله، وإذا لم يتواجد هذين البعدين الرئيسيين للإيمان، وفي المستوى الحقيقي للإيمان، فلن ينشأ عنده الإيمان بذات رسول الله (عليه السلام و البركات)، وسوف لن يخرج من الحلقة والدائرة المعرفية بذات الرسول (عليه السلام و البركات) الى الإيمان، وهذا ما نحن مبتلين به الآن، نريد أن نؤمن بذات رسول الله عن طريق كتب السيرة بكل تنوعه، أو كتب التاريخ وبكل ابعاده، فإن كان نشوء الإيمان بذات رسول الله بهذا الأسلوب، فإن الله الرحمن كان ليعين ويشخص ذلك الأسلوب للإيمان بذات الرسول في داخل الأنسان، ولكن الرسول (عليه السلام و البركات) آمن بنزول القرآن عليه بالترتيب، وبهذا الأسلوب نشأ فيه الإيمان، فترقى هذا الإيمان رويداً فرويداً، وبهذا الترتيب نشأ الإيمان باليوم الآخر عند الرسول (عليه السلام و البركات)، وبنفس الترتيب يجب أن يُنشئ جمع المؤمنين في داخلهم الإيمان بذات رسول الله (عليه السلام و البركات) كنبى و كرسول.

خصوصيات حياة الرسول (عليه السلام و البركات)

نرى كيف سلط الله الرحمن في البداية كل هذه الأضواء والمجاهر على خصوصيات حياة الرسول (عليه السلام و البركات) امام أعين الصحابة كعمر ومصعب وعبدالرحمن بن عوف، وكشف كل الخفايا العائلية والاجتماعية للرسول (عليه السلام و البركات) لكي يكون خصوصيات الرسول بالذات مكشوفاً امام اعين العامة، على كل المستويات، فكما كان يرى مصعب وعمار وصهيب هذه الحالة، رآها ابو جهل ووليد ابن المغيرة مكشوفاً امام اعينهم ايضاً، ولكن لماذا منهم من آمن؟ ومنهم لم يؤمن؟ السبب هو في أصل القضية واصل الموضوع المرتبط بذات الله الرحمن، وقلنا أن الأصل هو الأيمان بذات الله الرحمن والأيمان باليوم الآخر، والأيمان بذات الرسول متصل وثنوي، وهو فرع من الأيمان بذات الله الرحمن، فلن ينشأ الأحساس بالأيمان ما لم ينشأ هذا النوع من الأيمان في داخل الإنسان بذات الله الرحمن، فإذا لم يحس بالحاجة الأيمانية لشخص، ويصبح هذا الشخص وسيط بينه وبين الله الرحمن، فإنه لا يحس بهذه الحالة، فشخصية الرسول (عليه السلام و البركات) امامه مجرد قائد، فإما ان يكون قائداً عسكرياً أو قائداً فكرياً أو قائداً سياسياً، فيتعامل مع ذات رسول (عليه السلام و البركات) في هذا البعد، أو هناك مجموعة من الاحاديث التي طرحها الرسول (عليه السلام و البركات) مربوطة بخُلق الإنسان وشكله، كاطلاق اللحي واستعمال السواك ولبس السروال المقصر.. الخ، وهذه مجموعة من القوانين، ووفق هذا القانون يتعامل مع هذا الشخص.

وإذا لم يتم اعادة الاعتبار لترتيب نزول القرآن في داخل جمع المتدينين، فسوف لن يعاد هذا النوع من الأيمان مرة أخرى، ودليلنا هو بأن كل خفايا حياة الرسول كانت امام اعين ابو بكر وجمع الذين آمنوا مع رسول الله في الفترة الأولى، وكذلك كانت مكشوفة امام الذين لم يؤمنوا به، فمعرفة ابو طالب

بالرسول (عليه السلام و البركات) كانت اكبر من ابي بكر، ومعرفة عم الرسول ابي لهب للرسول (عليه السلام و البركات) كانت اكبر من معرفة مصعب بن عمير، إذن معرفة الرسول لاتصبح هنا بطاقة للإيمان بذات رسول الله (عليه السلام و البركات)، فيجب ان ينشأ الإيمان مرة اخرى إلا بترتيب الإيمان بذات الله الرحمن والأيمان بذات الآخرة، ومن ثم نشوء الحاجة في داخل الإنسان الى وسيط يصبح سبب العلاقة بين هذا الذات (الإنسان) الذي آمن بالله الرحمن وبالآخرة، ومن ثم يؤمن بذات رسول الله (عليه السلام و البركات)، ولكي يتم عن طريق هذا الوسيط نقل مأمورات الله الرحمن العمودية الى افقية، وهذه هي الطريقة الوحيدة لذلك.

ولكن تبقى شخصية الرسول (عليه السلام و البركات) المرموقة والمقبولة عن طريق كتب السيرة تدور حول باب المعرفة، ولهذا لم يتمكن الشباب الى الان من استيعاب شخصية الرسول (عليه السلام و البركات) بشفافية والأحاساس به، لم يحس بان الرسول (عليه السلام و البركات) رؤوف ورحيم له فعلياً كما كان رؤوف رحيم لجمع المؤمنين السابقين كلا لم يحس بهذا، ولهذا تراهم يتشبثون بأشخاص معينة، كأن يربط نفسه بالشخص الفلاني والقائد الفلاني، ولكل انماط الاتجاهات، لماذا؟ لعدم تجسيمه لشخصية الرسول الرسالية في داخله، ولذلك يقوم بسحب الجزء المعرفي المربوط بذات الرسول (عليه السلام و البركات) ويعطيه للقائد الفلاني والزعيم الفلاني والمسؤول الإسلامي الفلاني، وذلك لأنه تم تقزيم شخصية الرسول (عليه السلام و البركات) الرسالية أمام عينيه، فاصبحت بحجم حدود كتب السيرة، وأي كتاب للسيرة كان، والذي يبدأ من ولادته كشخص عادي حتى وفاته.

لماذا تغير أبو بكر بصدد الرسول (عليه السلام و البركات)؟

إذا نظرنا في القرآن سنرى أن القرآن يقدم شخصية الرسول (عليه السلام و البركات) أولاً كبشر، وبالطبع ورد ذكر الرسول (عليه السلام و البركات) في القرآن باسم

بشر ولم يكن من ضمن تصنيف الأنسان ولا الناس ولا بني آدم، ورد في اول مرة كبشر وبعده ألحق بمرتبة النبوة ومن ثم بمرتبة الرسالة، فلو أخذنا سورة القلم ثاني سورة في ترتيب النزول، يقسم الله الرحمن فيها: (ن * وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ) (القلم ١) فيشخصه: (مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ) (القلم ٢)، فيوصف حالة الرسول الأيمانية في داخله، فالقرآن دقيق ويشخص بشكل كبير جداً، وحتى يستطيع ان يلاحظ جمع المؤمنين تشخيص ملامح وجه الرسول (عليه السلام و البركات) في القرآن، فيذكر حالة داخل الرسول الأيمانية: (مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ) ، ولقد ذكرنا في الدرس السادس والسابع الفرق بين كلمة النعمة والنعمة في القرآن، اختلاف النعمة بالكسرة تحت العين مع النعمة الفتحة على العين، وردت كلمة النعمة في كل القرآن بمعنى الهداية والدين، والنعمة وردت كمادة، النعمة التي نحن فيها كمادة قال الرحمن: (مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ * و إِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ * وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ) (القلم ٣-٤).

ويعني ان ذات الرسول (عليه السلام و البركات) على خُلُقٍ، (على) كوضع القلم على المنضدة، ويُعرف الله الرحمن خُلُقِ الرسول (عليه السلام و البركات) بالعظيم وكان الرسول يمشي عليه كالسجاد، (وَإِنَّكَ لَعَلَى) فوق، (خُلُقٍ عَظِيمٍ) يذكر الرحمن خلق الرسول ويعرفه بالعظيم، (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ)، وتخلّى أبو بكر عن معرفته السابقة للرسول عند سماعه لهذه الآية، في حياته كان الصادق والأمين واليتيم ولم يسجد يوماً لصنم، صرف ابو بكر (رضي الله عنه) النظر في دماغه عن كل ذلك وكأنه كتب السيرة، فيجب ان يحيى ابو بكر في مرحلة أخرى، وهو أنه آمن بالله الرحمن، وآمن باليوم الآخر، وهنا يجب أن يأخذ ابو بكر الآن مواصفات هذا الذات من الله الرحمن، فيأتي ويقوم بمراجعة داخله، وعندها ينشأ حقيقة الرسول (عليه السلام و البركات) في داخل ابو بكر فعلياً، ففي السابق كان ابو بكر ينجذب الى مغناطيسية وبشرية الرسول، ولكن الآن يعكس ابو بكر ايمانه بالله الرحمن على ذات الرسول (عليه السلام و البركات)، فيتغير ابو بكر بصدد الرسول (عليه

السلام و البركات)، ولهذا ينشأ في داخل ابو بكر هذا المقام في مستواه العالي للمرحلة الأولى.

(المزمل) لا يعني التغطية

وكانت تلك آيات قدمها الله الرحمن لجمع المؤمنين، ووفق هذه الآيات المنزلة على مهل يمارس عليها ابو بكر الى ان أصبح ايماناً في داخله، وعندما يُصبح ذلك ايماناً فان مقام الرسول (عليه السلام و البركات) عند ابي بكر يصبح نبي فعلاً، ليس بقائد ولا بزعيم ولا بمسؤول، فكل اولئك هو تنقيص لشخصية الرسول الرسالية، ولا هو بتخصيص له، وعندما يتعامل ابو بكر بهذه الحالة مع الرسول (عليه السلام و البركات) فوقتها فعلاً يعطيه مقام النبوة والرسالة، فيتعايش بهذا المستوى مع الرسول.

وفي السورة الثالثة يقيس الله الرحمن حالة داخل الرسول مع باقي الأنبياء والرسول إذ يقول: (فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ) (القلم ٤٨)، يحدث الرسول (عليه السلام و البركات) ابو بكر عن الأنبياء والرسول مثله، فيحدثه هنا عن صاحب الحوت، ولا يسميه بعد وانما يذكره بالوصف (صاحب الحوت)، علماً أن صاحب الحوت هو (يونس) ويذكره الرحمن في مواقع اخرى، ولا يقيس ابو بكر مقام الرسول في مستوى صاحب الحوت لأنه فوقه، ولقد أُمر صاحب الحوت: (إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلِّ الْمَشْحُونِ* فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ) (الصفوات ١٤٠-١٤١)، ما كان على هذا الرسول ان يفعل هذا، (ولاتكن) جاءه الأمر، إذن عندما فعل صاحب الحوت فعلته ومن بعد اجرى عليه المراجعات والتصويبات، والآن قبل ان يفعل الرسول هذا جاءه الأمر بلا تفعل.

إن مقام الرسول الذي يتعامل معه ابو بكر اقلياً هو اكبر واعلى من صاحب الحوت، وهذه هي المرحلة الثانية للإيمان في ترتيب النزول، ينزل السورة الثالثة: (يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ * قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا) (١-٢ المزمّل)، يوزع الله الرحمن ويرتب كالأقرار والإيمان بذات الله الرحمن، وبهذه الصيغة ايضاً يجري على ابو بكر ايضاً، لأن الرسول (عليه السلام و البركات) يأخذه من ذات الله الرحمن عن طريق جبريل، وينقله الى جمع المؤمنين، وضرينا المثل على ابو بكر كأول شخص متلقي.

-في اغلب التفاسير يقولون بأن المزمّل هو التغطية من البرد والرجفان من الخوف، كلا، هو اكثر عمقاً من ذلك، المزمّل هو ذكر وتصوير هذا الشخص الذي ألقى عليه الثقل الكبير جداً على عاتقه فعلاً، تسليمه للمسؤولية العظمى، ولكن افق هذه المسؤولية وصيغة ادائه لا يزال غير واضح، ولهذا يكون في حركة ونشاط غير طبيعي وهذا معنى كلمة المزمّل، وليس كما يقولون بأن الرسول (عليه السلام و البركات) خاف عندما جاءته السور وجاءه الوحي فذهب الى سريره وتمدد، يقول الرحمن: (إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا) (المزمّل ٥)، (إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا) (المزمّل ٧) (وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ) (المزمّل ١٠) وكل هذه آيات نزلت، ومن ثم من ذات هذا الرسول الى ابو بكر وجمعه كأبي بكر، (إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا) وهنا يتم تثبيت الرسالة لذات رسول الله (عليه السلام و البركات)، فسورة المزمّل هو اقرار واعتراف لذات الرسول (عليه السلام و البركات) بخروجه من البعد النبوي الى الرسالي، ولكن ماهي الصفة الرسالية هنا بالنسبة لجمع المؤمنين؟ فهو شاهد وليس بمبلغ بعد، وليس بمبين بعد، وليس بمفهم بعد، فهو لا يزال شاهد فقط على نفسه وعلى الوسط الذي يعيش فيه، وذلك لكي يشهد فعلاً على هذه المجموعة، وعندما يشهد هو يقوم المقابلين بالشهادة عليه، وبالطبع كلمة (اشهد) في القرآن وردت بالمعاني الكلية التي سنذكرها الان (إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى

فِرْعَوْنَ رَسُولًا)، لقطه من اعمال الأمم السابقة، (فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلاً) (المزمل ١٦)، يمارس ابو بكر وعبدالرحمن ابن عوف هذه الحالة فيعيشون فيها مجسمة، وعندما يعطي الرسول مقام الشهادة بأن الرسول شاهد، ينشأ الإيمان في داخله بهذا.

والسورة الرابعة بهذا النوع: (يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ) (المدثر ١)، وهنا مرة اخرى التدثر لايعني التغطي بالغطاء (البطانية)، وانما بالعكس، ففي اللغة العربية وفي المعاجم يقولون: هو تضاعف الشيء وتناضد بعضه على بعض، ويعني مجيء شيء على رأسه، ولهذا الشيء ثقل ومتشابه مع بعضه البعض وكله يعود لمفهوم الوحي، وهذا معنى كلمة المدثر، وليس معناه التغطية بالغطاء (البطانية) ليأخذ قسطاً من الراحة وينام، و(قم) بهذه الصفة (فُمْ فَأَنْذِرْ * وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ * وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ) (المدثر ٢-٤).

سورة الفاتحة هي الخامسة في الترتيب يذكر فيها: (أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ) (اهدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ)، (وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا) (النساء ٦٩) مع بعض، (أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ) ويعني هذا بأن أبو بكر سيصل ايضاً بعد كل تلك الممارسات الى مستوى (مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ)، ففي السورة الثانية: (مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ)، وهنا يصل ابوبكر الى مستوى: (اهدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ) من هم؟ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ؟ (وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا) (النساء ٦٩)، فيترقى بهذا الترتيب في الدنيا والآخرة، وبهذا النوع ينشأ العلاقة النوعية بين ذات الله الرحمن وبين هذا الشخص ويكون صميمياً دائماً ويزداد ويتصاعد، لأن شخصية الرسول تمثل حلقة الوصل بين ذات الله الرحمن مع جمع الأناسي الذين يبتغون

الإيمان، يزداد الإيمان بذات الرسول فيزداد الإيمان بذات الله الرحمن ويزداد الإيمان باليوم الآخر، وهذه هي مراتب الإيمان كما في الحديث: (الإيمان بضع وستون) أو (الإيمان بضع وسبعون) (ابوهريرة)، وبهذا النوع وبالممارسة النوعية وبترتيب النزول يخرج من البعد المعرفي للرسول الى البعد الأيماني، وعندها يحس فعلاً بحالة أخرى مع ذات رسول الله (عليه السلام و البركات).

مثلاً" نرى الكثير من الاسئلة والاجوبة من ضمن احاديث الرسول (عليه السلام و البركات)، وفي بداية جواب الصحابي المقابل للرسول (عليه السلام و البركات) يقول: فذاك أبي وأمي يا رسول الله، ونراه يقولها في اغلب الأحاديث بصورة عفوية ومن دون تكلفة ودون ان يضغط الصحابي على نفسه، فبأي باب يوضع هذا؟ في باب الإيمان فعلاً، حسناً وكيف نشأ هذا الإيمان؟ بهذا الترتيب وبهذا النوع وبهذه النوعية من الممارسة، فعندما تنزل آية لا يتركها ابو بكر في طيات المصحف، وعندما يذهب الى البيت يقوم بممارسته ومتابعته الى ان ينشأ هذه الحالة في داخله، ولهذا فإن شخصية الرسول هو رسول.

إيمان الصحابة بالرسول (عليه السلام و البركات)

في يوم من الأيام احتاج الرسول (عليه السلام و البركات) الى شاهد عند تعامله مع احد اليهود في السوق، فلم يجد أحد من حوله، واليهودي يطلب منه شاهداً، فرأى احد الصحابة من بعيد فاستدعاه وقال له اشهد لي، فقال له اليهودي هل تشهد له؟ فاجاب بنعم، علماً الصحابي لا يعرف شيئاً عن الموضوع ولا القضية، ولم يسأل عن اي شيء، وشهد للرسول مباشرة وقال لليهودي كيف تقول على الرسول كذا وكذا، فلم يترك مجال لليهودي فأقر بالاتفاق، وفي طريق العودة سأل الرسول (عليه السلام و البركات) الصحابي: شهدت مباشرة بالنوع الذي انا قلته من دون ان تفكر في الأمر ولا ان تسألني عن الموضوع؟ قال نعم يارسول الله فاننت امين

السماء والأرض عندي، انت الوسيط، فأنا آمنت بتنزل مقررات الله الرحمن عليك فكيف لا أو من بقضية بينك وبين يهودي، فهذه تصبح حالة بديهية.

ومثلاً" و(بلا تشبيه) الشخص الذي يأكل الطعام، لا يمد يديه الى اذنيه وانما يمهده الى فمه دائماً، وكالمشي على القدمين، الحالات الطبيعية، وهذا من ضمن الحب والأنجذاب لذات الرسول (عليه السلام و البركات) والذي يصبح ايماناً، وليس التقنين للوائح الداخلية الموجودة في الأحاديث، فنطبقه نحن، كلا فالرسول (عليه السلام و البركات) لم يقل هذا والصحابة لم يكونوا هكذا، ولهذا جعل محبته ركناً اصلاً للإيمان به، للإيمان بالرسول (عليه السلام و البركات)، حديث موجود في البخاري ومسلم يقول فيه: (يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه)، كلمة (أحب) في باب التفضيل، كأحسن، فعندنا حسن، ولكن عندنا أحسن ايضاً، ويعني لا ان تحبه فقط وانما يجب ان يكون احب شخص، ومن ثم يذكر الرسول (عليه السلام و البركات) التفضيل (من ماله وولده)، وفي رواية اخرى لمسلم يقول: (ووالديه)، ولا يتوقف عند هذا الحد فيقول: (ونفسه الذي بين جنبيه) فكيف ينشأ هذه المحبة؟ عن طريق كتب السيرة؟ كلا، ولهذا تعاملنا مع ذات الرسول جاف، تعامل متفنن وتعامل قانوني، الحديث يقول فنطبق ما فيه نعم، اللحي نطيل اللحي، السواك نستعمل السواك، قف هكذا في الصلاة نقف هكذا نعم ولكن دواخلنا لا، وبالطبع فلنكن صريحين مع بعضنا جميعاً، وهل يقر جمع المؤمنين بهذه الحالة، إذن تطبيق احاديث الرسول (عليه السلام و البركات) ليس دليلاً على حبه، وليس دليلاً على الأيمان بذات الرسول (عليه السلام و البركات) اصلاً.

غداً أو بعد غد يحتمل ان يكشف حقيقة هذا الرسول لجمع كبير من الغربيين عن طريق احاديث الرسول (عليه السلام و البركات)، فيقومون بتطبيق كل الأحاديث ولكن لا يشترط ايمانهم به.

هناك رجل مصري يعمل في مشفى موجود في فرانك فورت في المانيا، يعالج مرضاه بدون دواء، فهو يعالجهم بالصيام، وعند مراجعة المرضى للمشفى يتم تشخيصهم، ويقال لهم بان علاج هذه الأمراض هو بالصيام، صحفي مصري يعمل مقابلة مع مدير المشفى فيرى قطعة مكتوبة وراء رأس المدير (صوموا تصحوا) نعم صحتكم تعود اليكم بالصيام.

عودة الأمام عمر (رضي الله عنه) وانقلابه

يجب علينا نحن ان ننشأ هذه المحبة، محبة قرآنية، ولكن كيف تنشأ هذه المحبة؟ علينا الممارسة كأبي بكر، وكيف نمارس؟ ندخل الى القرآن بترتيب النزول، وماذا نفعل داخل القرآن بترتيب النزول؟ نخرج شخصية الرسول (عليه السلام و البركات) من القرآن، وهذه هي المعيشة والممارسة مع الرسول (عليه السلام و البركات)، فينشأ صفة النبوة ومن ثم الصفة الرسالية، ففي حديثه: (لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه)، فلقد ذكر الحديث كثيراً، يعلم الأمام عمر اصل الصدق بينه وبين الله الرحمن ويجب ان يكون صادقاً مع الله الرحمن، ولهذا يجب ان يكون صادقاً مع نفسه ايضاً، ولهذا كان اول شخص يجيب الرسول مباشرة: يارسول الله (عليه السلام و البركات) احبك اكثر من مالي (المنقولة وغير المنقولة) ومن اولادي و والداي، ولكن من نفسي فلا، فانا أحب نفسي اكثر منك، فقال له الرسول: لا يا عمر، حسناً فماذا يفعل وكيف؟ وقف وراجع نفسه، نعم يجب ان يحب الرسول (عليه السلام و البركات) وليس ان يطبق القوانين والأحاديث فقط، راجع نفسه مراجعة سريعة كنوع من الانقلاب في داخله وقال: الآن يا رسول الله، والرسول (عليه السلام و البركات) يملك جهازاً داخلياً يقرأ داخل الأناسي ملفاً ملفاً ويعرف نقصهم، و(بلا تشبيهه) كشهادة المدرسة الذي يكتب عليه مجموعة الدروس، حيث يوضع خطأ احمر تحت الدرس الراسب فيه، وهكذا كان يتعامل

الرسول (عليه السلام و البركات) مع صحابته، فكان ينظر الى فلان والنقص الذي فيه ولهذا قال هذا الحديث فعلاً، فعندما رأى وصول عمر الى المستوى فعلاً قال: الآن يا عمر.

ولذلك يعرض لنا ترتيب نزول القرآن شخصية الرسول (عليه السلام و البركات) المتكاملة، وان علاقة الله الرحمن العمودية يقدم الرسول (عليه السلام و البركات) لنا، في القرآن وليس نحن ولا زيد من الناس يأتي ليعرفنا بالرسول، الله الرحمن يقوم بتعريف الرسول (عليه السلام و البركات) كل مرة بلقطة، مجموعة من الآيات المتقدمة تقوم بتعريف داخل الرسول (عليه السلام و البركات)، ومجموعة من الايات تذكر ايمان الرسول (عليه السلام و البركات)، ومجموعة من الآيات الاخرى تذكر علاقته مع ذات الله الرحمن، وكيف يتعامل هذا الرسول، وبصراحة لأن الآيات كثيرة جداً وكلها مربوطة بالإيمان، ومجموعة من الآيات موجودة مرتبطة بعلاقة ذات الرسول (عليه السلام و البركات) مع عائلته وازواجه وبناته، وهذا من الايمان، فعدم تواجد هذا البعد في دواخلنا يعني نقص ايماننا في هذا البعد، فليس من الداعي ان نقول زوجات الرسول (عليه السلام و البركات) وانما علينا ان نقول امهاتنا، (وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ) (الاحزاب ٦)، وعند ذكر عائشة (رضي الله عنها) ننظر اليها كزوج الرسول وانما يجب وضعها في مقام الأم والأيمان بذلك، وهناك نوع من الركافة النوعية، فيجب ان نؤمن بذلك ونمارس على هذه الحالة، فخديجة (رضي الله عنها) هي أم المؤمنين، ولا نقول زوج الرسول، هي زوجة بالنسبة له، ولكن ما هي بالنسبة لنا؟ ام، (وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ)، ازواج، زوجة له، زوج بالنسبة له ولكن بالنسبة لنا هي أم، فيجب الممارسة على هذه الحالة، وهذا هو الايمان بذات الرسول (عليه السلام و البركات).

هناك مجموعة من الآيات يحدد الله الرحمن فيها العلاقة بيننا وبين ذات الرسول (عليه السلام و البركات)، ويقوم بالذات تعريف مقام هذا الرسول عندنا، فمثلاً

يقول: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) (الحجرات ١) وهذه كمقدمة: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ)، فانظروا الى قانونية الموضوع ومقدار مجسميته، (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ)، لماذا؟ (أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ) (الحجرات)، والمشكلة تكمن هنا فكلمة حبوط العمل في القرآن وردت بالكفر، ومن المحتمل ان يؤدي الشخص هذا العمل وهو لا يدري، إذن يجب الممارسة مسبقاً، وانشاء الأرضية في الداخل، لكي يعلم كيف يتعامل مع ذات رسول الله (عليه السلام و البركات)، (لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ)، ومن ثم: (وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ)، وحتى يوجد لقطة غريبة، حيث يظهر خصوصية الرسول في كلمة النبي في القرآن، اما كلمة الرسول فيظهر عليه الرسالية اكثر، ولهذا فإن اغلب الآيات التي ذكر فيها النبي في البداية، يتحدث عن خصوصية شخصية الرسول (عليه السلام و البركات)، ولكنه مربوط بقضية الدين بأصل ايماني، ويعود عليه بشكل اكبر، اما كلمة الرسول يعود على الرسول (عليه السلام و البركات) وعلى جمع المؤمنين، ويعني " هو بالنسبة لهم رسول، والنبي علاقة الجمع معه، لدينا نوعان من العلاقات:

الأول: علاقة النبوة وهي علاقة جمع المؤمنين مع ذات النبي.

الثاني: علاقة ذات الرسول مع جمع المؤمنين وينقله لهم.

ولهذا قال الرحمن: (لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ) (الحجرات ٢)، ولهذا عندما آمن ابو بكر كان يتكلم بصوت خافت مع رسول الله (عليه السلام و البركات)، حتى لم يكن الرسول يسمعه وفي كل مرة كان يسأله ماذا قلت؟ ولهذا كان على ابا بكر اعادة حديثه، فكان يخشى من تطبيق هذه الآية عليه، وهذا موجود في كتب الصحاح، وكان هذا بالنسبة للصوت، فكيف كان تقديم الاقتراحات على ذات

الرسول (عليه السلام و البركات)، ومثلاً "كأن نقول يا رسول الله نحن نؤمن بك عن طريق الكتاب الفلاني، يا رسول الله نحن نتعرف عليك عن طريق المؤلف الفلاني وعن طريق كتاب السيرة الفلاني، اليس هذا بالرفع فعلاً؟ وليس بالصوت: (ولا تجهرُوا) كلمة (جهر) (لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ)، أو يقول: (لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا) (النور ٦٣)، وحتى استدعاه يجب ان يكون في مستوى النبوة والرسالة، وهذا هو التعامل الشفافى والنوعى، وليس كما يذكر فينا، وفي سورة اخرى يقول: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) (المجادلة ١٢)؛ كان الرسول (عليه السلام و البركات) نونمط معين، كان ارادة الله الرحمن الكلية في ذات هذه الشخصية، ولذلك فعند التعامل معه يجب أن يعامل معه وفق ارادة الله الرحمن، فكلمة التناجى هو التحدث بصوت خافت مع بعض، (إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ) فمن المحتمل ان تتحدثوا معه في اموركم الخاصة وبصوت خافت، (فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً)، فقدموا صدقة، فلماذا؟ فمن المحتمل ان تتحدثوا بشيء يمقته الله الرحمن اثناء حديثكم، فالصدقة كفارة لمثل هذه الحالات، ولكن انتهى احتاجهم الى الصدقة عندما ترقى مستوى الأيمان فيهم ونشأ المعيار في داخل جمع المؤمنين، (فإن الله غفور رحيم) الأيمان يحدد هذه الحالة.

ولهذا يجب ان يحدد الله الرحمن علاقتنا مع ذات رسول الله (عليه السلام و البركات)، ويجب ان يتم الأيمان بهذا التحديد، ويكون هذا الأيمان وفق ترتيب النزول، وان يمارس عليه، وحين إذن ينشأ حالة السقف النوعى المرتفع بيننا وبين رسول الله (عليه السلام و البركات)، وعندها نحيا في حالة نوعية فعلية، ثقوا بأن هناك أخذ وعطاء مباشر بيننا وبين ذات رسول الله (عليه السلام و البركات)، وان لو علم الله الرحمن أن بقاء شخص الرسول كذات اصل لايمان الأجيال الأخرى لما توفى الرسول (عليه السلام و البركات)، وانا اعلم هذا كأمر بديهي في داخلي، إذن

نستطيع ان نعيش شخصية الرسول حقيقةً بواسطة القرآن، كشخصية رسالية نبوية وليس ك(محمد)، وكيف نتمكن من اعطائه هذه الشخصية؟ بإخراج الرسول (عليه السلام و البركات) من كتب السيرة، وحيث انهم غدروا به في كتب السيرة، ونتعامل مع الرسول بالمقام الذي منحه القرآن له، ذكر في كتب السيرة انه وصل حمل والدته في الشهر الفلاني الى المرحلة الفلانية، وولد بهذا الشكل في السنة كذا، واتصور هذا غير لائق، من المحتمل ان اعتبر هذا غير لائق لِنفسي، فكيف لذات هذا المبارك نتعامل معه بهذا الشكل؟ فيحتمل اتحدث عن ذاتي وحياتي، فاقول تبدأ حياتي من الوقت الفلاني وما تبقى لا احسبه، فكيف يكون له بهذا النوع؟ ولهذا فإن القرآن فقط اعطاه اللقطات الحقة والصحيحة لذات مقام الرسول (عليه السلام و البركات).

طلب قسم من الصحابة الأستقالة!

وبعد تعايشنا معه في القرآن نستطيع حينها ان نأخذ مأمورات الرسول (عليه السلام و البركات) من السمع والطاعة من داخل البخاري، من دون تكلف ومن دون الأحساس بالأحراج، وعندها ينشأ التلقائية، وعندها نقوم للوضوء ونقول هكذا توضع الرسول (عليه السلام و البركات)، حديث موجود في البخاري: يقول كان عبدالله بن عمر (رضي الله عنه وارضاه) يبتسم في العطاس، وفي يوم سأله جمع من الشباب "بأننا لاحظنا ابتسامتك عند العطاس؟ اجابهم هكذا رأيت رسول الله (عليه السلام و البركات).

اثناء الحج أو في مكان مبايعة الرسول (عليه السلام و البركات) (إِذِ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ) (الفتح ١٨)، وبعد وفاة الرسول (عليه السلام و البركات) رأى جمع من الصحابة ابن عمر يمشي في نفس المكان ويضع قدميه في مكان معين، ويحرك دابته حول الشجرة ويربطه في احد اغصان الشجرة، وكرره لمرّة واثنان وثلاث، فسأله

صديقه عن ذلك يوماً؟ فاجابه بانني رأيت رسول الله يفعل هذا عندما كنت في حضرته، ولهذا اريد ان اضع قدمي في المكان الذي وضع الرسول (عليه السلام و البركات) قدمه فعلاً، لم يتمكن مجموعة من الصحابة التحمل بعد وفاة الرسول، ولهذا قدموا عريضة بالاستقالة أو بالنقل الى مكان آخر.

بلال (رضي الله عنه وارضاه) كان احدهم، فانقطع عن الأذان بعد وفاة الرسول (عليه السلام و البركات)، وقدم العريضة لعدة مرات في وجود ابي بكر ورُفُض، وقبل عمر (رضي الله عنه) تقديم عريضته في بداية خلافته فارسله الى دمشق، فسافر الأمام عمر الى الشام بعد سبع او ثمان سنين، فاستقبله بلال فجلسوا معاً، والح جمع من اهل الشام (دمشق) على الأمام عمر كي يؤذن بلال كما كان يؤذن في زمن الرسول (عليه السلام و البركات)، فيكلفه الأمام عمر اثناء الحوار لكي يؤذن، اعتذر لثلاث مرات، وقال له " إذا كان أمرك أمراً أخوياً فأنا ارفضه ولكنني اطيعك إذا كان أمراً كأمير المؤمنين، فألح الناس على الأمام عمر ليؤذن، فيقوله أمرك كأمير المؤمنين، فذهب بلال الى مكان مرتفع وبدأ: (الله أكبر الله أكبر) الى ان وصل (أشهد أن محمداً رسول الله)، فلم يستطيع ان يكمل الأذان وقطعه ووقف، هذه هي الشفافية مع ذات رسول الله (عليه السلام و البركات).

فالإيمان يكون ركيكاً الى ان ينشأ هذه الحالة، فالإيمان جزئي، أو ايماننا مريض وفيه جرثومة نوعية، ويجب مراجعته.

ادعوا الله الرحمن بعظمته ومن اجل هذا الإيمان العالي الذي كان عند رسول الله (عليه السلام و البركات)، ومن أجل كل الحب الكبير الذي احبه الصحابة المباركين لذات رسول الله (عليه السلام و البركات)، ان يسهل اسباب ايماننا وان نؤمن كما آمنوا هم، وأن نحب الرسول (عليه السلام و البركات) الحبيب والعزيز كما احبوه هم.

وبهذا انتهى دروس كيفية احياء وبناء الإيمان.

اعزائي إذا اردتم ان نرتاح لمدة اسبوع او اسبوعين ومن ثم نبدأ بدروس
اسماء الله وافعاله، وإذا اردتم ان نغير يوم الدروس من الخميس الى الجمعة.
أقول قول هذا وأستغفر الله لي ولكم سبحان ربك رب العزة عما يصفون
والسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

(و السلام عليكم و رحمة الله و بركاته)